شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

كتاب الروح

المؤلف

محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في المكتبة الخليلية بالهند.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٥٣٧

مالك يوم الدين اسئلك مرورا
احد ناالصراط المستقيم انعمت عليهم

١٥٠١ مالكه احمد عفى الله

كتاب الروح

١

للشيخ الإمام العالم العامل العلامة المدقق

المحقق المدقق امام المتاخرين

ووارث المقدمين

المسئلة الاولى وهى هل تعرف الارواح بزيارة الاحياء أم لا فقال ابن عبد البر ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما منكم من مسلم يمر بقبر اخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا رد الله روحه حتى يرد عليه السلام فهذا نص انه يعرفه بعينه ويرد عليه السلام وفى الصحيح عنه من وجوه متعددة انه امر بقتلى بدر الى قليب بدر ثم جاء حتى وقف عليهم ونادا هم باسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا فقال له عمر يا رسول الله ما تخاطب من قوم قد جيفوا فقال والذى نفسى بيده ما انتم بأسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابى وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم ان الميت يسمع قرع نعال المشيعين له اذا انصرفوا عنه وفى رواية النبى صلى الله عليه وسلم اذا سلم على اهل القبور ان يسلموا عليهم كما يسلم على من يخاطبه فيقول السلام عليكم اهل دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن لا يعقل ولا يسمع فدل ان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا وتواترت الاخبار عنهم بان الميت يعرف بزيارة الحى له ويستبشر بها ابو بكر عبد الله بن ابى الدنيا فى كتاب القبور باب معرفة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان الميت عن عائشة

عند ويتأذى عنده الانسان

ثنا معن بن عيسى القزاز ثنا هشام بن سعد ثنا زيد بن اسلم عن ابى هريرة قال اذا مر الرجل بقبر اخيه فيسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه رد عليه السلام حدثنا محمد بن الحسن حدثنى يحيى بن اسطام الاصفر حدثنى مستمع حدث رجل من آل عاصم الحدرى قال رأيت عاصما الحدرى فى منامى بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فما رأيت قال انا والله فى روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصحبتها الى بكر بن عبد الله المزنى فنتلقى اخباركم قال قلت اجسامكم ام ارواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما نتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قال قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمته وحدثنا محمد بن الحسن حدثنى بكر بن محمد حدثنا جبير القصاب قال كنت اغدو مع محمد بن واسع فى كل غداة سبت حتى ناتى الجبان فنقف على القبور فنسلم عليهم وندعو لهم ثم ننصرف فعلى ذات يوم لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين قال يلقى ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبلها ويوما بعدها حدثنى محمد حدثنى عبد العزيز بن ابان ثنا سفيان الثورى قال بلغنى عن الضحاك انه قال من زار قبر ابويه يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت زيارته فقيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة حدثنا خالد بن خداش ثنا جعفر بن سليمان الى البناح قال كان مطرف يغدو اذا كان يوم الجمعة اذا ج قال وسمعت ابا التيا

ر يقوم وهو
هذا المطرف يا تى
الجمعة قلت وتعلمون عندكم ويوم الجمعة قالوا نعم ونعلم ما يقول فيه الطير قلت
وما تقولون قال يقولون سلام سلام حدثني محمد بن الحسين حدثني يحيى بن ابى بكر حدثني
الفضل بن الموفق رجل من عبيده قال لما مات ابى جزعت جزعا شديدا
مكثت اتى قبره فى كل يوم ثم انى قصرت عن ذلك ما شاء الله ثم اتاني الله يوما فبينا
انا عند القبر غلبتني عيناي فنمت فرايت كان قبر ابى قد انفرج وكانه قاعد فى قبره
متوشحا كفانه عليه بجيده الموتى قال وكانى جئت لمارانيه فقال لي يا بني ما بطأ بك
عني قلت وانك لتعلم بحبي قال ما جئت مرة الا علمتها وقد كنت تأتيني فانسربك وتسر
بمجيئك فما حملك على ترك اتيانك قال فكبت اليه بعذر ذلك كثيرا حدثني محمد حدثني يحيى بن بسطام
حدثني عثمان بن سودة الطفاوي قال وكانت امه من العابدات وكان يقال لها
رابعة قال لما احتضرت رفعت رأسها الى السماء فقالت يا ذخري وذخيرتي ومن
عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي لا تخذلني بعد الموت ولا توحشني في قبري قال
فمات فكنت اتيها في كل جمعة فادعو لها واستغفر لها ولاهل القبور فرايتها ذات
يوم في منامي فقلت لها يا امه كيف انت قالت اي بني ان للموت لكربة شديدة وانى
بحمد الله لفي برزخ محمود يفرش فيه الريحان ويوسد فيه السندس والاستبرق
يوم النشور فقلت لها الك حاجة قالت نعم قلت وما هي قالت لا تدع ما كنت تصنع
من زيارتنا والدعاء لنا فاني لأبشر بحبيك يوم الجمعة اذا اقبلت فقال لي يا راهبة
هذا ابنك فاقبل فاسر ويسر من ذلك من حول من الاموات حدثني محمد بن عبد

العزيز بن سلمان حد
ويشهد الصلاة على الجنائز
وزجر غربتكم وتجاوز عن سيئكم وقبل حسناتكم لا مزيد على هذه الكلمات قال
فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم آت المقابر فادعوا كنت ادعوا
قال فبينا انا بآخر اذا بخلوق كثير قد جاءني فقلت ما اتى وما حاجتكم قالوا نحن
اهل المقابر قلت ما حاجتكم قالوا انك عودتنا فمنعك هذه عندنا فرأيك الى
اهلك قلت وما هي قال الدعوات التي كنت تدعو بها قال قلت فاني اعود
لذلك قال فما تركتها بعد حدثني محمد حدثني احمد بن سهل حدثني رشيد بن سعد
عن رجل عن زيد بن اسلم حسب ان سليمان بن عبد الملك مر على مقبرة وهو حاقن قد غلبه
البول فقال له بعض اصحابه لو نزلت الى هذه المقبرة قلت في بعض حفرها فبكى
ثم قال سبحان الله والله اني لاستحي من الاموات كما استحي من الاحياء ولولا ان
الميت يشعر بذلك لما استحييته والبلغ من ذلك ان الميت يعلم بعمل الحي من افاربه
واخوانه قال عبد الله بن المبارك حدثني ثور بن يزيد عن ابراهيم عن ابي ايوب
قال تعرض اعمال الاحياء على الموتى فاذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وان رأوا
سيئا قالوا اللهم راجع به وذكر انه اتى الدنا عن احمد بن الحواري قال حدثني محمد
اخي قال دخل عباد بن عباد على ابراهيم بن صالح وهو على فلسطين فقال عظني ثم
اعظك اصلحك الله بلغني ان اعمال الاحياء تعرض على اقاربهم من الموتى فانظر
ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى اخضل
لحيته قال اتى الدنا وحدثني محمد بن الحسن حدثني خالد بن عمرو الاولى

فأنبت وندمت
على ما مر
ای بنی ما کان اشد
فرحی بک واعمالک تعرض علینا وقد مضی بصالح اعمال الصالحین فلما کانت هذه المرة
استحییت لذلک حیاء شدیدا افلا تخبرنی فی من حولی من الاموات قال فکنا اسمعه
بعد ذلک یقول فی دعائه فی السحر وکان جارا لنا بالکوفة اسالک توبة لا رجعة
فیها ولا حور یا مصلح الصالحین وناصر المجرمین وهادی المضلین وراحم المذنبین وهذا باب
فیه آثار کثیرة عن الصحابة والتابعین وکان بعض الانصار من اقارب عبد الله
بن رواحة یقول اللهم انی اعوذ من عمل اخزی به عند عبد الله بن رواحة کان
یقول ذلک بعد ان استشهد عبد الله وکفی بهذا تسمیة المسلم علیهم زائرا
ولو انهم لا یشعرون به لما صح تسمیته زائرا فان المزور ان لم یعلم بزیارة من زاره
لم یصح ان یقال زاره هذا هو المعقول من الزیارة عند جمیع الامم وکذلک السلام
علیهم ایضا فان السلام علی من لا یشعر ولا یعلم بالمسلم عبث وقد علم النبی صلی
الله علیه وسلم امته اذا زاروا القبور ان یقولوا السلام علیکم اهل الدیار
من المومنین والمسلمات وانا ان شاء الله بکم لاحقون رحم الله المتقدمین منا
ومنکم والمتاخرین نسال الله لنا ولکم العافیة فهذا السلام والخطاب والنداء
للموجود یسمع ویخاطب ویعقل ویرد وان لم یسمع المسلم الرد واذا صلی الرجل
قریبا منهم شاهدوا وعلموا صلاته وغبطوه علی ذلک قال یزید بن هارون
اباسلمان التیمی عن ابی عثمان النهدی ان ابن میناس خرج فی جنازة فی یوم
وعلیه ثیاب خفاف فانتهی الی قبر فقال صلیت رکعتین ثم اتکات علیه فوالله

ان

ان علی
ونحن قوم نعلم ولا نعمل و
علم باتکاء الرجل علی القبر وبصلاته وقال ان ابی حدثنی الحسن بن علی
العجلی ثنا محمد بن الصلت ثنا اسمعیل بن عیاش عن ثابت بن سلیمان ثنا ابو قلابة قال
اقبلت من الشام الی البصرة فنزلت منزلا فطهرت وصلیت رکعتین ثم وضعت
راسی علی قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر یشکونی تقول قد اذیتنی منذ
اللیلة قال انکم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر علی العمل ثم قال ارکعتین اللتین
رکعتهما خیر من الدنیا وما فیها ثم قال جزا الله عنا اهل الدنیا خیرا اقرهم منا
السلام فانه دخل علینا من دعائهم نور امثال الجبال وحدثنی الحسن العجلی حدثنا
عبد الله بن نمیر ثنا مالک بن مغول عن منصور عن زید بن وهب قال خرجت الی
الجبانة فجلست فیها فاذا رجل قد جا الی قبر فسواه ثم تحول الی مجلس فقال اللهم
ترحیت کانوا یذونی فان ولا انا قام فصلی رکعتین لان اکون اقدر علی ان اسلیهما
احب الی من الدنیا وما فیها فعلت لمن هذا القبر قال اخ لی فعلت اخ لک فقال اخ
لی فی الله ارا ته فما یری الناس فعلت فلا عشت الحمد لله رب العالمین قال قد قلنا
لا اقدر علی ان اقولها احب الی من الدنیا وما فیها حدثنی ابو بکر التیمی حدثنا عبد الله
بن صالح حدثنی اللیث بن سعد حدثنی حمید الطویل عن مطرف بن عبد الله الحرشی قال
خرجنا الی الربیع فی زمانه فقلنا ندخل یوم الجمعة لشهودها وطریقنا علی المقبرة
قال فدخلنا فرات جنازة فی المقبرة فقلت لو اغتنمت شهود هذه الجنازة فشهدتها
قال فاعتزلت ناحیة من قبر فرکعت رکعتین خففتهما لفرائضهما ونعست فرات

صاحب
تعلون ولا تعلو وهو يستطيع ان يعلو من
الدنيا بحذافيرها فعلك ثم ها هنا قال كلهم مسلم وكلهم قد اصاب خيرا فعلك
ها هنا افضل فاشار الى قبر فعلت فبكى اللهم ربنا اخرجه الى فاكلمه قال
فخرج من قبره فمشى ساعات فعلت انت افضل مرها هنا قال قد قالوا ذلك فبئس
شئ بلت ذلك فوالله ما ارى لك ذلك البتة قال بلت ذلك بطول الحج والعمرة
والجهاد في سبيل الله قال قد ابتليت بالمصائب فرزقت الصبر عليها فبذلك افضلتهم
وهذه المرآى وان لم تصلح بمجردها لاثبات مثل ذلك فهي على كثرتها وانها لا تحصى
الا الله قد تواطأت على هذا المعنى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارى رؤياكم قد تواطأت على انها في العشر الاواخر من ليلة القدر فاذا تواطأت
رؤيا المؤمنين على شئ كان كتواطئ رؤيتهم له وكتواطئ رأيهم على استحسانه
واستقباحه وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه قبيحا فهو
عند الله قبيح على انا لو لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرنا من الحج وغيرها وقد
ثبت في الصحيح ان الميت يستأنس بالمستهين الجائز به بعد دفنه فروى مسلم في
صحيحه من حديث عبد الرحمن بن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو
في سياقة الموت فبكى طويلا وحول وجهه الى الجدار فجعل ابنه يقول ما يبكيك
يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا فاقبل بوجهه فقال ان
افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانى كنت على اطباق
ثلاث لقد رأيتني وما احد اشد بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني ولا

احب

احب الى ان
اهل النار
فعلت ابسط يدك فلا
قال اردت ان اشترط قال تشترط ماذا املت ان تغفر لي قال اما علمت ان الاسلام
يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله
وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه
وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت
لاني لم املا عيني منه ولو مت على تلك الحال لرجوت ان اكون من اهل الجنة
ثم ولينا اشياء ما ادري ما حالي فيها فاذا انا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا
دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم اقيموا حول قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم
لحمها حتى استأنس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي قال في المنتقى دل على ان الميت يستأنس
بالحاضرين عند قبره ويسر بهم وقد ذكر عن جماعة من السلف انهم اوصوا
ان يقرأ عند قبورهم وقت الدفن قال عبد الحق روي ان عبد الله بن عمر
امر ان يقرأ عنده سورة البقرة وتيسر روى ذلك الطبراني عن عبد الرحمن وكان
الامام احمد ينكر ذلك او لا حتى لم يبلغه في ذلك اثر ثم رجع عن ذلك
وقال الجلال في الجامع كتاب القرآءة عند القبر اخبرنا العباس بن محمد الدوري
ثنا يحيى بن معين ثنا مبشر الحلبي حدثني عبد الرحمن بن العلاء اللجلاج عن ابيه
قال قال لي ابي اذا انا مت فضعني في اللحد وقل بسم الله وعلى سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وشن علي التراب شنا واقرأ عند رأسي بفاتحة الكتاب وخاتمتها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سالت أحمد بن حنبل

فانى

قلت لحفظ ى

الحديث قال الجلال وأخبرنى الحسن بن احمد الوراق حدثنى على بن موسى الحداد

وكان صدوقا قال كنت مع احمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهرى فقال له احمد

يا هذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد

بن حنبل يا ابا عبد الله ما تقول فى مبشر الحلبى قال ثقة قال كتبت عنه شيأ قال

نعم قال فاخبرنى مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا

دفن ان يقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصى بذلك

فقال له احمد فارجع وقل للرجل يقرأ وقال الحسن بن الصباح الزعفرانى سألت

الشافعى عن القراءة عند القبر فقال لا بأس به وذكر الجلال عن الشعبى قال كانت

الانصار اذا مات لهم الميت اختلفوا فى قبره يقرءون عنده القرآن قال فاخبرنى

أبو يحيى بن الناقد قال سمعت الحسن بن الحرورى يقول مررت على قبر اختى فقرأت

عند رأسها تبارك لما يذكر فيها فجاءنى رجل فقال انى رأيت اختك فى المنام تقول جزى الله

أباعلى خيرا فقد انتفعت بما قرأ اخبرنى الحسن بن الهيثم قال سمعت ابا بكر بن الاطروش

يقول سمعت ابا نصر التمار كان رجلا صالحا يقول اذا قرأ سورة يس فجاءنى بعض

آبائه فقال اسورة يس ثقيلة اللهم ان كنت سمعت لهذه السورة ثوابا فاجعلها فى

أهل هذه المقابر فلما كان فى الجمعة التى تليها جاءت امرأة فقالت أنت فلان بن فلان

قال نعم قالت ان ابنة لى ماتت فرأيتها فى النوم فجالسته على شفير قبرها فقلت ما اجلسك

ها هنا فقالت ان فلان بن فلانة جاءنى اقرأته فقرأ سورة يس وجعل ثوابها لأهل

المقابر

المقابر فاصابنا بن

حدث مقبل بن بسار المزنى

عند موتاكم وهذا يحتمل ان يراد بها قراءتها على المحتضر عند موته فيكون مثل قوله

لقنوا موتاكم لا اله الا الله ويحتمل ان يراد به القراءة عند قبره والاول اظهر لوجوه

احدها انه نظير قوله لقنوا موتاكم لا اله الا الله الثانى استماع المحتضر بهذه

السورة لما فيها من التوحيد والمعاد والبشرى بالجنة لاهل التوحيد وغبطة من

مات بقوله يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فتستبشر

الروح بذلك فيحب لقاء الله فيحب الله لقاءه فلهذه السورة قلب القرآن ولها

خاصة عجيبة فى قراءتها عند المحتضر وقد ذكر ابو الفرج بن الجوزى قال كنت

عند شيخنا ابى الوقت عبد الاول فى السياق وكان اخر عهدنا به انه نظر

الى السماء وضحك وقال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين وقضى

الثالث ان هذا عمل الناس وعادتهم حديثا وقديما يقرءون يس عند المحتضر الرابع

ان الصحابة لو فهموا من قوله صلى الله عليه وسلم اقرءوا يس عند موتاكم قراءتها عند

القبور لما اخلوا به وكان ذلك امرا معتادا مشهورا بينهم الخامس ان انتفاعها بسماعها

وحضور قلبه وذهنه عند قراءتها فى اخر عمره بالدنيا هو المقصود واما قراءتها

عند قبره فانه لا يثاب على ذلك لان الثواب اما بالقراءة او بالاستماع وهو عمل

وقد انقطع بالموت وقد ترجم الحافظ ابو محمد عبد الحق الاشبيلى على هذا فقال

ذكر ما جاء ان الموتى يسألون عن الاحياء ويعرفون اقوالهم وافعالهم ثم قال ذكر ابو

بن عبد المؤمن حدث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من رجل يمر بقبر اخيه

حديث أبي هريرة

ويروى من حديث

موقوفا

عائشة انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه
فيجلس عنده الا استأنس به حتى يقوم واخرج الحافظ ابو محمد في هذا الباب بما
رواه ابو داود في سننه من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام
قال وقال سليمان بن بعير رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول
الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك افقه منهم قال نعم وارد عليهم قال
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم ان يقولوا اذا دخلوا المقابر السلام عليكم
اهل الديار الحديث قال وهذا يدل على ان الميت يعرف سلام من يسلم عليه
ودعا من يدعوا قال ابو محمد ويذكر عن الفضل بن الموفق قال كنت آتي قبر
ابي المرة بعد المرة فاكثر من ذلك فشهدت يوما جنازة في المقبرة التي دفن فيها
فعجلت لحاجتي ولم آته فلما كان من الليل رأيته في المنام فقال ما بني لم لا تأتني
فقلت يا ابتي وانك لتعلم بي اذا أتيتك قال اي والله يا بني ما ازال اطلع
عليك حتى تطلع من القنطرة حتى تصل الي وتقعد عند قبري ثم تقوم فلا ازال
انظر اليك حتى تجوز القنطرة قال ابن ابي الدنيا حدثني ابو هصر بن بشار الكوفي
قال حدثني الفضل بن الموفق وذكر القصة وصح عن عمرو بن دينار انه قال
ما من ميت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانه ليسر لبشارتهم وليحزن
لسيئ اعمالهم وصح عن مجاهد انه قال ان الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده من

بعده

بعده وبذلك جاء الخبر

في قبره ولولا انه يسمع ذلك لم يسر بما يأتيه ولم يحزن عما يسمعه وقد سئل
عنه الامام احمد فاستحسنه واحتج عليه بالعمل ويروى فيه حديث ضعيف
ذكره الطبراني في معجمه من حديث ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على رأس قبره ثم ينادي
يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم يقول يا فلان بن فلانة الثانية فانه يستوي
قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يقول ارشدنا رحمك الله ولكن لا
تشعرون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن
اماما فان منكرا او نكيرا يأخذ كل واحد منهما ويقول انطلق بنا ما نقعد عند
هذا وقد لقن حجته وكون الله حجيجهما دونه فقال رجل يا رسول الله فان
لم تعرف امه قال ينسبه الى امه حوى فهذا الحديث وان لم يثبت فانه قال العمل
به في سائر الامصار والاعصار من غير انكار ولا نكير في العمل به وما اجرى الله
سبحانه العادة قط بأن امة طبقت مشارق الارض ومغاربها وهي اكمل الامم
عقولا واوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل ويستحسن
ذلك ولا ينكره منكر بل نسبة الاول للاخر وتقتدي فيه الاول بالاخر فلولا
ان المخاطب يسمع والا كان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر او المعدوم
وهذا وان استحسنه واحد فالعقلاء طبقة على استقباحه واستهجانه وقد
روى ابو داود في سننه باسناد لا بأس به ان النبي صلى الله عليه وسلم

خرجا
حتى اذا كان ببعض الطريق سمع الميت يصرخ صرخة حسبت انها صلى الله عليه وسلم ان
الميت ليسمع قرع نعالهم اذا ولوا منصرفين وذكر عبد الحق عن بعض الصالحين قال
مات أخ لي فرأيته في المنام فقلت ما اخي ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال انا بي
آت بشهاب من نار فلو ان داعيا دعاني لهلكت قال شبيب بن شبيه أوصتني امي
عند موتها فقالت يا بني اذا دفنتني فقم عند قبري وقل يا ام شبيب قولي لا اله
الا الله قال فلما دفنتها قمت عند قبرها فقلت يا ام شبيب قولي لا إله الا الله
ثم انصرفت فلما كان من الليل رأيتها في النوم فقالت يا بني كدت ان أهلك لولا
أن تداركني لا اله الا الله فقد حفظت وصيتي يا بني وذكر ان ابى الدنا عن
تماضر بنت سهل امراة ايوب بن عتبة قالت زارت سفيان بن عيينة في النوم
فقال لي جزا الله اخي ايوب عني خيرا فانه يزورني كثيرا وقد كان عندي اليوم
فقال ايوب نعم حضرت جنازة اليوم فذهبت الى قبره وصح عن حماد بن سلمة عن
ثابت عن شهر بن حوشب ان الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين
قال صعب لعوف اي اخي ايما مات قبل صاحبه فليبشر آله قال او كون ذلك قال
نعم فمات صعب فرآه عوف في النوم كانه قد اتاه قال قلت اي اخي ما هذه قال
عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودي فهي في قرن فاعطوه اياها واعلم يا اخي
انه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي الا قد لحق بي خبره حتى هرة لنا ماتت منذ
أيام واعلم ان بنتي تموت الى ستة أيام فاستوص بها معروفا فلما اصبحت قلت
ان في هذا المعلما فاتت أهله فعالوا مرحبا بعوف اهكذا تصنع الاخوان

يتزاورون اخوانهم لقبورهم ويباهون بذلك
الى القرن فلما انتهيت [illegible] فوجدت [illegible] نظرت
الى اليهودي فقلت هل كان لك على صعب شيء قال لا والله ما كان من خيار
اصحاب محمد هي له قلت لتخبرني قال نعم استلفت عشرة دنانير فجئته بها اليه فقال
هي والله باعيانها قال قلت هذه واجدة قال قلت هل حدث فيكم حدث بعد
موت صعب قالوا نعم حدث شبيه كذا قال قلت اذكروا قالوا لا نعلم
هرة ماتت منذ ايام فقلت هاتان اثنتان قلت اين ابنة اخي قالوا اللحد فاتت
بها فمسستها فاذا هي محمومة فقلت استوصوا بها معروفا فماتت لستة ايام
وهذا من فقه عوف رضي الله عنه وكان من الصحابة حيث نقد وصية الصعب بن
جثامة بعد موته وعلى صحة قوله بالقرآن الى اخره بما من ان الدنانير عشرة وهي
في القرن ثم سالت اليهودي فطابق قوله لما في الرؤيا فجزم عوف بصحة الامر واعطى
اليهودي الدنانير وهذا فقه انما يلتزم بأفقه الناس واعلمهم وهم اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولعل اكثر المتأخرين ينكر ذلك ويقول كيف جاز لعوف
ان ينقل الدنانير من تركة صعب وهي لايتامه ولورثته الى يهودي تمام ونظير هذا
من الفقه الذي خصهم الله به دون الناس قصة ثابت بن قيس بن الشماس وقد ذكر
ابو عمرو بن عبد البر وغيره قال ابو عمر واخبرنا عبد الوارث بن سفيان ثنا قاسم بن
اصبغ ثنا ابو الربيع روح بن الفرج ثنا سعيد بن عمرو عبد العزيز بن يحيى المدني
ثنا مالك عن ابن شهاب عن اسمعيل بن محمد بن ثابت الانصاري عن ثابت بن قيس بن شماس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا

وتدخل الجنة [illegible] قال ابو عمرو روى
هشام بن عمار عن صدقة بن خالد بن دينار عن [illegible] عن عطاء الخراساني قال حدثني
ابنة ثابت بن قيس بن شماس قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي دخل ابوها بيته واغلق بابه فافتقده رسول الله صلى الله
عليه وسلم وارسل اليه يسأله فاخبره فقال انا رجل شديد النتوء اخاف ان
يكون قد حبط عملي قال لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير قال ثم انزل الله ان
الله لا يحب كل مختال فخور فاغلق عليه وطفق يبكي ففقده النبي صلى الله عليه
وسلم فارسل اليه فاخبره فقال يا رسول الله اني أحب الجمال واحب ان اسود
قومي فقال لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة قالت فلما
كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد الى مسيلمة فلما التقوا انكشفوا فقال
ثابت وسالم مولى حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم حفر كل واحد له حفيرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ درع
له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فاخذها فبينا رجل من المسلمين نائم اذ اتاه ثابت
في منامه فقال اني اوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعها اني لما
قتلت امس مر بي رجل من المسلمين فاخذ درعي ومنزله في اقصى الناس وعند بيته
فرس يشتر في طوله وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فات خالدا فمره
ان يبعث الى درعي فيأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعني ابا بكر الصديق رضي الله عنه فقل له ان علي من الدين كذا وكذا
وفلان من رقيقي عتيق وفلان فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى الدرع فاتى

بها وحدث ابا بكر رؤياه [illegible] لصلاة الصبح فجيئه بعد
موته غير ثابت رحمه الله اتى [illegible] وصية [illegible] عنه وابو بكر الصديق
والصحابة معه على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ الوصية بها وانتزاع الدرع ممن
هو في يده بها وهذا محض الفقه واذا كان ابو حنيفة واحمد ومالك يقبلون
قول المدعي من الزوجين ما يصلح له دون الآخر لقرينة صدقه فهذا أولى وكذلك
ابو حنيفة يقبل قول المدعي للخاتم بوجوه الأجر الى جنبه ومعاقد القمط
وقد شرع الله تحليف المرأة بأيمان الزوج وقرينة تكون لها فان ذلك من اظهر الادلة
على صدق الزوج وابلغ من ذلك قتل المقسم عليه في القسامة بأيمان المدعين
مع القرينة الظاهرة من اللوث وقد شرع الله سبحانه قبول قول المدعين لتركة
ميتهم اذا مات في السفر واوصى الى رجلين من غير المسلمين فاطلع الورثة على
خيانة الوصيين فانهما يحلفان بالله ويستحقان ويكون ايمانهما أولى من ايمان
الوصيين وهذا انزله الله في اخر الامر في سورة المائدة وهي اخر القرآن نزولا
ولم ينسخها شيء وعمل بها الصحابة بعده وهذا دليل على انه يقضى في الاموال
باللوث واذا كان الدم يباح في القسامة مع خطره فبان يقضى باللوث وهو
القرائن الظاهرة في الاموال أولى واحرى وعلى هذا عمل ولاة العدل في
استخراج السرقات من السراق حتى ان كثيرا ممن ينكر عليهم يسبهم اذا سرق
ماله وقد حكى الله سبحانه عن الشاهد الذي شهد من يوسف القد قوامراة
العزيز انه حكم بالقرينة على صدق يوسف وكذب المراة ولم ينكر الله ذلك
عليه بل حكاه عنه مقررا له واخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن نبي الله سليمان

ابن داود [...] بالقرينة التي ظهرت
له لما قال ايتوني بالسكين اشقه بينهما فقالت الكبرى نعم ورضيت بذلك
للتاسي به فدل على انها ليست صاحبته وقالت الاخرى لا تفعل هو ابنها فقضى به لها للشفقة
والرحمة التي قامت بقلبها حتى سمحت به للاخرى ويبقى حيا وتنظر اليه وهذا
من احسن الاحكام واعدلها وشريعة الاسلام تقرر مثل هذا وتشهد بصحته
وهل الحكم بالقيافة والحاق النسب بها الا اعتمادا على قرائن الشبه مع
اشتباهها وخفائها غالبا والمقصود ان القرائن التي قامت في رؤيا عوف بن
مالك وقصة ثابت بن قيس لا تقصر عن كثير من هذه القرائن بل هي اقوى من مجرد
وجوه الآجر ومعاقد القمط وصلاحية المتاع للمدعي دون الاخر في مسئلة
الزوجين والصانعين وهذا ظاهر لا خفاء به ونظر الناس وعقولهم تشهد بصحته
وبالله التوفيق والمقصود جواب السائل وان الميت اذا عرف مثل هذه الجزئيات
وتفاصيلها فمعرفته بزيارة الحي وسلامه عليه ودعائه له اولى واحرى
المسئلة الثالثة وهي ان ارواح الموتى هل تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ام لا فهي ايضا
مسئلة شريفة كبيرة القدر وجوابها ان الارواح قسمان ارواح معذبة وارواح
منعمة فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي والارواح
المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا
وما يكون من اهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل
عملها وروح نبينا في الرفيق الاعلى قال تعالى ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وحسن

وحسن اولئك رفيقا وهذه المعية [...] ثابتة في البرزخ وفي دار
الجزاء والمرء مع من احب في هذه الدور الثلاثة وروى جرير عن منصور عن ابي
الضحى عن مسروق قال قال اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنا ان نفارقك
في الدنيا فاذا مت رفعت فوقنا فلم نرك فانزل الله ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا وقال الشعبي جاء رجل من الانصار وهو يبكي الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا نبي الله والله الذي لا اله
الا هو لانت احب الي من اهلي ومالي والله الذي لا اله الا هو لانت احب
الي من نفسي وانا اذكرك انا واهلي فياخذني كذا حتى اراك فذكرت موتك
وموتي فعرفت اني لن اجامعك الا في الدنيا وانك ترفع في النبيين وعرفت
اني ان دخلت الجنة كنت في منزل ادنى من منزلك فلم يرد النبي صلى الله عليه
وسلم شيئا فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
الى قوله وكفى بالله عليما وقال يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية
مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي اي ادخلي في جملتهم وكوني معهم
وهذا يقال للروح عند الموت وفي قصة الاسرى من حديث عبد الله بن مسعود
قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم لقي ابراهيم وموسى وعيسى صلوات
الله عليهم فتذاكروا الساعة فبدؤوا بابراهيم فسالوه عنها فلم يكن عنده
منها علم ثم موسى فلم يكن عنده منها علم حتى اجمعوا الحديث الى عيسى فقال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عيسى عهد الله [illegible] بالله فاهبط فاقتله ورجع
الناس الى بلادهم فيبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون لا يمرون بماء الا
شربوه ولا يمرون بشئ الا افسدوه فجاروا الى الله تبارك وتعالى فدعوا الله فيميتهم
فتجأر الارض الى الله من زهمهم وجارون الى الله فادعوا يرسل الله السماء بالماء فتحمل اجسامهم
فتقذفها في البحر ثم تنسف الجبال وتمد الارض مد الاديم فعهد الله الى اذا كان كذلك
فان الساعة من الناس كالحامل المتم لا يدري اهلها متى تفاجئهم بولادتها ليلا او نهارا
ذكره الحاكم والبيهقي وغيرهما وهذا نص في مذاكرة الارواح العلم وقد اخبر الله تعالى
عن الشهداء انهم احياء عند ربهم يرزقون وانهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
من خلفهم بعد هم وانهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل وهذا يدل على ثلاثة اوجه
من دلالة أحدها انهم احياء عند الله واذا كانوا احياء فهم يتلاقون الثاني
انهم اذا استبشروا باخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم الثالث ان لفظ يستبشرون
يفيد في اللغة انهم يبشر بعضهم بعضا مثل يتباشرون وقد تواترت المرائي بذلك
ومنها ما ذكره صالح بن بشر قال رأيت عطاء السلمي في النوم بعد موته فقلت له يرحمك
الله لقد كنت طويل الخوف في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك فرحا طويلا
وسرورا دائما فقلت في اي الدرجات انت قال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وقال عبد الله بن المبارك رأيت سفيان الثوري
في النوم فقلت ما فعل الله بك قال لقيت محمدا وحزبه وقال صخر رأيت
عبد الله بن المبارك في النوم بعد موته فقلت أليس قدمت قال بلى قلت فما صنع الله
بك قال غفر لي مغفرة احاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال نحن ذاك مع

الذين

الذين انعم الله عليهم من النبيين [illegible] الصالحين وحسن اولئك
رفيقا وذكر ابن ابي الدنيا من حديث حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن حفصة
بنت راشد قالت كان مروان المحلم جارا لي وكان رياضيا تعبدا قالت فمات فوجدت
عليه وجدا شديدا قالت فرأيته فيما يرى النائم فقلت يا عبد الله ما صنع بك ربك
قال ادخلني الجنة قلت فما ذا قال رفعت الى اصحاب اليمين قلت فما ذا قال رفعت
الى المقربين قلت فمن رأيت من اخوانك قال رأيت الحسن وابن سيرين وميمون بن سياه
قالت حماد قال هشام بن حسان حدثني امرأة عبد الله وكانت من خيار نساء اهل البصرة
قالت رأيت فيما يرى النائم كاني دخلت دارا حسنة ثم دخلت بستانا ما ذكرت من
حسنه ما شاء الله فاذا انا برجل متكئ على سرير من ذهب وحوله الوصفاء باكواب
الاكاويب قالت فاني لمتعجبة من حسن ما ارى اذ قيل هذا مروان المحلم اهل توبة
فاستوى جالسا على سريره قالت واستيقظت من منامي فاذا جنازة مروان قد مرت
بها على باب تلك الساعة وقد جاءت مسندة صريحة بتلاقي الارواح وتعارفها قال ابن
ابي الدنيا حدثني محمد بن عبد الله بن مربع ابا الفضل بن سليمان الهجري حدثني عمي
بن عبد الرحمن بن ابي لبسة عن جده قال لما مات بشر بن البرا بن معرور وجدت
عليه امه بشر وجدا شديدا فقالت يا رسول الله انه لا يزال الهالك يهلك من بني
سلمة فهل تتعارف الموتى فارسل الى بشر بالسلام فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده يا ام بشر انهم ليتعارفون كما يتعارف الطير في رؤوس الشجر
فكان لا يهلك هالك من بني سلمة الا جاء ام بشر فقال ما فلان عليك السلام فيقول
وعليك فقول اقرأ على بشر السلام وذكر ابن ابي الدنيا من حديث سفيان عن عمرو بن

دينار عن عبيد بن عمير قال
فاذا أتاهم الميت قالوا ما فعل
فلان فيقول صالح ما فعل فلان فيقول أو لم يأتكم وما قدم
عليكم فيقولون لا فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سئل بئس ما سئلنا وقال صالح
المزني بلغني ان الارواح تبلى في عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح التي تخرج
اليهم كيف كان مئواك وفي اي الجسد كنت في طيب او خبيث ثم بكا حتى غلبه البكا
وقال عبيد بن عمير ايضا اذا مات الميت تلقته الارواح يستخبرونه كما يستخبر الركب
ما فعل فلان ما فعل فلان فاذا قال توفي ولم يأتهم قالوا ذهب به الى امه الهاوية
وقال سعيد بن المسيب اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب وقال
عبيد بن عمير لوالي ايس من لقي من مات من اهله الا لقاني مت كذا وذكر معاوية بن يحيى
عن عبد الرحمن بن سلمة ان ابا هريرة السمح حدثه ان ابا ايوب الانصاري حدثه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة
من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان
في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة
فاذا سألوه عن رجل مات قبله قال انه مات قبلي فقالوا انا لله وانا اليه راجعون
ذهب به الى امه الهاوية فبئست الام وبئست المربية وقد تقدم حديث يحيى بن
بسطام حدثني مسمع بن عاصم قال رأيت عاصما الجحدري في منامي بعد موته بسنين
فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فما رأيت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا
ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فتلقى اخبارك
قال قلت اجسادكم اراروا حكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تلقى الارواح

المسئلة

المسئلة الثالثة وهي اذ هو عن امو[illegible] ارواح الاموات فشواهد هذه
المسئلة وادلتها اكثر من ان تحصيها الا الله تعالى والحس والواقع من اعدل الشهود
فتلقى ارواح الاحياء والاموات كما تلقى ارواح الاحياء وقد قال تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل
الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قال ابو عبد الله بن
مندة ثنا احمد بن محمد بن ابراهيم حدثنا عبد الله بن الحسن الحراني حدثنا جدي احمد
بن ابي شعيب حدثنا موسى بن اعين عن مطرف بن جعفر بن ابي المغيرة عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال بلغني ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي
في المنام فيتساءلون عنهم فيمسك الله ارواح الموتى ويرسل ارواح الاحياء الى
اجسادها وقال ابن ابي حاتم في تفسيره حدثنا عبد الله بن سليمان ثنا الحسن
حدثنا عامر ثنا اسباط عن السدي في قوله والتي لم تمت في منامها قال يتوفاها
في منامها فتلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان قال فيرجع روح
الحي ليلا جسده في الدنيا الى بقية اجلها وترد روح الميت ان ترجع الى جسده
فتحبس وهذا احد القولين في الآية وهو ان الممسكة من توفيت وفاة الموت اولا
والمرسلة من توفيت وفاة النوم والمعنى على هذا القول انه يتوفى نفس الميت فيمسكها
ولا يرسلها الى جسدها قبل يوم القيمة ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها الى جسدها
الحي بقية اجلها فيتوفاها الوفاة الاخرى القول الثاني في الآية ان الممسكة
والمرسلة في الآية كلاهما تتوفى وفاة النوم فمن استكملت اجلها امسكها عنده
فلا يردها الى جسدها ومن لم تستكمل اجلها ردها الى جسدها لتستكمله

واخبار شيخ الاسلام رحمه الله [illegible] عليه الكتاب والسنة قال
فانه سبحانه ذكر امساكه التي قضى عليها الموت من هذه الانفس التي توفاها وفاة النوم
واما التي توفاها حين موتها فتلك لم يمسكها بامساك ولا بارسال بل هي من قسم الباقي
والذي يترجح هو القول الاول لانه اخبر سبحانه بوفاتين وفاة كبرى وهي وفاة الموت
ووفاة صغرى وهي وفاة النوم وقسم الارواح قسمين قسما قضى عليها الموت فامسكها
وهي التي توفاها وفاة الموت وقسما ابقاها الى اجل فردها الى اجلها الى استكمال
اجلها وجعل سبحانه الامساك والارسال حكمين للوفاتين المذكورتين اولا فهذه
ممسكة وهذه مرسلة واخبر ان التي لم تمت هي التي توفاها في منامها فلو كان قد قسم
وفاة النوم الى قسمين وفاة موت ووفاة نوم لم يقل والتي لم تمت فانها بين حين
قبضت ماتت وهو سبحانه وتعالى قد اخبر انها لم تمت فكيف تقول بعد ذلك
فيمسك التي قضى عليها الموت بعد ذلك والتحقيق ان الآية تتناول النوعين فانه
سبحانه ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة موت وذكر امساك المتوفاة وارسال
الاخرى ومعلوم انه سبحانه يمسك كل نفس ميت سواء مات في النوم او في اليقظة
ويرسل نفس من لم تمت فقوله يتوفى الانفس حين موتها يتناول من مات في اليقظة
او مات في المنام وقد دلت على التقاء ارواح الاحياء والاموات اذ الحي يرى
الميت في منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلمه الحي فيصادف خبره كما اخبر
في الماضي والمستقبل وربما اخبره بما لم يدفن في مكان لم يعلم به سواه وربما
اخبره بدين عليه وذكر له شواهده وادلته وابلغ من هذا انه يخبره بما عمله من
عمل لم يطلع عليه احد من العالمين وابلغ من ذلك انه يخبر بأنك تأتينا الى وقت

كذا يكون كما اخبر وربما اخبر عن امور [illegible] لم يعرفها وقد ذكرنا قصة
الصعب بن جثامة وقوله لعوف بن مالك ما قال له وذكرنا قصة ثابت بن قيس بن شماس
واخباره لمن رآه بدرعه وما عليه من الدين وقصة صدقة بن سليمان الجعفري واخبار
ابنه له بما عمل من بعده وقصة شبيب بن شيبة وقوله امه له بعد الموت جزاك الله
خيرا حيث لقنتها لا اله الا الله وقصة الفضل بن الموفق مع ابيه واخباره اياه بعلمه
بزيارته وقال محمد بن المسيب التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي فقال احدهما
لصاحبه ان مت قبل فالقني فاخبرني بما لقيت من ربك وان امت قبلك لقيتك فاخبرتك
وقال الآخر هل تلتقي الاموات والاحياء قال نعم ارواح المحسنين في الجنة تذهب حيث شاءت
قال فمات فلقيه في المنام فقال توكل وابشر فلم ار مثل التوكل قط وقال العباس
بن عبد المطلب كنت اشتهي ان ارى عمر في المنام فما رأيته الا بعد قرب الحول
فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغي ان كان عرش ربي ليهدلوا
اني رأيت ربا وفارحيما ولما حضرت شريح بن عابد اليماني الوفاة دخل عليه عصيف
بن الحارث وهو يجود بنفسه فقال يا ابا الحجاج ان قدرت على ان تأتي بعد الموت فخبرنا
بما ترى فقال وكانت كلمة مقبولة في اهل البقعة قال فمكث زمانا لا يراه ثم
رآه في منامه فقال ليس قد مت قال بلى قال فكيف حالك تجاوز ربنا عنا الذنوب
فلم يهلك منا الا الاحراض قلت وما الاحراض قال الذين يشار اليهم بالاصابع في البئر
وقال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز رأيت ابي في النوم بعد موته كأنه في حديقة
فدفع الي تفاحات فاولتهن الولد فقلت اي الاعمال وجدت افضل قال الاستغفار
اي بني ورأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته فقال يا امير المؤمنين

ليت شعري الى اي الحالات صرت [illegible] سلمة هذا اوان فراغي فالله ما استرحت
الا الى الآن قال فعلت فما رأيت يا امير المؤمنين قال مع ابنة الهدى في جنات عدن
وقال صالح البراد رأيت زرارة بن اوفى بعد موته فعلت رحمك الله ما ذا قيل لك
وما ذا قلت فاعرض عني فعلت ما ذا صنع الله بك قال تفضل على بجوده وكرمه فلت
فابوا الا علا اي يزداد خوه مطرف قال في الدرجات العلى فلت فاي الاعمال ابلغ فيما عند
قال التوكل وقصر الامل وقال مالك بن دينار رأيت مسلم بن يسار بعد موته فسلمت
عليه فلم يرد علي السلام فقلت ما يمنعك ان ترد علي السلام قال انا مت فكيف اردّ
عليك فلت له فما ذا لقيت بعد الموت قال لقيت والله اهوالا وزلازل عظاما شدادا
قال فقلت له فما كان بعد ذلك وما تراه يكون من الكريم قبلنا الحسنات وعفا لنا
عن السيئات وضمن عنا النجاة قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه قال فلبث بعد
ذلك اياما ثم رضا ثم انصدع قلبه فمات وقال سهل اخو حرمي رأيت خالد بن دينار
بعد موته فعلت يا ابا يحيى ليت شعري ما ذا قدمت بدعلى الله قال قدمت بذنوب كثيرة
لحقتها عني حسن الظن بالله عز وجل ولما مات رجل من حموه رأى امرأة عابدة فقالت
يا ابا المقدام الى ما صرت قال الى خير ولكن فزعنا بعدكم فزعة ظننا ان القيامة قد
قامت قال وتم ذلك قال دخل الجراح واصحابه الجنة بأنفاسهم للجنة حتى ازدحموا
على بابها وقال جعل بن مرة كان مورق العجلي اخا صدق فعلت له ذات يوم اينا مات
فليأت صاحبه فليخبره بالذي صار اليه قال فمات مورق فرأت اهلي في منامها كانه
اتانا كما كان ياتي ففزع الباب كما كان يقرعه قال فمت فصحت له كما كنت افتح وقلت
ادخل يا ابا المعتمر الى ان ياتي اخوك قال كيف ادخل وقد ذقت الموت انما جئت

تعلم

[illegible] علم جميلا بما صنع الله بي اعلمه [illegible] المقربين ولما مات محمد بن سيرين
حزن عليه بعض اصحابه حزنا شديدا فرآه في المنام في حال حسنة فقال يا اخي قد ادراك
في حال يسرني مما صنع الحسن فقال رفع فوقي بتسعين درجة قلت ولم ذاك وقد
كنا نرى انك افضل منه قال ذاك بطول حزنه وقال ابن عيينة رأيت سفيان
الثوري في النوم فقلت اوصني فقال اقلل من معرفة الناس وقال عمار بن سيف
رأيت الحسن بن صالح في منامي فقلت قد كنت متمنيا للقائك فما ذا عندك فخبرنا
به فقال ابشر فاني لم ار مثل حسن الظن بالله شيئا ولما مات ضيغم العابد رآه
بعض اصحابه في منامه فقال له ما صلت علي قال قد ذكرت له علة كانت فقال اما لو
كنت صليت علي ربحت رأسك ولما مات رابعة رأتها امرأة من اصحابها وعليها خلة
استبرق وخمار من سندس وخمار من صوف فقالت لها ما فعلت بالجلة التي كانت عليك
فيها والخمار الصوف فقالت والله لقد نزعه مني وابدلت بهذا الذي ترين علي
وطويت اكفاني وخبئ علي فيها ورفع في علين ليكمل ثوابها نور القيمة قال
فقلت لها لهذا كنت تعملين ايام الدنيا فقالت وما هذا عند ما رأيت من كرم الله
عز وجل لاوليائه فقلت لها انت فعلت عبدة بنت ابي كلاب قالت هيهات سبقتنا
والله الى الدرجات العلى قالت وقلت وبر وقد كنت عند الناس اعبد منها فقالت
انها لم تكن تبالي على اي حال اصبحت من الدنيا او امست فقلت فما فعل ابو مالك
يعني ضيغما فقال يزور الله تبارك وتعالى ما شيئا قال فلت فما فعل بشر بن
منصور فقالت نعم اعطي والله فوق ما كان يؤمل قال فلت يرضى بأمر اتقرب به
الى الله قالت عليك بذكر الله فبه شفاء ان تغتبطي بذلك في قبرك ولما مات

عبد العزيز بن سليمان العابد رآه بعض اصحابه وعليه ثياب خضر وعلى رأسه
اكليل من لؤلؤ فقال كيف كنت بعدنا وكيف وجدت طعم الموت وكيف رأيت
الامر هنالك فقال اما الموت فلا تسأل عن شدته كربه وغمه الا ان رحمة الله وارت
عنا كل عيب وما تلقانا الا بفضله وقال صالح بن بشر لما مات عطاء السلمي رأيته
في منامي فقلت يا ابا محمد ألست في نزعة الموت قال بلى قلت فما ذا صرت اليه
بعد الموت قال صرت والله الى خير كثير ورب غفور شكور قلت اما والله لقد كنت
طويل الحزن في دار الدنيا فتبسم وقال لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما
قلت فمع اي الدرجات انت قال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما مات عاصم الجحدري رآه
بعض اهله في منامه فقال أليس قد مت قال بلى فقلت فأين انت قال انا والله في
روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى قبر
بن عبد الله المزني فنتلقى انجاز كرامة وأحكم قال هيهات
بليت الاجساد وانما تتلاقى الارواح ورؤي الفضيل بن عياض بعد موته فقال
لزائر للعبد خير ابن زيد وكان يزيد الهمداني قد نجد حتى اخلق التراب جبهته
فلما مات رآه رجل من اهله في منامه وكأن موضع سجوده كهيئة الكوكب الدري
فقال ما هذا الأثر الذي اراه بوجهك قال كنت موضع السجود باكل التراب له
نورا قال قلت فما منزلتك في الآخرة قال خير منزل دار لا ينتقل عنها اهلها ولا
يموتون وقال ابو يعقوب القاري رأيت في منامي رجلا ادمر طوالا والناس
يتبعونه قلت من هذا قالوا اويس القرني فاتبعته فقلت أوصني رحمك الله

رحمه

فتكلم في وجهي فقلت مستوحشا فارشدني رحمك الله فاقبل علي وقال اتبع رحمة ربك
عند حبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى
وتركني وقال ان الملك رأيت مسعرا في النور فقلت اي الاعمال وجدت افضل قال
مجالس الذكر وقال الاجلح رأيت سلمة بن كهيل في النور فقلت اي الاعمال وجدت
افضل قال قيام الليل وقال ابو بكر بن ابي مريم رأيت وفاء بن بشر بعد موته فقلت
ما فعلت يا وفاء قال نجوت بعد كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال
البكاء من خشية الله عز وجل وقال الليث بن سعد عن موسى بن وردان انه رأى
عبد الله بن ابي حبيبة بعد موته فقال عرضت علي حسناتي وسيآتي فرأيت في
حسناتي جبات رمان التقطتهن فاكلتهن ورأيت في سيآتي خيطي حرير كانا في فلسوتي
وقال سعيد بن داود حدثني ابن اخي جويرية بن اسماء قال كنا بعباد ان وقد مر علينا شاب
من اهل الكوفة متعبد فمات بها في يوم شديد الحر فصلينا عليه ثم اخذنا في جهازه
فمن فرأيت في النور كانا في المقابر فاذا بيتين جوهر تتلالا حسنا وانا انظر اليها
اذ انفلق فاشرفت منها على جاريتين ما رأيت مثل حسنهما فاقبلت علي وقالت بالله
لا تجلسن عنا الى الظهر قال فالتفت فزعا واخذت في جهازه وحفرت له قبرا الى
الموضع الذي رأيت فيه الغبيط فدفنته فيه وقال عبد الملك بن عتاب الليثي
رأيت عامر بن عبد قيس في النور فسألته اي الاعمال وجدت افضل قال ما اريد
به وجه الله عز وجل وقال يزيد بن هارون رأيت ابا العلاء ايوب بن مسكين في
النور فقلت ما فعل بك ربك قال غفر لي قلت بماذا قال بالصوم والصلاة قلت رأيت
منصور بن زاذان فقال هيهات ذاك يرى قصره من بعد وقال يزيد بن هارون هلك

جارية في طاعون الجارف فلقيتها ابوها بعد موتها فقالت لها يا بنية اخبرني عن الآخرة
قالت يا ابة قد منا على امر عظيم تعلم ولا نعمل وتعلمون ولا تعلمون والله لتسبيحة
او تسبيحات اوركعة اوركعات في صحيفة عمل احب الى من الدنيا وما فيها وقالت
كثير بن مرة رأيت في منامي كاني دخلت درجة عليا في الجنة فجعلت اطوف بها
واتجب منها فاذا انا بفتاة من نساء المتعبدين في ناحية منها فهبت حتى سلمت عليها ثم
قلت بما بلغت هذه الدرجة قالت بسجدات وكسيرات وقالت مزاحم زوجة
عمر بن عبد العزيز عن فاطمة بنت عبد الملك امراة عمر بن عبد العزيز قالت انتبهت
عمر بن عبد العزيز ليلة فقالت رأيت رؤيا عجيبة قال فعلت جعلت فداك فاخبرني
بها فقالت لا اكلمك بها حتى اصبح فلما طلع الفجر خرج فصلى ثم عاد الى مجلسه
قالت فاغتنمت خلوته فقلت اخبرني بالرؤيا الذي رأيت قال رأيت كاني رفعت
الى ارض خضراء واسعة كانها بساط اخضر واذا فيها قصر ابيض كانه الفضة واذا
خارج قد خرج من ذلك القصر فهتف باعلا صوته يقول اين محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب اين رسول الله اذا اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل
ذلك القصر قال ثم ان اخر خرج من ذلك القصر فنادى اين ابو بكر الصديق اين
ابو قحافة اذا اقبل ابو بكر حتى دخل ذلك القصر ثم خرج اخر فنادى اين عمر بن
الخطاب فاقبل عمر حتى دخل ذلك القصر ثم خرج اخر فنادى اين عثمان بن عفان
فاقبل حتى دخل ذلك القصر ثم ان اخر خرج فنادى اين عمر بن عبد العزيز قال عمر
قمت حتى دخلت ذلك القصر قال فدفعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقوم
جلوس فجعلت بيني وبين نفسي ان اجلس فجلست الى جنب عمر بن الخطاب فنظرت فاذا

ابو بكر عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم واذا عمر عن يساره فقلت رسول الله
صلى الله عليه وسلم واذا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن ابي بكر رجل
فعلت من هذا الرجل الذي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فقال
هذا عيسى بن مريم فسمعت هاتفا يهتف ويلي وبليه بنتر نور يا عمر ابن عبد
العزيز تمتلك ما انت عليه واثبت على ما انت عليه ثم كانه اذن لي في الخروج فخرجت
فخرجت من ذلك القصر فالتفت خلفي فاذا انا بعثمان بن عفان وهو خارج من
ذلك القصر وهو يقول الحمد لله الذي نصرني ربي واذا علي بن ابي طالب في اثره
خارج من ذلك القصر وهو يقول الحمد لله الذي غفر لي ربي وقال سعيد بن ابي
عروبة عن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمر جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اتى بعلي ومعاوية فادخلا
بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع من ان خرج علي وهو يقول
قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع من ان خرج معاوية على اثره وهو يقول
غفر لي ورب الكعبة وقال حماد بن ابي هاشم جاء رجل الى عمر بن عبد العزيز فقال
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وابو بكر عن يمينه وعمر عن شماله
واقبل رجلان يختصمان واتيا بين يديه جالس فقال لك يا عمر اذا عملت فاعمل بعمل
هذين لابي بكر وعمر فاستيقظ عمر بالله ارأيت هذه الرؤيا فخلف فكان عمر
وقال عبد الرحيم بن غنم رأيت معاذ بن جبل بعد وفاته بثلاث على فرس ابلق
وخلفه رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو قد اتمر وهو يقول
يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ثم التفت عن يمينه وعن شماله

شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول يا ابن رواحة ما ان مظعون الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من
الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ثم رضا الحي وسلم علي وقال قبضه بن عقبه رأيت
سفيان الثوري فيما يرى النائم بعد موته فقلت له ما فعل بك ربك يا أبا عبد الله

فأنشأ يقول

نظرت الى ربي عيانا فقال لي هنيئا برضاي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل مدجا بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده وزرني فاني منك غير بعيد

وقال سفيان بن عيينة رأيت سفيان الثوري بعد موته يطير في الجنة من نخلة الى شجرة
ومن شجرة الى نخلة وهو يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقيل له بم دخلت الجنة قال
بالورع فقيل له فما فعل علي بن عاصم قال ما نراه الا مثل الكوكب وكان شجة بن
الحجاج ومسعر بن كدام قطن وكانا خليلين قال ابو احمد الزبيدي فرأيتهما بعد
موتهما فقلت ابا بسطام ما فعل الله بك فعاك وفقك الله لحفظه ما أقول

حباني الهي في الجنان بقبة لها الف باب من لجين وجوهرا
وقال لي الرحمن ما شعبة الذي تبحر في جمع العلوم فاكثرا
تشعر بقربي اني عنك ذو رضى وعن عبيدي القوام وجهي مسفرا
كني مسفرا عزا بأن سيزورني واكشف عن وجهي الكريم لينظرا
وهذا فعالي بالذين تنسكوا ولربا لفوا في سالف الدهر منكرا

وقال أحمد بن محمد الكبدي رأيت احمد بن حنبل في النوم فقلت أبا عبد الله ما فعل الله
بك قال غفر لي ثم قال يا احمد ضربت في سبيلي سوطا فلت نعم يا رب قال هذا وجهي قد

أخذك

أخذك فانظر اليه وقال أبو بكر أحمد بن محمد الحاج حدثني رجل من أهل طرسوس
قال دعوت الله عز وجل ان يريني أهل القبور حتى اسألهم عن احمد بن حنبل ما فعل
الله به فرأيت بعد عشر سنين كان أهل القبور قد فتحوا على قبورهم فنادوني
بالكلام فقالوا يا هذا كم تدعوا الله أن يريك إيانا نسألنا عن رجل لم يزل منذ
فارق فكر تحليه الملائكة تحت شجرة طوبى قال ابو محمد عبد الحق هذا الكلام من
أهل القبور انما هو اخبار عن علو درجة احمد بن حنبل وارتفاع مكانه وعظيم
منزلته فلم يقدروا ان يعبروا عن صفة حاله وعما هو فيه الا بهذا وما هو في معناه
وقال ابو جعفر السقا صاحب بشر الحارث رأيت بشرا الحافي ومعروفا الكرخي
وهما جاءا فقلت من أين فقالا من جنة الفردوس زرنا كليم الله موسى وقال عاصم
الجحدري رأيت في المنام كاني لقيت بشر بن الحارث فقلت من اين يا ابا نصر قال
من علي بن عاصم فقلت ما فعل احمد بن حنبل قال تركته الساعة مع عبد الوهاب الورّاق
بمزيدي الله عز وجل يأكلان ويشربان قلت له فأت قال علم الله قلة رغبتي في
الطعام فأباح لي النظر اليه وقال ابو جعفر السقا رأيت بشر بن الحارث في النوم
بعد موته فقلت يا أبا نصر ما فعل الله بك قال لطف بي ورحمني وقال يا بشر
لو سجدت لي في الدنيا على الجمر ما أديت شكر ما حشوت قلوب عبادي منك وأباح
لي نصف الجنة فأسرح فيها حيث شئت ووعدني أن تنظر لمن تبع جنازتي فعلت
فقلت ما فعل أبو منصور النمار فقال ذاك فوق الناس بصبره على بلائه وفقره
قال عبد الحق لعله اراد بقوله نصف الجنة نصف نعيمها لان نعيمها نصفان نصف
روحاني ونصف جثماني ويتنعمون أولا بالروحاني قال فاذا ردت الارواح الى

شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول يا ابن رواحة ما ان مظعون الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من
الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ثم رضا الحق وسلم علي وقال قبضه من عقيبه رأيت
سفيان الثوري فيما يرى النائم بعد موته فقلت له ما فعل بك ربك يا أبا عبد الله
فانشأ يقول

نظرت الى ربي عيانا فقال لي هنيئا برضاي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل مدلهم محزون وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر تريده وزرني فاني منك غير بعيد

وقال سفيان بن عيينة رأيت سفيان الثوري بعد موته يطير في الجنة من نخلة الى شجرة
ومن شجرة الى نخلة وهو يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقيل له بم دخلت الجنة قال
بالورع بالورع قيل له فما فعل علي بن عاصم قال ما نراه الا مثل الكوكب وكان شجة بن
الحجاج ومسعر بن كدام رجلا بغداد وكانا خليلين قال ابو احمد الزبيدي فرأيتهما بعد
موتهما فقلت ابا بسطام ما فعل الله بك فقال وفقك الله لحفظ ما أقول

حباني الهي في الجنان بقبة لها ألف باب من لجين وجوهرا
وقال لي الرحمن ما شعبة الذي تبحر في جميع العلوم فاكثرا
تبحر بقربي اني عنك ذو رضى وعن عبدي العوام وجهي مسفرا
كفى مسفرا عزا بأن سيزورني واكشف عن وجهي الكريم لينظرا
وهذا فعالي بالذين تنسكوا ولربا لفوا في سالف الدهر منكرا

وقال أحمد بن محمد الكبدي رأيت احمد بن حنبل في النوم فقلت أبا عبد الله ما فعل الله
بك قال غفر لي ثم قال يا احمد ضربت في ستين سوطا قلت نعم يا رب قال هذا وجهي قد

أبحناك فنظر اليه وقال أبو بكر أحمد بن محمد الحاج حدثني رجل من أهل طرسوس
قال دعوت الله عز وجل أن يريني أهل القبور حتى اسأله عن أحمد بن حنبل ما فعل
الله به فرأيت بعد عشر سنين كأن أهل القبور قد قاموا على قبورهم فبادروني
بالكلام فقالوا يا هذا كم تدعو الله أن يريك إيانا فسألنا عن رجل لم يزل منذ
فارقكم تحليه الملائكة تحت شجرة طوبى قال ابو محمد عبد الحق هذا الكلام من
أهل القبور انما هو إخبار عن علو درجة أحمد بن حنبل وارتفاع مكانه وعظيم
منزلته فلم يقدروا ان يخبروا عن صفة حاله وعما هو فيه الا بهذا وما هو في معنا
وقال ابو جعفر السقا صاحب بشر الحارث رأيت بشرا الحافي ومعروفا الكرخي
وهما جاءا فقلت من أين فقالا من جنة الفردوس زرنا كليم الله موسى وقال عاصم
الجحدري رأيت في المنام كأني لقيت بشر بن الحارث فقلت من أين يا ابا نصر قال
من علي بن فضيل فقلت ما فعل احمد بن حنبل قال تركته الساعة مع عبد الوهاب الوراق
بين يدي الله عز وجل يأكلان ويشربان قلت له فأت قال علم الله قلة رغبتي في
الطعام فأباحني النظر اليه وقال ابو جعفر السقا رأيت بشر بن الحارث في النوم
بعد موته فقلت يا أبا نصر ما فعل الله بك قال لطف بي ورحمني وقال يا بشر
لو سجدت لي في الدنيا على الجمر ما أديت شكر ما حشوت قلوب عبادي منك وأباح
لي نصف الجنة فأسرح فيها حيث شئت ووعدني أن تعفر لمن تبع جنازتي فقلت
فقلت فما فعل أبو منصور الثمار فقال ذاك فوق الناس بصبره على بلائه وفقره
قال عبد الحق لعله اراد بقوله نصف الجنة نصف نعيمها لان نعيمها نصفان نصف
روحاني ونصف جثماني يتنعمون أولا بالروحاني قال فاذا ردت الارواح الى

شبكة الألوكة www.alukah.net

الاجساد أصبت البصر الخبير الحمانى الى الروحانى وقال غيره بصير الجنة مرتب
على العلم والعمل وحظ بقدر من العمل كان أو نقص من حظه من العلم وقال بعض الصالحين
رأيت ابا بكر الشبلى فى المنام وكأنه قاعد فى مجلس الرصافة بالموضع الذى كان يقعد
فيه واذا اقبل وعليه ثياب جسان فقمت اليه وسلمت عليه وجلست بين يديه فقلت
من أقرب أصحابك اليك قال المحبون بذكر الله والمتوهمون بحب الله وأسرعهم مبادرة
الى مرضاة الله وقال ابو عبد الرحمن الساجى رأيت ميسرة بن سليم فى المنام فقلت
له طالت غيبتك فقال السفر طويل فقلت له فما الذى قدمت عليه فقال رخص لى
لانا كنا نفتى بالرخص قلت فما ترى بذا فقال اتباع الآثار وصحبة الأخيار
ينجيان من عذاب النار ويقربان من الجبار وقال ابو جعفر الضرير رأيت عيسى
بن زاذان بعد موته فقلت ما فعل الله بك فانشأ يقول

لو رأيت الجنان فى الخلد حولى واكاويب معصفر للشراب
يترنمن بالكتاب جميعا يمشين مشى بلات الثياب

وقال بعض أصحاب بن جريج رأيت كأنى جئت الى هذه المقبرة التى بمكة فرأيت
على بابها سرادقا ورأيت بها قبرا عليه سرادق وفسطاط وسدن فجئت حتى دخلت
فسلمت عليه فقلت يا أبا خالد ما بال هذه القبور عليها سرادق وقبرك عليه
سرادق وفسطاط وفيه بندره قال فانى كثير الصيام فقلت فأين قبر ابن جريج
دلنى عليه فدفعت اجالسه وانا احب ان اسلم عليه فقال هكذا بيدى هيهات
وأدار اصبعه السبابة وابن قبر ابن جريج رفعت صحيفته فى عليين ورأى
حماد بن سلمة فى النوم بعض اصحابه فقال له ما فعل الله بك فقال قال لى

قال ما كدت تنعسك فى الدنيا فاليوم اطيل راحتك وراحة المتعبين وهذا
باب طويل فان لم تسمح نفسك بتصديقه وقلت هذه منامات وهى غير معصومة
فتأمل من رآى صاحبا له او قريبا أو غيره فاخبره بامر لا يعلمه الا صاحب
الرؤيا او اخبره بمال دفنه هو او غيره او حذره من أمر يقع او بشره بامر يوجد
فوقع كما قال او اخبره بانه يموت هو او بعض أهله لذلك او لذا فيقع كما
أخبره او اخبره بخصب او جدب او عدو او نازلة او مرض يعرض له فوقع كما
أخبر والواقع من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى والناس مشتركون فيه وقد رأينا
نحن وغيرنا من ذلك عجائب وابطل من ذلك من قال ان هذه كلها علوم وعقائد فى النفس
تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم وهذا عين
الباطل والمحال فان النفس لم تكن فيها قط معرفة هذه الامور التى تخبر بها الميت
ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة عليها ولا امارة بوجه ما ونحن لا ننكر
أن الامر قد يقع كذلك وان من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصورة الاعتقاد
بل كثير من رآى الناس انما هى من مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق
فان الرؤيا على ثلاثة أنواع رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا من حديث
النفس والرؤيا الصحيحة اقسام منها الهام يلقيه الله سبحانه وتعالى فى قلب
العبد وهو كلام يكلم به الرب عبدا فى المنام كما قال عبادة بن الصامت
وغيره ومنها مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها ومنها لقاء روح
الناظر بأرواح الموتى من اهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم كما ذكرناه ومنها
عروج روحه الى الله سبحانه وخطابها له ومنها دخول روحه الجنة

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومشاهدتها وغير ذلك فالتقاء ارواح الاحياء والاموات نوع من انواع الرؤيا
الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات وهذا موضع اضطرب فيه الناس
فمن قائل ان العلوم كلها كامنة في النفس وانما استغناها بعالم الحس تحجب عنها
مطالعتها فاذا تجردت بالموت رأت منها بحسب استعدادها ولما كان تجردها
بالموت اكمل كانت علومها ومعارفها هناك اكمل وهذا فيه حق وباطل فلا يرد كله
ولا يقبل كله فان تجرد النفس يطلعها على علوم ومعارف لا تحصل دون التجرد
لكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذي بعث به رسوله وعلى تفاصيل
ما اخبر به عن الرسل الماضية والامم الخالية وتفاصيل المعاد واشراط الساعة
وتفاصيل الامر والنهي والاسماء والصفات والافعال وغير ذلك مما لا يعلم الا بالوحي
ولكن تجرد النفس يعوانها على معرفة ذلك وتلقيه من معدنه اسهل واقرب
واكثر مما تحصل النفس المنغمسة في الشواغل البدنية ومن قائل ان هذه المرائي
علوم يخلقها الله في النفس ابتداء بلا سبب وهذا قول منكري الاسباب والحكم
والقوى وهو قول مخالف للشرع والعقل والفكرة ومن قائل ان الرؤيا امثال
مضروبة يضربها الله للعبد بحسب استعداده والقاه على ملك الرؤيا فمرة
يكون مثلا مضروبا ومرة يكون نفس ما رآه الرائي فيطابق الواقع مطابقة العلم
المعلوم وهذا اقرب من القولين قبله ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه بل
لها اسباب اخر كما تقدم من ملاقاة الارواح واخبار بعضها من بعض ومن
التقاء الملك في القلب والروح ومن رؤية الروح للاشياء مكاشفة بلا واسطة
وقد ذكر ابو عبد الله بن مندة الحافظ في كتاب النفس والروح من حديث

محمد بن جميل ثنا عبد الرحمن بن محمد الدوني ثنا الازهر بن عبد الله الازدي عن محمد
بن عجلان عن سالم بن عبد الله عن ابيه قال لقي عمر بن الخطاب علي بن ابي طالب
فقال له يا ابا الحسن رأيتما شهدت وغبنا ورأيتما شهدنا وغبت ثلاث اسألك عنهن
فهل عندك منهن علم فقال علي بن ابي طالب وما هن فقال الرجل يحب الرجل ولم ير
منه خيرا او الرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا فقال علي نعم سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الارواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشام
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقال عمر واحدة قال عمر والرجل
يحدث الحديث اذ نسيه فبينما هو قد نسيه اذ ذكره فقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من القلوب قلب الا وله سحابة كسحابة القمر
بينا القمر يضيء اذ تجللته سحابة فأظلم اذ تجلت فاضاء وبينا القلب يحدث اذ تجللته
سحابة فنسي اذ تجلت عنه فذكر فقال عمر اثنان وقال والرجل يرى الرؤيا
فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما من عبد ينام فيتخلى نوما الا عرج بروحه الى العرش فالذي لا يستيقظ
دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فهي التي
تكذب فقال عمر بن الخطاب ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي اصبتهن قبل
الموت وقال بقية بن الوليد ثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر الحضرمي
قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عجبت لرؤيا الرجل يرى الشيء لم يخطر له على
بال فيكون كأخذ بيد ويرى الشيء فلا يكون شيئا فقال علي بن ابي طالب يا امير المؤمنين
تقول الله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك

الى

التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى قال والارواح يعرج بها في منامها فما رأت وهي في السماء فهو الحق فاذا ارتدت الى أجسادها فالقتها الشياطين في الهواء فكذبتها فما رأت منها فهو الباطل قال فجعل عمر يتعجب من قول علي قال ابن مندة هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره ويروى عن ابي الدرداء وغيره وذكر الطبراني من حديث علي بن زيد طلحة ان عبد الله بن عباس قال لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين أشياء أسألك عنها قال سل عما شئت قال يا أمير المؤمنين ترى الرجل ثم ينسى وتم تصدق الرؤيا وتم تكذب فقال له عمر ان على القلب طخاة مثل طخاة القمر فاذا تغشت القلب نسي ابن آدم فاذا انجلت ذكر ما كان نسي واما تم تصدق الرؤيا وتم تكذب فان الله عز وجل يقول الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فمن دخل منها في ملكوت السموات فهي التي تصدق وما كان منها دون ملكوت السماء فهي التي تكذب وروى ابن لهيعة عن عثمان بن نعيم الرعيني عن ابي عثمان الاصبحي عن ابي الدرداء قال اذا نام الرجل عرج بروحه حتى يرى بها العرش فان كان طاهرا أذن لها بالسجود وان كان جنبا لم يؤذن لها بالسجود وروى جعفر بن عون عن ابراهيم الهجري عن ابي الاحوص عن عبد الله بن مسعود انه قال ان الارواح جنود مجندة تتلاقى في السماء كما تسمى الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ولم تزل الناس قديما وحديثا تعرف هذه أو تشاهده قال علي بن حميد بن معمر الهدرى

اظل نهاري مستهاما وليلتي مع الليل روحي في المنام وتزورها

فان قيل فالناس يرى غيره من الاحياء يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة

وكون المرئي يقظان روحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحاهما فيما يرى هذا اما ان يكون مثلا مضروبا لضرب مثل الرؤيا أو يكون حديث نفس من الرآي تجرد له في منامه كما قال حبيب بن أوس

سقيا لضيفك من زوار لا لبث حدث تغيب عنه وهو مشغول

وقد يناسب الروحان ويشتد علاقة احدهما بالاخرى ويشعر كل منهما ببعض ما يحدث لصاحبه وان لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما وقد شاهد الناس من ذلك عجائب والمقصود ان أرواح الاحياء تتلاقى في الهواء فتتعارف او تتناكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لائق بها من خير او شر قال وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكا علمه والهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومنقلبها اي في دينها ودنياها وطبيعتها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شئ ولا يغلط فيها فيأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الانسان من خير او شر في دينه ودنياه ويضرب له فيها الامثال والاشكال على قدر عادته وتارة تبشره بخير قد مضى أو تقدمه وتنذره من مصيبة ارتكبها او هو مرتكبها وتدله بما يأتي من المكروه انعقدت أسبابه لتعارض تلك الاسباب بأسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله في الرؤيا نعمة منه ورحمة واحسانا وتذكيرا وتعريفا وجعل احد طرفي ذلك تلاقي الارواح وتذاكرها وتعارفها وكم ممن استغنى وأصاب كنزا أو دفينا عن منام وفي كتاب المجالسة لابي بكر احمد بن مروان المالكي عن ابن قتيبة عن ابي حاتم عن الاصمعي عن المعتمر بن سليمان عن حميد قال خرجنا مرة في سفر وكنا لا نكاد نفترق فرأينا في المصباح

شبكة الألوكة www.alukah.net

خرج من أبيه فدخل خانا فرتب بابه ثم رجع فدخل الغد فاستيقظ بمسح وجهه وقال
رأيت عجبا رأيت في هذا الخان كذا كذا قد دخلناه فوجدنا فيه بعيته من كنز كان
وهذا عبد المطلب قد أتى المؤامل عن زمزم وأصاب الكنز الذي كان لهناك وهذا
عمير بن وهب أتى في منامه فقيل له قم إلى موضع كذا وكذا فاحفره تجد مال أبيك
وكان أبوه قد دفن مالا ومات ولم يوص به فأتى عمير من توه فاحتفر حيث أمره
فأصاب عشرة آلاف دينار وتركه كثيرا فقضى دينه وحسن حاله وحال أهل
بيته وكان ذلك عقب اشتلائه فقالت له الصغرى من بناته يا أبة ربنا هذا
الذي حبانا بدينه خير من تغيل والعرى ولولا أنه كذلك ما ورثك هذا المال
وإنما عبدته أياما قلائل قال على رسلك طالب الغير وإني وأبي العباس وأما جده
عمير هذا واستخراجه المال بالمنام فأعجب مما كان عندنا وشاهدناه في عصرنا
ودينا من أبي عبد الله التقاشي وكان رجلا صالحا مشهورا بإجابة الأموات وسؤاله
عن الغايات ونقله ذلك إلى أهل مصر وقرابا بمصر حتى اشتهر ذلك وكثر منه فكان
المرء يأتيه يشكو إليه أن جميمة قد مات من غير وصية وله مال لا يهتدي
لمكانه فيعده خيرا ويدعو الله في ليلته فيتراءى له الميت الموصوف فيسأله عن
الأمر فيخبره به فمن نوادر أن امرأة عجوزا من الصالحات توفت ولا مرأة عندها
سبعة دنانير وديعة فجاءت اليد صاحبة الوديعة وشكت ما نزل بها وأخبرته
باسمها واسم الميت صاحبتها ثم عادت اليه من الغد فقال لها تقول لك فلانة
عدي من تحت بيتي سبع خشبات تجدي الدنانير في السابعة في خرقة صوف
ففعلت ذلك فوجدتها كما وصف لها فقال وأخبرني رجل لا أظنه كذبا قال

استأجرني

استأجرني امرأة من أهل الدنيا على هدم دارها وبنائها معلوم فلما أخذت في
الهدم لزمت الغلة هي ومن معها فقلت ما لك قالت وما هو قال فلان يقضي إليه.
وتسأله أن يبيت قصتها الليلة فلعله يرى أباك فيدله على مكان ماله بلا تعب
ولا كلفة فذهبت إليه ثم عادت إلينا فزعمت أنه كتب اسمها واسم أبيها عنده
فلما كان من الغد بكرت إلى العمل وجاءت المرأة من عند الرجل فقالت از الرجل قال
لي رأيت أباك وهو يقول المال في الخبية قال فجعلنا نحفر تحت الخيمة وفي جوابها
حتى لاح لي شق وإذا المال فيه قال فأخذنا في البحث والمرأة تستحثنا ما وجدت
وتقول مال أبي كان أكثر من هذا ولكني أعود إليه فمضت فأعلمته ثم سألت المعاودة
فلما كان من الغد أتت وقالت إنه قال لها إن أباك يقول لك احفري تحت الخابية
المرتبعة التي في مخزن الزيت قال ففتحت المخزن فإذا الخابية مرتبعة في الركن فأزلناها
وحفرنا تحتها فوجدنا كوزا كبيرا فأخذته ثم دارت الطمع في المعاودة ففعلت
فرجعت من عنده وعليها الكآبة فقالت زعم أنه رآه وهو يقول له قد أخذت
ما قدر لها وأما ما بقي فقد جلس عليه عفريت من الجن يحرسه الى من قدر له والحكايات
في هذا الباب كثيرة جدا وأما من حصل له الشفا باستعمال دوا رآه في منام
وصفه له في منامه فكثير جدا وقد حدثني غير واحد ممن كان يأتي الى شيخ الإسلام
ابن تيمية أنه رآه بعد موته وسأله عن شيء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض
وغيرها فأجابه بالصواب وبالجملة هذا أمر لا ينكره إلا من هو من أجهل الناس
بالأرواح وأحكامها وشأنها وبالله التوفيق المسألة الرابعة وهي أن الأرواح
هل تموت بموت البدن وحده وقد اختلف الناس في هذا فقالت طائفة

تموت وتذوق الموت لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت قالوا وقد دلت الأدلة على
أنه لا يبقى إلا الله وحده قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والإكرام وقال تعالى كل شئ هالك إلا وجهه قالوا وإذا كانت
الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت قالوا وقد قال تعالى عن أهل النار
أنهم قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فالموتة الأولى لهذه المشهودة هي
للبدن والأخرى للروح وقال آخرون لا تموت الأرواح فإنها خلقت للبقاء وإنما
تموت الأبدان قالوا وقد دل على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها
بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله إلى جسدها ولو ماتت الأرواح لانعطل النعيم
والعذاب وقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل
أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين
لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذا مع القطع
بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاقت الموت والصواب أن يقال
موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فإن أريد بموتها هذا
القدر فهي ذائقة الموت وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهي
لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب كما سيأتي
إن شاء الله تعالى بعد هذا وكما صرح به النص أنها كذلك حتى يردها الله في جسدها

وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم ... إلا على شجب والخلف في شجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل يترك جسم المرء في العطب

فإن قيل فبعد النفخ في الصور هل تبقى الأرواح حية كما هي أو تموت ثم تحيا قيل
قد قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء
الله فهذا استثنى الله بعض من في السموات ومن في الأرض من هذا الصعق وقيل
هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وهذا قول مقاتل وغيره وقيل هم
الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها
قاله أبو إسحاق بن شاقلا من أصحابنا وقد نص الإمام أحمد على أن الحور العين لا يمتن
عند النفخ في الصور وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة لا يذوقون فيها الموت إلا
الموتة الأولى وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك الموتة الأولى فلو ماتوا مرة
ثانية لكانت موتتان وأما قوله أهل النار ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين
فسيأتي تفسير هذه الآية والآية التي في البقرة وهي قوله تعالى كيف تكفرون
بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكانوا أمواتا وهم نطف في
أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم
يوم النشور وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة وإلا كانت
ثلاث موتات وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها وفي
الحديث الصحيح أن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى
آخذ بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أو جوزي بصعقة يوم الطور فهذا
صعق في موقف القيامة إذا جاء الله سبحانه وتعالى لفصل القضاء وأشرقت الأرض
بنور ربها فحينئذ تصعق الخلائق كلهم قال الله تعالى فذرهم حتى يلاقوا يومهم
الذي فيه يصعقون ولو كان هذا الصعق موتا لكانت موتة أخرى وقد ثبت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لهذا جماعة من الفضلاء فقال أبو عبد الله القرطبي ظاهر هذا الحديث أن هذه الصعقة
تكون يوم القيمة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور قال وقد قال شيخنا أحمد
بن عمر وظاهر حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على أن هذه الصعقة انما هي بعد
النفخة الثانية نفخة البعث ونص القرآن يقتضي أن ذلك الاستثناء انما هو بعد
نفخة الصعق ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل أن يكون موسى ممن لم يمت من الأنبياء
وهذا باطل وقال القاضي عياض يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد
النشور حين تشق السموات والارض قال مستقبل الأحاديث والآيات ورد
عليه ابو العباس القرطبي وقال يرد هذا قوله في الحديث الصحيح انه من يخرج من
قبره يلقى موسى آخذا بقائمة العرش قال وهذا انما هو نفخة الفزع قال ابو عبد
الله وقال شيخنا احمد بن عمر والذي يزيح هذا الاشكال ان شاء الله أن الموت
ليس بعدم محض وانما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك أن الشهداء بعد
قتلهم وموتهم احياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الاحياء
في الدنيا واذا كان هذا في الشهداء كان الانبياء بذلك احق واولى مع انه قد صح
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وأن النبي صلى الله
عليه وسلم اجتمع بالانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس وفي السماء وخصوصا بموسى
وقد اخبر بانه ما من مسلم يسلم عليه الا رد الله روحه حتى يرد عليه السلام
الى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الانبياء انما هو راجع الى أن غيبوا
عنا بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين احياء فاذا نفخ في الصور نفخة الصعق
صعق كل من في السموات والارض الا من شاء الله فاما صعق غير الانبياء فموت

وأما

وأما صعق الانبياء فالاظهر أنه يغشى فاذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حي ومن
غشي عليه افاق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته فاكون
أول من يفيق فبينا أنه اول من يخرج من قبره مثل جميع النابر الاموتى فاذا حصل
فيه يرد هل بعث قبله من غشية او بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق
مغيبا لانه حوسب بصعقة يوم الطور وهذه فضيلة عظيمة لموسى ولا يلزم
من فضيلة واحدة أفضلية موسى على نبينا مطلقا لان الشيء الجزئي لا يوجب امرا
كليا انتهى قال ابو عبد الله القرطبي ان حمل الحديث على صعقة الموت عند
النفخ في الصور فيكون ذكر يوم القيمة مرادا به مرة واحدة فالمعنى اذا نفخ في الصور
نفخة البعث كنت اول من يرفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا
أدري افاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور قلت وحمل الحديث على هذا لا يصح لانه
صلى الله عليه وسلم ترد د هل افاق موسى قبله ام لم يصعق بل جوزي بصعقة
الطور فالمعنى لا أدري اصعق أم لم يصعق ولو كان المراد به الصعقة الاولى
وهي صعقة موت لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد خبر بموته وترد د هل مات
موسى أم لم يمت وهذا باطل لوجوه كثيرة فعلم انها صعقة فزع لا صعقة موت
وحينئذ فلا تدل الآية على أن الارواح كلها تموت عند النفخة الاولى بل ترد د
على موت الخلائق عند النفخة الاولى وكل من لم يذق الموت قبلها فانه يذوقها
حينئذ واما من ذاق الموت او لم يكتب عليه الموت مثلا فلا تدل الآية على أنه
يموت موتة ثانية والله اعلم فان قيل فكيف تصنعون بقوله في الحديث ان الناس
يصعقون يوم القيمة فاكون أول من تنشق عنه الارض فاجد موسى باطشا بقائمة

شبكة الألوكة www.alukah.net

العرش قبل لا ريب ان هذا اللفظ قد ورد هكذا ومن هنا نشأ الاشكال ولكنه دخل فيه
على الراوي حديث في حديث ترك بين اللفظين فجاء هذا والحديث شاهد هكذا احدهما ان الناس
يصعقون يوم القيمة فاكون اول من يفيق والثاني هذا انا اول من تنشق عنه الارض
يوم القيمة ففي الترمذي وغيره من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر بيدي لواء الحمد ولا فخر
وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض
ولا فخر قال الترمذي حديث حسن صحيح فدخل على الراوي هذا الحديث في الاخر
قال شيخنا ابو الحجاج الحافظ يقول ذلك فان قيل فما تصنعون بقوله فلا ادري
افاق قبلي ام كان ممن استثنى الله عز وجل والذين استثناهم الله هم مستثنون
من صعقة النفخة لا من صعقة يوم القيمة كما قال الله تعالى ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولم يقع الاستثناء من صعقة
الخلائق يوم القيمة قيل هذا والله اعلم غير محفوظ وهو من وهم بعض الرواة
والمحفوظ ما تواطأت عليه الروايات الصحيحة من قوله فلا ادري افاق قبلي
ام جوزي بصعقة الطور فظن بعض الرواة ان هذه الصعقة هي صعقة
النفخة وان موسى داخل فيمن استثنى منها وهذا لا يلتئم على مساق الحديث قطعا
فان الافاقة حينئذ هي افاقة البعث فكيف يقول لا ادري ابعث قبلي ام جوزي
بصعقة الطور فتأمله وهذا بخلاف الصعقة التي يصعقها الناس يوم القيمة
فاذا جاء الله لفصل القضاء بين العباد وتجلى لهم فانهم يصعقون جميعا واما موسى
صلى الله عليه وسلم فان كان لم يصعق معهم فيكون قد جوزي بصعقة يوم تجلى ربه

للجبل فجعله دكا فجعلت صعقته هذا التجلي عوضا له من صعقة الخلائق لتجلي الرب يوم
القيمة فتأمل هذا المعنى العظيم فلو لم يكن في الجواب الا كشف هذا الحديث وشبهه
لكان حقيقا ان يعض عليه بالنواجذ فلله الحمد والمنة المسئلة الخامسة وهي ان
الارواح بعد مفارقة الابدان اذا تجردت بأي شيء تتميز بعضها من بعض حتى تتعارف
وتتخلاقى وهل تتشكل اذا تجردت بشكل بدنها التي كانت فيه وتلبس صورته او
كيف يكون حالها فهذه مسئلة لا تكاد تجد من تكلم فيها ولا تظفر فيها من كتب الناس
بطائل ولا غير طائل ولا سيما على اصول من يقول بانها مجردة عن المادة وعلائقها
وليست مداخل العالم ولا خارجة ولا لها شكل ولا قدر ولا شخص فهذا السؤال
على اصولهم مما لا جواب لهم عنه وكذلك نقول هي عرض من اعراض البدن فتميزها
عن غيرها مشروط بتحيزها بدنها ولا تميزها بعد الموت بل لا وجود لها على اصولهم
بل تعدم وتبطل باضمحلال البدن كما تبطل سائر صفات الحي ولا يمكن جواب هذه
المسئلة الا على اصول اهل السنة التي تظاهرت عليها ادلة القرآن والسنة
والاعتبار والآثار والعقل والقول انها ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل
وتستمهل وتخرج وتذهب وتجيء وتتحرك وتسكن وعلى هذا اكثر من مائة دليل
قد ذكرناها في كتابنا الكبير في معرفة الارواح والنفس وسائر ما خالف
هذا القول من وجوه كثيرة وان من قال غيره لم يعرف نفسه وقد وصفها الله
بتجاذب الدخول والخروج والقبض والتوفي والرجوع وصعودها الى السماء
وفتح ابوابها لها وغلقها عنها فقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت
والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم وقال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وهذا يقال لها
عند المفارقة للجسد وقال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها
فاخبر انه سوى النفس كما سوى بدنه بل سوى بدنه كالقالب لنفسه فتسوية
البدن تابع لتسوية النفس والبدن موضوع لها كالقالب موضوع لما هو له ومن
ها هنا يعلم انها تأخذ من بدنها صورة تميزها عن غيرها كما انها تباشر وتنفعل
عن البدن كما تباشر البدن وينفعل عنها فمكتسب الطيب والخبيث من طيب النفس
وخبيثها ومكتسب النفس الطيب والخبيث من طيب البدن وخبيثه فاشبهت
الاشياء ارتباطا وتناسبا وتفاعلا وتأثرا بين احدهما بالاخر الروح والبدن
ولهذا يقال لها عند المفارقة اخرجي ايتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب
واخرجي ايتها الروح الخبيثة كانت في الجسد الخبيث وقال تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى
الى اجل مسمى فوصفها بالتوفي والامساك كما وصفها بالدخول والخروج والتسوية
وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان بصر الميت يتبع نفسه اذا قبضت واخبر ان
الملك يقبضها فاخذها الملائكة بمزبده فيوجد لها كاطيب نفحة مسك وجدت
على وجه الارض او كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض والاعراض الريح
لها ولا تمسك ولا تؤخذ بمزبد الى يد واخبر انها تصعد الى السما ويصلي عليها كل
ملك لله من السما والارض وانها تفتح لها ابواب السما فتصعد من سما الى سما حتى
تنتهي بها الى السما التي فيها الله عز وجل موقف بين يديه ويأمر بكتابة اسمها في
ديوان اهل عليين او ديوان اهل سجين ثم ترد الى الارض وان روح الكافر تطرح

طرحا وانها تدخل مع البدن في قبره للسؤال وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان
نسمة المؤمن وهي روحه طاير تعلق في شجر الجنة حتى يرد ها الى جسدها واخبر
ان ارواح الشهدا في حواصل طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
واخبر ان الروح تنعم وتعذب في البرزخ الى يوم القيمة وقد اخبر سبحانه عن
ارواح قوم فرعون انها تعرض على النار غدوا وعشيا قبل يوم القيمة وقد اخبر
سبحانه عن الشهدا بانهم احيا عند ربهم يرزقون وهذه حياة ارواحهم ورد ها
والا فلا بد ان قد تمزق وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحياة ان
ارواحهم في جوف طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث
شاءت حتى تاوي الى تلك القناديل فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون
شيأ قالوا اي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل بهم ذلك ثلاث
مرات فلما راوا انهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا
حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى وصح عنه صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهدا
في طير خضر تعلق من ثمر الجنة وتعلق بضم اللام اي تاكل العلفة وقال ابن عباس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم
في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة
بالعرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم
قالوا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا
عن الحرب فقال الله انا ابلغهم عنكم فانزل الله عز وجل على رسوله ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون الآيات رواه

الامام احمد وهذا صريح فى اكلها وشربها وحركتها وانتقالها وكلامها وسيأتى
مزيد لتقرير ذلك عن قريب ان شاء الله تعالى واذا كان هذا شأن الارواح فتميزها
بعد المفارقة يكون اظهر من تميز الابدان والاشباه منها ابعد من اشتباه الابدان
فان الابدان تشتبه كثيرا واما الارواح فقل ما تشتبه يوضح هذا انا لم نشاهد
ابدان الانبياء والصحابة والائمة وهم متميزون فى علمنا اظهر تميز وليس ذلك
التميز راجعا الى تجرد ابدانهم وان ذكرنا من صفات ابدانهم ما اختص به احدهم
عن الاخر بل التميز الذى عندنا مما علمناه وعرفنا من صفات ارواحهم وما
قام بها وتميز الروح وصفاتها اعظم من تميز البدن عن البدن وصفاته الا ترى
ان بدن المؤمن والكافر قد يشتبهان كثيرا وتمتاز روحيهما اعظم التباين
والتمايز وانت ترى اخوين شقيقين مشتبهين فى الخلقة غاية الاشتباه ومن
روحيهما غاية التباين فاذا تجردت هاتان الروحان كان تميزهما فى غاية الظهور
واخبرك بامر اذا تأملت احوال الانفس والابدان رشاهدته عيانا قل ان
ترى بدنا قبيحا وشكلا شنيعا الا وجدته مركبا على نفس تشاكله رتناسبه وقل
ان ترى امة فى بدن الا وفى روح صاحبها امة تناسبها ولهذا تأخذ اصحاب
الفراسة احوال النفوس من اشكال الابدان واحوالها قل ان تخطئ ذلك وحكى
عن الشافعى فى ذلك عجائب وقل ان ترى شكلا حسنا وصورة جميلة وتركيبا لطيفا
الا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له هذا ما لم يعارض ذلك ما يوجب
خلافه من تعلم وتدرب واعتياد واذا كانت الارواح الطيبة وهم الملائكة
متميزا بعضهم عن بعض من غير اجسام تحملهم وكذلك الجن متميزا ارواح البشرية

على

اولى المسئلة السادسة وهى ان الروح هل تعاد الى الميت فى وقت السؤال او لا
تعاد فقد كفانا رسول الله صلى الله عليه وسلم امر هذه المسئلة واغنانا عن
اقوال الناس حيث صرح باعادة الروح اليه فقال البراء بن عازب رضى الله
عنه كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فاتانا النبى صلى الله عليه وسلم فقعد
وقعدنا حوله كان على رؤسنا الطير وهو يحدث فقال استعيذوا بالله من عذاب
القبر ثلاث مرات ثم قال ان العبد اذا كان فى اقبال من الاخرة وانقطاع من الدنيا
نزلت اليه الملائكة كان على وجوههم يجلسون منه مد البصر ثم جاء ملك الموت حتى
يجلس عند راسه فيقول ايتها النفس المطمئنة اخرجى الى مغفرة من الله ورضوان
قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها فاذا اخذها لم يدعوها
فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج
منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها فلا يمرون
بها يعنى على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان
بن فلان باحسن اسمائه التى كانوا يسمونه فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا
فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها حتى ينتهى
بها الى السماء التى فيها الله عز وجل فيقول بنزديد ويأمر بكتابة اسمه فيقال
اكتبوا كتاب عبدى فى عليين واعيدوه الى الارض فانى منها خلقتهم وفيها اعيدهم
ومنها اخرجهم تارة اخرى قال فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه
ويقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الاسلام
فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وشر فيقال له وما عملك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من
السما أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها
وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب
الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك
الوجه الذي يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى
أهلي ومالي قال وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة
نزل إليه من السما ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر حتى يجيء
ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها الروح الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله
وغضب قال فيفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع الصفود من الصوف المبلول
فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في ذلك المسوح
ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون
على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بأقبح أسمائه التي
كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السما الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم
قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السما ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض
السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السما فتخطفه الطير
أو تهوي به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه
فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي
بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السما أن كذب فأفرشوه من

النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف
فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي
يسوءك هذا يومك الذي توعد فيقول رب لا تقم الساعة رواه الإمام أحمد
وأبو داود وروى النسائي وابن ماجة أوله ورواه أبو عوانة الإسفرائيني في
صحيحه وذهب إلى القول بموجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث من
سائر الطوائف وقال أبو محمد بن حزم في كتاب الملل والنحل له وأما من ظن أن الميت
يحيى في قبره قبل يوم القيمة فخطأ لأن الآيات التي ذكرنا تمنع من ذلك يعني قوله تعالى
قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين وقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا
فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون قال ولو كان الميت يحيى في قبره
لكان يعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا وهذا باطل وخلاف القرآن لا من
أحياه الله تعالى أيقنا لنبي من الأنبياء والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف
حذر الموت قال لهم الله موتوا ثم أحياهم والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
ومن خصه نص وكذلك قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى فصح بنص
القرآن أن أرواح سائر من ذكرناه لا ترجع إلى جسدها إلا إلى الأجل المسمى وهو يوم
القيمة وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يرى الأرواح ليلة
أسري به عند سما الدنيا من عن يمين آدم أرواح أهل السعادة عن شماله أرواح
أهل الشقا وأخبر يوم بدر إذ خاطب الموتى أنهم قد شموا قوله قبل أن يكون
لهم قبور ولم ينكر على الصحابة قولهم قد جيفوا وأعلم أنهم سيبعثون قوله مع ذلك

صح ان الخطاب والسماع للارواح فقط بلا شك واما الجسد فلا حس له وقد قال تعالى
وما انت بمسمع من في القبور فنفى السماع عن من في القبور وهي الاجساد بلا شك ولا
شك ان الذي نفى الله عز وجل عنه السمع هو غير الذي اثبت له رسول الله صلى الله
عليه وسلم السمع قال ولم يات قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر
صحيح ان ارواح الموتى ترد الى اجسادهم عند المسائلة ولو صح ذلك عنه لقلنا به
قال واما تفرد بهذه الزيادة من رد الارواح في القبور الى الاجساد المنهال بن
عمرو بن وحده وليس بالقوي تركه شعبة وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي
وهو احد الائمة ما جازت للمنهال بن عمرو بن قط شهادة في الاسلام على ما قد نقل
وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك قال وهذا الذي قلنا به هو الذي صح
ايضا عن الصحابة ثم ذكر من طريق ابن عيينة عن منصور بن صفية عن امه صفية
بنت شيبة قالت دخل ابن عمر المسجد فابصر ابن الزبير مطروحا قبل ان تغلب فصلى هذه
اسمعت ابي بكر الصديق قالت قال ان عمر اليها فعزاها وقال ان هذه الجثث ليست بشيء
وان الارواح عند الله فقالت امه وما يمنعني وقد اهدى راس يحيى بن زكريا الى
بغي من بغي بني اسرائيل قلت وما ذكره ابو محمد فيه حق وباطل اما قوله من ظن
ان الميت يحيى في قبره فخطأ فهذا فيه اجمال ان اراد به الحياة المعهودة في الدنيا
التي يتصرف فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه ويحتاج معها الى الطعام والشراب
والملابس فهذا خطأ كما قال والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص وان اراد به حياة
اخرى غير هذه الحياة بل تعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المالوفة في الدنيا
ثم يسأل ويمتحن في قبره فهذا حق وفيه خطأ وقد دل عليه النص الصريح الصحيح وهو قول

فتعاد روحه في جسده وسنذكر الجواب عن شبهة الحديث ان شاء الله تعالى واما
استدلاله بقوله تعالى قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فلا ينفي ثبوت هذه
الاعادة العارضة للروح في الجسد للمسائلة كما ان قتيل بني اسرائيل الذي احياه
الله بعد قتله ثم اماته لم تكن تلك الحياة العارضة له معتدا بها فانه حي لحظة
بحيث قال فلان قتلني ثم خر ميتا على ان قوله ثم تعاد روحه في جسده لا يدل على
حياة مستقرة وانما يدل على اعادة لها الى البدن وتعلقه والروح لم تزل
متعلقة ببدنها وان بلى ويتمزق ويتبدد ذلك ان الروح لها بالبدن خمسة انواع من
التعلق مغايرة الاحكام احدها تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من
وجه ومفارقة من وجه الرابع تعلقها به في البرزخ فانها وان فارقته وتجردت
عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها التفات اليه البتة وقد
ذكرنا في اول الجواب من الاحاديث والاثار ما يدل على ردها وقت سلام المسلم
وهذا الرد اعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيمة الخامس تعلقها
به يوم يبعث الاجساد وهو اكمل انواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من
انواع التعلق البتة اذ هو تعلق لا يقبل البدن بعده موتا ولا نوما ولا فسادا واما
قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى
عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى فامساكه سبحانه التي قضى عليها الموت
لا ينافي رد ها الى جسد الميت في وقت تارة اعارضا لا يوجب له الحياة المعهودة
في الدنيا واذا كان الناس يرد روحه في جسده وهو حي وحياته غير حياة المستيقظ
فان النوم شقيق الموت فهكذا الميت اذا اعيدت روحه الى جسده كانت له حالة

منوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم ترد روحه إلى بدنه كحال التابر المتوسط بين
الحي والميت فتأمل هذا يرفع عنك اشكالات كثيرة واما أخبار النبي صلى الله عليه
وسلم عن رؤية الانبياء ليلة أسري به فقد زعم بعض أهل الحديث ان الذي رآه أشباحهم
وأرواحهم قال فانهم أحياء عند ربهم يرزقون وقد رأى ابرهيم مسندا
ظهره إلى البيت المعمور ورأى موسى قائما في قبره يصلي وقد بعث الانبياء لما رأوهم بعث
الأشباح فرأى موسى آدم طويلا طوالا كأنه من رجال شنوءة ورأى عيسى قطط
رأسه كأنما خرج من ديماس ورأى ابرهيم شبهه بنفسه ونازعهم في ذلك
آخرون وقالوا هذه الرؤية انما هي لارواحهم دون اجسادهم والاجساد في
الأرض قطعا انما تبعث يوم بعث الاجساد ولم تبعث قبل ذلك اذ لو بعثت قبل
ذلك لكانت قد انشقت عنها الارض قبل يوم القيمة وكانت تذوق الموت عند نفخة
الصور وهذه موتة باطلة وهذا باطل قطعا ولو كانت قد بعثت الارواح من
القبور لم يعدهم الله اليها لكانت في الجنة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
أن الله حرم الجنة على الانبياء حتى يدخلها هو وهو اول من يستفتح باب الجنة
وهو اول من تنشق الارض عنه على الاطلاق ولم تنشق عن أحد قبله ومعلوم بالضرورة
أن جسده صلى الله عليه وسلم في الأرض طري مطرى وقد سأله الصحابة كيف
تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد
الانبياء ولو لم يكن جسده في ضريحه لما اجاب بهذا الجواب وقد صح عنه صلى الله
عليه وسلم ان لله ملائكة يبلغونه عن امته السلام وصح عنه صلى
الله عليه وسلم انه خرج بين ابي بكر وعمر وقال هكذا نبعث هذا مع القطع بان

روحه الكريمة في الرفيق الاعلى في اعلا عليين مع ارواح الانبياء وقد صح عنه انه
رأى موسى قائما يصلي في قبره ليلة الاسرا ورآه في السما السابعة أو السادسة فالروح
كانت هناك ولها اتصال ببدن في القبر واشراف عليه وتعلق به بحيث يصلي في
قبره ويرد سلام من يسلم عليه وهي في الرفيق الاعلى ولا تنافي بين الامرين فان
شأن الارواح غير شأن الابدان وان بين الروح والبدن من التلازم في عامة التصاريف والقرب
وان كان بين ما بعد المشرقين وبين الروح والبدن من التباعد ما بين المشرق والمغرب
وان كان جسده بها متجاورين متلاصقين وليس نزول الروح وصعودها وقربها
وبعدها من جنس ما للبدن فانها تصعد الى فوق السموات ثم تهبط الى الارض ما بين
قبضها ووضع الميت في قبره وهو من يسير لا يصعد البدن وينزل في مثله ولذلك
صعودها وعودها الى البدن في النوم واليقظة وقد مثلها بعضهم بالشمس وشعاعها
في الارض فالشعاع شيء والشمس شيء آخر وليس هذا مثالا مطابقا فان نفس الشمس لا تنزل من السما والشعاع
الذي على الارض ليس هو الشمس ولا صفتها بل هو عرض حصل بسبب الشمس والجرم
المقابل لها والروح نفسها تصعد وتنزل واما قول الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم
في قليب بدر كيف تخاطب اقواما قد جيفوا مع اخباره بسماعهم كلامه ولا ينافي ذلك
رد الارواح الى اجسادهم في ذلك الوقت ردا يسمعون به خطابه والاجساد قد
جيفت فالخطاب للارواح المتعلقة بتلك الاجساد التي فسدت واما قوله تعالى
وما انت بمسمع من في القبور فيتناول الآية بذلك على ان المراد منها ان الكافر بيت القلب
لا يقدر على اسماعه سماعا ينتفع به كما ان من في القبور لا يقدر على اسماعهم سماعا ينتفعون
به ولم يرد سبحانه ان اصحاب القبور لا يسمعون شيئا البتة كيف وقد اخبر النبي صلى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله عليه وسلم انهم ليسمعون خفق نعالهم الخ وأخبر أن قليبدر سمعوا كلامه
وخطابه وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع وأخبر ان من سلم
على أخيه المؤمن رد عليه السلام وهذه الآية بظير قوله انك لا تسمع الموتى ولا
تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وقد تقدم نفي اسماع الصم مع نفي اسماع الموتى
يدل على أن المراد عدم أهلية كل منهما للسماع وان قلوب هؤلاء لما كانت بمنزلة
ما كان اسماعها متعذرا بمنزلة خطاب الميت والأصم وهذا حق ولكن لا ينفي اسماع
الأرواح بعد الموت اسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلقها بالأبدان في وقت ما
فهذا غير الاسماع المنفي والله اعلم وحقيقة المعتبر انك لا تستطيع ان تسمع من
تم يشأ الله ان يسمعه ان ذلك الا بيراى انما جعل الله لك الاستطاعة على الايذاء
الذي كلفك اياه لا على اسماع من لم يشأ الله اسماعه واما قوله لا يصح أن الحديث لنفي
والمنهال بن عمرو وحده وليس بالقوي فهذا ابن بحار فقد رحمه الله فالحديث صحيح
لا شك فيه وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان منهم عدي بن ثابت ومحمد
بن عقبة ومجاهد قال الحافظ ابو عبد الله بن منده في كتاب الروح والنفس انا
محمد بن يعقوب بن يوسف ثنا محمد بن اسحق الصغار انبا ابو النضر هاشم بن القاسم
ثنا عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس
وجلسنا حوله كان على أكتافنا فلق الطير وعلى رؤوسنا الطير فأرمد قليلا والارمام
السكوت فلما رفع رأسه قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة ودبر من الدنيا
وحضره ملك الموت نزلت عليه ملائكة معصرکمن من الجنة وحنوط من الجنة

فجلسوا

مجلسوا منه مد البصر وجاء ملك الموت فجلس عند رأسه ثم قال اخرجي ايتها النفس
المطمئنة اخرجي الى رحمة الله ورضوانه فتسيل نفسه كما تقطر القطرة من
السقاء فاذا خرجت نفسه صلى عليه كل شيء من الارض والسماء الا الثقلين ثم يصعد
به الى السماء فتفتح له ويشيعه مقربوها الى السماء الثانية والثالثة والرابعة
والخامسة والسادسة والسابعة الى العرش مقربوا كل سماء فاذا انتهى الى العرش
كتب كتابه في عليين ويقول الرب عز وجل ردوا عبدي الى مضجعه فاني وعدتهم
منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فيرد الى مضجعه فيأتيه
منكر ونكير فيثيران الارض بأنيابهما وينهصان الارض باشعارهما فيجلسانه ثم يقال
له يا هذا من ربك فيقول الله ربي فيقولان صدقت فما دينك فيقول ديني
الاسلام فيقولان صدقت ثم يقال من نبيك فيقول محمد رسول الله فيقولان صدقت
ثم يفتح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب
فيقول جزاك الله خيرا فوالله ما علمت ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية
الله فيقول وأنت جزاك الله خيرا فمن أنت فقال انا عملك الصالح ثم يفتح له باب
الى الجنة فينظر الى مقعده ومنزله منها حتى تقوم الساعة وان الكافر اذا كان
في دبر من الدنيا وقبل من الآخرة وحضره الموت نزلت عليه من السماء ملائكة
معصركمن من نار وحنوط من نار فجلسوا منه مد بصره وجاء ملك الموت فجلس
عند رأسه ثم قال اخرجي ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى غضب الله وسخطه
فيفرق روحه في جسده كراهية أن تخرج لما ترى وتعاين فينتزعها كما ينتزع
السفود من الصوف المبلول فاذا خرجت نفسه لعنه كل شيء بين السماء والارض

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الا الثقلين ثم يصعد به الى السما فتغلق دونه فيقول الرب ردوا عبدى الى مضجعه
فانى وعدتهم انى منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى
فترد روحه الى مضجعه فيأتيه منكر ونكير يثيران الارض بانيابهما وينهشان
الارض باشعارهما اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف معهما
مرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم تقل ويضيق عليه قبره حتى
تختلف عليه اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول
جزاك الله شرا فوالله ان كنت لبطيئا عن طاعة الله سريعا فى معصية الله
فيقول ومرات فيقول انا عملك الخبيث ثم يفتح له بابا الى النار فينظر الى مقعده
منها حتى تقوم الساعة رواه الامام احمد ومحمود بن غيلان وغيرهما عن ابى
النضر فيه ان الروح تعاد الى القبر وان الملكين يجلسان الميت ويستنطقانه
ثم ساقه ابن منده من طريق محمد بن سلمة عن خصيف الجزرى عن مجاهد عن البراء
بن عازب قال كنا فى جنازة رجل من الانصار ومعنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانتهينا الى القبر ولم يلحد ووضعت الجنازة وجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان المؤمن اذا احتضر اتاه ملك الموت فى احسن صورة واطيبه
ريحا فجلس عنده فقبض روحه واتاه ملكان يحوطان من الجنة وكفن من الجنة وكانا منه
على بعد فيخرج ملك الموت روحه من جسده رشحا فاذا صارت الى ملك الموت
انتزعها الملكان فاخذاها منه فحنطاها بحنوط من الجنة وكفناها بكفن من الجنة
ثم عرجا بها الى الجنة فتفتح له ابواب السماء وتستبشر الملائكة بها ويقولون لمن

هذه الروح الطيبة التى فتحت لها ابواب السماء وتستبشر الملائكة بها ويسمى
باحسن الاسما التى كان يسمى بها فى الدنيا فيقال هذه روح فلان فاذا صعدوا بها الى
السما استفتحوا فيفتح لهم فيشيعه من كل سما مقربوها حتى توضع بين يدى الله عز وجل عند العرش فيخرج
عملها من عليين فيقول الله عز وجل للمقربين اشهدوا انى قد غفرت لصاحب
هذا العمل ويخرج كتابه ويرده فى عليين ثم يقول الله عز وجل ردوا روح
عبدى الى الارض فانى وعدتهم ان اردهم فيها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فاذا وضع
المؤمن فى لحده فتح له باب الى الجنة فيقال له انظر الى ما اعد الله لك من الثواب
ويفتح له باب عند راسه الى النار فيقال له انظر الى ما اصرف الله عنك من
العذاب ثم يقال له نم قرير العين فليس شئ احب اليه من قيام الساعة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع المؤمن فى لحده يقول له الارض
الا ركبت محسنا الى وانت على ظهرى فكيف اذ صرت اليوم فى بطنى فسأريك ما
اصنع بك فيفتح له فى قبره مد بصره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا وضع الكافر فى قبره اتاه منكر ونكير مجلسانه فيقولان له من ربك فيقول
لا ادرى فيقولان له لا دريت فيضربانه ضربة فيصير رمادا ثم يعاد مجلس فيقال
له ما قولك فى هذا الرجل فيقول اى الرجل فيقولان محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيقول قال الناس انه رسول الله فيضربانه ضربة فيصير رمادا هذا حديث
ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ ولا نعلم احدا من الائمة طعن
فيه بل رووه فى كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه اصلا من اصول الدين فى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عذاب القبر ونعيمه ومسألة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها الى بين يدي الله عز
وجل ثم رجوعها الى القبر وقول ابي محمد لم يروه غير زاذان فوهم منه بل رواه عن
البراء غير زاذان رواه عنه عدي بن ثابت ومجاهد بن خير ومحمد بن عقبة وغيرهم وقد
جمع الدارقطني رحمه الله طرقه في مصنف مفرد وزاذان من الثقات روى عن اكابر
الصحابة كعمر وغيره وروى له مسلم في صحيحه قال يحيى بن معين ثقة وقال محمد بن
هلال وقد سئل عنه هو ثقة لا تسأل عن مثل هؤلاء وقال ان عدي احاديثه
لا بأس بها اذا روى عن ثقة وقوله ان المنهال بن عمرو تفرد بهذه الرواية وهي
قوله فتعاد روحه في جسده وضعفه فالمنهال احد الثقات العدول قال ابن معين
المنهال ثقة وقال العجلي كوفي ثقة واعظم ما قيل فيه انه سمع من يزيد صوت
غناء وهذا لا يوجب القدح في روايته واطراح حديثه وتضعيف ابن حزم له لا شيء
فانه لم يذكر موجبا لتضعيفه غير تفرده بقوله فتعاد روحه في جسده وقد بينا
انه لم يتفرد بها بل قد رواها غيره وقد روى ما هو ابلغ منها او نظيرها كقوله
فترد اليه روحه وقوله فتصير الى قبره وقوله فيستوي جالسا وقوله فيجلسانه
وقوله فيجلس في قبره وكلها احاديث صحاح لا مطعن فيها وقد اعل غيره الحديث بان
زاذان لم يسمعه من البراء وهذه العلة باطلة فان ابا عوانة الاسفرايني رواه
في صحيحه باسناده وقال عن ابن عمرو زاذان الكندي قال سمعت البراء بن عازب
وقال الحافظ ابو عبد الله بن منده هذا اسناد متصل مشهور رواه جماعة عن
البراء ولو تركنا نحن احاديث البراء سائر الاحاديث الصحيحة صريحة في ذلك مثل
حديث ابن ابي ذئب عن محمد بن عمرو عن عطاء عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة ان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قال
اخرجي ايتها النفس المطمئنة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري
بروح وريحان ورب غير غضبان قال فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى
السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون مرحبا بالنفس المطمئنة
كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان
فيقال لها ذلك حتى ينتهى بها الى السماء التي فيها الله عز وجل واذا كان الرجل
السوء قال اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة
وابشري بحميم وغساق واخر من شكله ازواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم
يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون لا
مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانه لن تفتح لك
ابواب السماء فيرسل من السماء والارض فصيرا الى القبر مجلس الرجل الصالح في
قبره غير فزع ولا معرف شريقال فما كنت تقول في الاسلام ما هذا الرجل فيقول
محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فامنا وصدقنا وذكر تمام الحديث
قال الحافظ ابو نعيم هذا حديث متفق على عدالة ناقليه اتفق الامامان محمد بن
اسمعيل البخاري ومسلم بن الحجاج على ان ابن ابي ذئب ومحمد بن عمرو بن عطاء وسعيد
بن يسار وهم من شرطهما ورواه المتقدمون الكبار عن ابن ابي ذئب مثل
ابن مهدي وعبد الرحمن بن ابرهيم انتهى ورواه عن ابي ذئب غير واحد وقد
احتج ابو عبد الله بن منده على اعادة الروح الى البدن بان قال اخبرنا محمد بن
الحسين بن الحسن ثنا محمد بن زيد النيسابوري ثنا حماد بن قيراط ثنا محمد بن الفضل

عن يزيد بن عبد الرحمن الدمياطي البلخي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس أنه قال
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قاعد تلا هذه الآية ولو ترى
اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم الآية
قال والذي نفس محمد بيده ما بين نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة
والنار ثم قال واذا كان عند ذلك صنفان من الملائكة ينظمان ما بين
الخافقين كأن وجوههم الشمس فينظر اليهم ما يرى غيرهم فان كنت ترون النصر
ينظرون اليكم مع كل ملك أكفان وحنوط فان كان مؤمنا بشروه بالجنة وقالوا
اخرجي أيتها النفس المطمئنة الى رضوان الله وجنته فما أعد الله لك من
الكرامة ما هو خير لك من الدنيا وما فيها فلا يزالون يبشرونه ويحنون فلهو ألطف
وأرأف من الوالدة برولدها ثم ليسلون روحه من تحت كل ظفر ومفصل وتموت
الأول فالأول ويهون وان كنت ترونه شهيدا حتى يبلغ فاقه فلهي أشد كراهة
للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم فيبتدرونها كل ملك منهم أنه
يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل
يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون فيلتقاها بأكفان بعض
ثم يحتضنها اليه فلهو أشد لزوما من المرأة اذا ولدتها ثم يفوح منها بريح أطيب
من المسك فيستنشقون ريحها ويتباشرون بها ويقولون مرحبا بالريح الطيبة
والروح الطيب اللهم صل عليه روحا وصل على جسد خرجت منه قال فيصعدون
بها والله عز وجل خلق في الهواء لا يعلم عددهم الا هو فيفوح لهم منها ريح أطيب
من المسك فيصلون عليها ويتباشرون بها ويفتح لهم أبواب السماء فيصلي عليها كل

ملك

ملك في كل سماء بمصر حتى ينتهى بها الى سدرة المنتهى فيقول الجبار مرحبا بالنفس
الطيبة وجسد خرجت منه واذا فاك الله للنفس عز وجل مرحبا وجب له كل شيء ويدنو
عنه كل ضيق ثم يقول لهذه النفس الطيبة ادخلوها الجنة وانزلوها مقعدها من
الجنة واعرضوا عليها ما أعددت لها من الكرامة والنعيم ثم اذا هبوا بها الى الأرض
فاني قضيت اني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فوالذي
نفس محمد بيده لهي أشد كراهية للخروج منها حين كانت تخرج من الجسد ونقول ان
تذهبون بي الى ذلك الجسد الذي كنت فيه فيقولون انا ما مؤمنون بهذا فلا
بد لك منه فيهبطون به على قدر فراغهم من غسله وأكفانه ويدخلون ذلك
الروح بين جسده وأكفانه قال هذا الحديث ان الروح تعاد بين الجسد والاكفان
وهذا عود غير التعلق الذي كان لها في الدنيا وهو نوع آخر وغير تعلقها به
حال النوم وغير تعلقها به وهي في مقرها بل هو عود خاص للمسألة قال
شيخ الاسلام الاحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح الى البدن وقت
السؤال وسؤال البدن بلا روح تقول قالته طائفة من الناس وأنكره الجمهور
وقابلهم آخرون فقالوا السؤال للروح بلا بدن وهذا قاله ابن حزم
وكلاهما غلط والاحاديث الصحيحة ترده ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر
بالروح اختصاص وهذا يتضح بجواب قوله السائل هل عذاب القبر على النفس
والبدن أو على النفس دون البدن أو البدن دون النفس وهل يشارك البدن
النفس في النعيم والعذاب أم لا وقد سئل شيخ الاسلام عن هذه المسألة وعن
تذكر لفظ جوابه تعالى كل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل

السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم وتعذب متصلة
بالبدن والبدن متصل بها فيكون للنعيم والعذاب عليها في هذه الحال يحمين
كما تكون الروح مفترقة عن البدن وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح
هذا فيه قولان مشهوران لاهل الحديث والسنة واهل الكلام وفي المسألة
أقوال شاذة ليست من اقوال اهل السنة والحديث قول من يقول ان
النعيم والعذاب لا يكون الا على الروح وان البدن لا ينعم ولا يعذب وهذا
يقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الابدان وهؤلاء كفار باجماع المسلمين
ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الابدان
لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ وانما يكون عند القيام من القبر لكن هؤلاء
منكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ويقولون ان الارواح هي المنعمة او
المعذبة في البرزخ فاذا كان يوم القيمة عذبت الروح والبدن معا وهذا
القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار
ابن حزم وابن ميسره فهذا القول ليس من الاقوال الثلاثة الشاذة بل هو
مضاف الى قول من يقر بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الابدان
والارواح ولكن هؤلاء نفوا في عذاب القبر ثلاثة أقوال أحدها انه على الروح
فقط الثاني انه عليها وعلى البدن بواسطتها الثالث انه على البدن فقط وقد
يضم الى ذلك القول الثاني وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي
الحياة ويجعل الاجساد قول منكر عذاب الابدان مطلقا وقول من ينكر عذاب
البرزخ مطلقا فاذا جعلت الاقوال الشاذة ثلاثة فالقول الثاني الشاذ

قوله من يقول ان الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وانما الروح هي الحياة وهذا
يقوله طوائف من اهل الكلام من المعتزلة والاشعرية كالقاضي ابي بكر وغيره وذكروا
ان الروح تبقى بعد فراق البدن وهذا قول باطل وقد خالف اصحابه ابو المعالي
الجويني وغيره بل قد ثبت بالكتاب والسنة واجماع الائمة ان الروح تبقى بعد
فراق البدن وانها منعمة او معذبة والفلاسفة الالهيون يقرون بذلك
لكن ينكرون معاد الارواح فهؤلاء يقرون بمعاد الابدان لكن ينكرون معاد
الابدان وتنعيمها وعذابها وبدون الابدان وكلا القولين خطأ وضلال لكن
قول الفلاسفة أبعد من قول اهل الاسلام وان كان قد يوافقهم عليه من يعتقد
انه متمسك بدين الاسلام كل من يظن انه من اهل المعرفة والتصوف والتحقيق
في الكلام والقول الثالث الشاذ قول من يقول ان البرزخ ليس فيه نعيم
ولا عذاب بل لا يكون ذلك حتى الساعة الكبرى كما يقول ذلك من يقول من المعتزلة
ونحوهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على ان الارواح لا تبقى بعد فراق البدن
وان البدن لا ينعم ولا يعذب فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في امر البرزخ
لكن شر من الفلاسفة فانهم مقرون بالقيامة الكبرى فاذا عرفت هذه الاقوال
الباطلة فلتعلم ان مذهب سلف الامة وائمتها ان الميت اذا مات يكون في نعيم او عذاب
وان ذلك يحصل لروحه وبدنه وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة او معذبة
وانها تتصل بالبدن احيانا يحصل له معها النعيم او العذاب ثم اذا كان يوم القيمة
الكبرى اعيدت الارواح الى الاجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد
الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما ذكرناه فأما احاديث عذاب القبر ومسايلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي صلى
الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال
انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان لا يستبرئ من البول واما الآخر فكان
يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة رطبة فشقها بنصفين فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا
وفي صحيح مسلم عن زيد بن ثابت قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط بني
النجار على بغلة له ونحن معه اذ حادت بغلته كادت تلقيه واذا اقبر ستة او خمسة او اربعة
فقال من يعرف اصحاب هذه القبور فقال رجل انا قال فمتى مات هؤلاء فقال ماتوا
في الاشراك فقال ان هذه الامة تبتلى في قبورها فلولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان
يسمعكم عذاب القبر الذي اسمع منه ثم اقبل علينا بوجهه فقال تعوذوا بالله من عذاب
النار قالوا نعوذ بالله من عذاب النار قال تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا نعوذ بالله
من عذاب القبر قال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما
بطن قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال وفي
صحيح مسلم وجميع السنن عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
فرغ احدكم من التشهد الاخير فليتعوذ بالله من اربع من عذاب جهنم ومن عذاب
القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وفي صحيح مسلم ايضا
وغيره عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعا كما يعلمهم
السورة من القرآن اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر
واعوذ بك من فتنة المحيا والممات واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وفي الصحيحين
عن ابي ايوب قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتا

فقال يهود تعذب في قبورها وفي الصحيحين عن عايشة قالت دخلت علي عجوز من عجاز
يهود اهل المدينة فقالت ان اهل القبور يعذبون في قبورهم قالت فكذبتها ولم
ابعث ان اصدقها قالت فخرجت ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله ان عجوزا من عجاز يهود اهل المدينة دخلت فزعمت ان اهل القبور
يعذبون في قبورهم فقال صدقت انهم يعذبون عذابا تسمعه البهايم كلها
قالت فما رايته بعد في صلاة الا يتعوذ من عذاب القبر قلت يا رسول الله للقبر
عذاب قال انهم ليعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهايم قال بعض اهل العلم
ولهذا السبب تذهب النار يد وابهر اذا مثلت الى مقابر اليهود والنصارى
والمنافقين كالاسماعيلية والنصيرية والقرامطة من بني عبيد وغيرهم الذين
بارض مصر والشام فان اصحاب الخيل ينفرون من قبورهم لذلك كما تنفر من قبور
اليهود والنصارى قالوا فاذا الخيل سمعت عذاب القبر احدثت لها فزعا وحران
تذهب بالمغل وقال عبد الحق الاشبيلي حدثني العقيد احد بن فرحان وكان
من اهل العلم والعمل انهم رد فوا ميتا بقربهم في شرقي اشبيلة فلما فرغوا من دفنه
قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبا منهم فاذا بالدابة قد اقبلت مسرعة
الى القبر فجعلت اذنها عليه كانها تسمع ثم ولت فارة ثم عادت الى القبر فجعلت اذنها
عليه كانها تسمع ثم ولت فارة ففعلت ذلك مرة بعد اخرى قال ابو الحكم فذكرت
عذاب القبر وقول النبي صلى الله عليه وسلم انهم ليعذبون عذابا تسمعه البهايم
ثم ذكرنا هذه الحكاية ونحن نسمع عليه كتاب مسلم لما انتهى القارئ الى قول النبي صلى
الله عليه وسلم انهم ليعذبون عذابا تسمعه البهايم وهذا السماع واقع على اصوات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المعذ بن قال هناد بن السري في كتاب الزهد حدثنا وكيع عن الأعمش عن شقيق عن
عائشة قالت دخلت على يهودية فذكرت عذاب القبر فكذبتها فدخل النبي صلى الله عليه
وسلم فذكرت ذلك له فقال والذي نفسي بيده انهم يعذبون في قبورهم حتى تسمع
البهائم اصواتهم قالت فما رأيته بعد في صلاة الا تعوذ من عذاب القبر وفي الصحيحين والسنن
عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمسلم اذا سئل في قبره فيشهد
ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله فذلك قول الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وفي لفظ نزلت في عذاب القبر يقال
له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد فذلك قوله الله يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وهذا الحديث قد رواه أهل السنن
والمسانيد مطولا كما تقدم وقد صح في هذا الحديث اعادة الروح الى البدن وباختلاف
أضلاعه وهذا بين في ان العذاب على الروح والبدن مجتمعين وقد روى مثل حديث
في قبض الروح والمسألة والنعيم والعذاب ابو هريرة وحديثه في المسند وصح
ابو حاتم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت اذا وضع في قبره انه ليسمع خفق
نعالهم حين يولون عنه فان كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه
والزكاة عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان
عند رجليه فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل ثم يؤتى عن يمينه
فيقول الصيام ما قبلي مدخل ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة ما قبلي مدخل ثم يؤتى
من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان
ما قبلي مدخل فيقول له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس وقد آذنت للغروب فيقال

له هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه وما تشهد به عليه فيقول دعوني اصلي
فيقولون انك ستصلي اخبرنا عما نسألك عنه ارأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ما
تقول فيه وما ذا تشهد عليه فيقول محمد اشهد انه رسول الله جاء بالحق من عند الله
فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله ثم يفتح له باب
الى الجنة فيقال له هذا مقعدك وما اعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ثم
يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدئ منه ويجعل
نسمة في النسم الطيبة وهي طير يعلق في شجر الجنة هناك هذا قوله تعالى
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وذكر في الكافر
ضد ذلك الى ان قال ثم يضيق عليه قبره الى ان تختلف فيه اضلاعه فتلك المعيشة
الضنك التي قال الله فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى وفي
الصحيحين من حديث قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا
وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع خفق نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه
فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد
الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك الله مقعدا من
الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة وذكر
لنا انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون ثم
رجع الى حديث انس قال واما الكافر والمنافق فيقولان له ما كنت تقول في هذا
الرجل فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقولان له لا دريت ولا تليت ثم يضرب
بمطرقة من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وفي صحيح

ابن حاتم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبر احدكم او
الانسان اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان
له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد رسول الله فهو قائل ما كان يقول فان كان
مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده
ورسوله فيقولان له ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا
فى سبعين ذراعا وينور له فى قبره ويقال له نم فيقول ارجع الى اهلى واخبرهم
فيقولان له نم كومة العروس الذى لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله
من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادرى كنت اسمع الناس يقولون شيأ
فكنت اقوله فيقولان له كنا نعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التامى عليه فيلتئم
عليه اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه
ذلك وهذا صريح فى ان البدن يعذب وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال اذا احتضر المؤمن اتته الملائكة بحريرة بيضاء فيقولون
اخرجى ايتها الروح الطيبة راضية مرضيا عنك الى روح وريحان ورب غير
غضبان فتخرج كاطيب ريح المسك حتى انه ليناول بعضهم بعضا حتى ياتوا به باب
السماء فيقولون ما اطيب هذا الريح الذى جاءكم من الارض فيأتون به ارواح المؤمنين
فلهم اشد فرحا به من احدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان فيقول
فيقولون دعوه يستريح فانه كان فى غم الدنيا فاذا قال انا كم فيقولون انه ذهب
به الى امه الهاوية وان الكافر اذا احتضر اتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون
اخرجى مسخوطا عليك الى عذاب الله فتخرج كانتن ريح جيفة يأتون به باب السماء

يقولون

فيقولون ما انتن هذه الروح حتى يأتوا بها ارواح الكفار رواه النسائى والبزار
ومسلم مختصرا واخرجه ابو حاتم فى صحيحه وقال ان المؤمن اذا حضره الموت حضرته
ملائكة الرحمة فاذا قبضت روحه جعلت فى حريرة بيضاء فينطلق بها الى باب السماء
فيقولون ما وجدنا ريحا اطيب من هذه فيقال ما فعلت فلانة فيقال دعوه يستريح
فانه كان فى غم الدنيا واما الكافر فاذا قبضت روحه ذهب بها الى الارض السفلى
وروى النسائى فى سننه من حديث عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال هذا الذى تحرك له العرش وفتحت له ابواب السماء وشهد له سبعون
الفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه قال النسائى يعنى سعد بن معاذ
وروى من حديث عائشة قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم للقبر ضغطة لو
نجا منها احد لنجا منها سعد بن معاذ رواه من حديث شعبة وقال هناد بن السرى
حدثنا محمد بن فضيل عن ابيه عن ابى مليكة قال ما ابصر من ضغطة القبر احد
ولا سعد بن معاذ الذى منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها قال وحدثنا عبدة
عن عبد الله بن عمر عن نافع قال لقد بلغنى انه شهد جنازة سعد بن معاذ سبعون
الفا الذين نزلوا الى الارض قط ولقد بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لقد ضم صاحبكم فى القبر ضمة وقال على بن سعيد حدثنا عبد الله عن زيد بن
ابى انيسة عن جابر عن نافع قال اتينا صفية بنت ابى عبيد امرأة عبد الله
بن عمر وهى فزعة فقلنا ما شأنك فقالت جئت من عند بعض نسائى النبى صلى الله
عليه وسلم فحدثنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان كنت لارى لو
ان احدا انجى من عذاب القبر لنجى منه سعد بن معاذ لقد ضم فيه ضمة وحدثنا

مروان بن معاوية عن الاعلاء المسيب عن معاوية العبسي عن زاذان بن أبي عمرو قال
لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته جلس عند القبر فتربت وجهه فسري
عنه فقال له أصحابه رأيناك وجهك إنما ثم تسري عنك فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ذكرت ابني وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ففرج عنها وأجارها الله
لقد ضمت ضمة سمعها من بين الخافقين وحدثنا سعيد بن دينار عن ابن هبيرة
العنوي عن رجل قال كنت عند عائشة فرت جنازة صبي صغير فبكت فقلت لها
ما يبكيك يا أم المؤمنين فقالت هذا الصبي يبكيك له شفقة عليه من ضمة القبر
ومعلوم أن هذا كله للجسد بواسطة الروح وهذا كما أنه مقتضى السنة الصحيحة
فهو متفق عليه بين أهل السنة قال المروذي قال أبو عبد الله عذاب القبر حق
لا ينكره إلا ضال مضل وقال جميل قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر فقال
هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها كلما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم إسنادا
جيدا أقررنا به إذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه وتردد ناه وردد ناعلى
الله تعالى أمره قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وقلت له وعذاب القبر حق
قال حق يعذبون في القبور قال وسمعت أبا عبد الله يقول نؤمن بعذاب القبر
ومنكر ونكير وأن العبد يسأل في قبره فثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في
الحياة الدنيا وفي الآخرة في القبر قال أحمد بن القاسم قلت يا أبا عبد الله نقر
بمنكر ونكير وبما يروى في عذاب القبر فقال سبحان الله نعم نقر بذلك كله ونقوله
قلت وهذه الألفاظ نقول منكر ونكير هكذا أو نقول ملكين قال منكر ونكير قلت
يقولون ليس في حديث منكر ونكير قال هو هكذا يعني منكر ونكير وأما أقوال

أجر

أهل البدع والضلال فقال أبو الهذيل والمريسي من خرج عن جملة الإسلام فهو بعد
بين الفاحشة والمسألة في القبر إنما تقع في ذلك الوقت وأثبت الجاحظ وابنه البلخي
عذاب القبر ولكنهما نفوه عن المؤمنين وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق
على أصولهم وقال كثير من المعتزلة لا يجوز تسمية الملائكة الله منكر ونكير وإنما
المنكر ما يبدو من الجليد إذا سئل والمنكر تقريع الملكين له وقال الصالحي
وصالح فيد عذاب القبر يجري على المؤمنين من غير رد الأرواح إلى الأجساد
والميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم بلا روح وهذا قول جماعة من الكرامية وقال
بعض المعتزلة إن الله يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم آلاما وهم لا يشعرون
فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام واحتسبوا بها قالوا ويسبيل المعذبين من الموتى
كسبيل السكران والمغشى عليه لو ضربوا لم يجدوا الألم فإذا عاد إليهم
العقل احتسبوا بألم الضرب وأنكر جماعة من عذاب القبر رأينا مثل ضرار بن
عمرو ويحيى بن كامل وهو قول المريسي فهذه أقوال أهل الحيرة والضلال
ومما ينبغي أن تعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق
العذاب نالته نصيبه منه قبر أو لم يقبر فلو أكلته السباع أو احترق حتى صار
رمادا أو نسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر ووصل إلى روحه وبدنه من
العذاب ما يصل إلى المقبور وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم
الليلة رؤيا قال فإن رأى أحد رؤيا قصها فيقول ما شاء الله فسألنا يوما
فقال هل رأى أحد منكم رؤيا قلنا لا قال لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا

بيدي فاخرجاني الى الارض المقدسة فاذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من
حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الاخر مثل ذلك
ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله قلت ما هذا قال انطلق فانطلقنا حتى
اتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة او بفهر فيشدخ بها
رأسه فاذا ضربه تدهده الحجر فانطلق اليه ليأخذه فلا يرجع الى هذا حتى يلتئم
رأسه وعاد اليه رأسه كما هو فعاد اليه فضربه قلت ما هذا قال انطلق
فانطلقنا الى ثقب مثل التنور اعلاه ضيق واسفله واسع يوقد تحته نار فاذا
فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم فاذا اقترفوا خرجوا حتى كادوا ان يخرجوا
فاذا اخمدت رجعوا قلت ما هذا قال انطلق فانطلقنا حتى اتينا على نهر من دم
فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة فاقبل الرجل الذي في النهر
فاذا اراد ان يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج
رمى في فيه بحجر فرجع كما كان قلت ما هذا قال انطلق فانطلقنا حتى انتهينا الى
روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي اصلها شيخ وصبيان واذا رجل قريب من
الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي الشجرة وادخلاني دارا لم ار قط احسن
منها فيها شيوخ وشباب ثم صعدا بي دارا هي احسن وافضل قلت طوفتماني
الليلة فاخبراني عما رأيت قال انطلق اما الذي رأيته يشق شدقه كذاب يحدث
بالكذب فيحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به الى يوم القيامة واما الذي رأيته
تشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار يفعل
به الى يوم القيامة واما الذي رأيت في الثقب فهم الزناة واما الذي رأيته

في النهر فاكلوا الربا واما الشيخ الذي في اصل الشجرة فابراهيم عليه السلام والصبيان حوله فاولاد
الناس والذي يوقد النار فمالك خازن النار والدار الاولى دار عامة المؤمنين واما
هذه الدار فدار الشهداء وانا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي
فاذا فوقي مثل السحابة قالا ذاك منزلك قلت دعاني ادخل منزلي قالا انه بقي لك
عمر لم تستكمله فلو استكملته اتيت منزلك وهذا منزل شهداء بدر ثم عذاب البرزخ فان رؤيا
الانبياء وحي مطابق لما في نفس الامر وقد ذكر الطحاوي عن ابي مسعود ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لم يعبد من عباد الله ان يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل
يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ عليه قبره نارا فلما ارتفع عنه
افاق وقال علام جلدتموني قالوا انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم
فلم تنصره وقد ذكر البيهقي حديث الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الآية
قال اتي بالبراق فحمل عليه قال فكل خطوة منتهى اقصى بصره فسار وسار معه جبريل
فاتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم وكلما حصدوا عاد كما كان فقال يا جبريل
من هؤلاء القوم قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبع
مائة وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم اتى على قوم ترضخ رؤوسهم
بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء من ذلك قال يا جبريل من
هؤلاء قال هؤلاء الذين تثاقل رؤوسهم عن الصلاة قال ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع
وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام على الضريع والزقوم قال يا هؤلاء
يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات اموالهم وما ظلمهم الله وما ربك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بطلام المعيد ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج ولحم اخر خبيث فجعلوا ياكلون
من الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ياجبريل من هؤلاء فقال هؤلاء الرجل
يكون عنده امراة حلال طيبا فياتي المراة الخبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ثم اتى
على خشبة على الطريق لا يمر بها شيء الا فصقته يقول الله تعالى ولا تفعلوا ثم اتى
على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد ان يزيد
عليها فقال ياجبريل ما هذا قال رجل من امتك عليه امانة لا يستطيع اداءها وهو
يزيد عليها ثم اتى على قوم تقرض شفاههم مقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما
كانت لا يفتر عنهم شيء قال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء خطباء الفتنة ثم اتى على
حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يدخل من حيث خرج فلا يستطيع
قال ما هذا ياجبريل قال هذا الرجل يتكلم بكلمة فيندم عليها فيريد ان يردها فلا
يستطيع وذكر الحديث وذكر البيهقي ايضا في حديث الاسراء من رواية ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تصعدت انا وجبريل فاستفتح جبريل
فاذا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه ارواح ذريته المومنين
فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه ارواح ذريته
الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ثم مضيت هنيهة
فاذا انا باخنوذ عليها الحزن يشرح ليس يقربها احد واذا باخنوذ اخرى عليها الحزن
قد اروح وانتن وعندها ناس ياكلون منها قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء
يتركون الحلال ويأتون الحرام قال ثم مضيت هنيهة فاذا انا باقوام بطونهم امثال
البيوت كلما نهض احدهم رجع يقول اللهم لا تقم الساعة قال وهم على سابلة ال

فرعون

فرعون قال فمن السابلة فظاهر فيصيحون قلت ياجبريل من هؤلاء الذين ياكلون
الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال ثم مضيت هنيهة
فاذا انا باقوام مشافرهم كمشافر الابل فضغ افواههم فيلقون الجمر ثم يخرج من
اسافلهم فيهم يصيحون يضجون قلت من هؤلاء قال الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ثم
مضيت هنيهة واذا بنساء معلقات بثديهن فمنهن من يصيح قلت من هؤلاء قال
هؤلاء الزواني ثم مضيت هنيهة فاذا بقوم تقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقول
ما كنت تاكل من لحم اخيك قلت من هؤلاء قال الهمازون من امتك وذكر الحديث
بطوله وفي سنن ابي داود من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم
فقلت من هؤلاء يا جبريل قال الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم
وقال ابو داود الطيالسي في مسنده ثنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير
اما احدهما فكان ياكل لحوم الناس واما الاخر فكان صاحب نميمة ثم دعا بجريدة
فشقها بصفين فوضع بصفها على هذا القبر وبصفها على هذا القبر وقال عسى
ان يخفف عنهما ما داما رطبين وقد اختلف الناس في هذين هل كانا كافرين او
مؤمنين فقيل كانا كافرين وقوله وما يعذبان في كبير يعني بالاضافة الى الكفر والشرك
قالوا وبذلك عليه ان العذاب لم يرتفع عنهما واما خفف ايضا فانه خفف مدة
رطوبة الجريدة فقط وايضا فانهما لو كانا مؤمنين لشفع فيهما ودعا لهما صلى الله
عليه وسلم فرفع عنهما العذاب بشفاعته وايضا ففي بعض طرق الحديث انهما كانا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كافرين وهذا التعذيب زيادة على تعذيبهما بكفرهما وخطاياهما وهو دليل على أن
الكافر يعذب بكفره وذنوبه جميعا وهذا اختيار أبي المكارم رحمه الله وقيل كانا
مسلمين لتنبيه صلى الله عليه وسلم على التعذيب بسبب غير السببين المذكورين ولقوله
وما يعذبان في كبير والكفر والشرك أكبر الكبائر على الإطلاق ولا يلزم أن يشفع
النبي صلى الله عليه وسلم لكل مسلم يعذب في قبره على جريمة من الجرائم فقد أخبر
عن صاحب الشملة الذي قتل في الجهاد أن الشملة تشتعل نارا في قبره وكان مسلما
مجاهدا ولا نعلم ثبوت هذه اللفظة وهي قوله وكانا كافرين ولعلها لو صحت فهي من
قول بعض الرواة والله أعلم وهذا اختيار أبي عبد الله القرطبي المسألة الثانية
وهي قول السائل ما جوابنا للملائكة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر وسعته
وضيقه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وكون الميت
لا يجلس ولا يقعد فيه قالوا فإنا نكشف القبور ولا نجد فيه ملائكة عميا صما
يضربون الموتى بمطارق الحديد ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين ولا نيرانا
تأجج ولو كنا حاضرين في حالة من الأحوال لوجدناه على حاله وكيف يفسح له مد
بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله ونجد مساحته بقدر ما حفرناها لم يزد
ولم ينقص وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصور التي توبسه
أو توجشه قالوا إخواننا من أهل البدع والضلال وكل محدث يخالف مقتضى
العقول والحس يقطع بتخطئتنا فيه قالوا ونحن نرى المصلوب على خشبة مدة
طويلة لا يسأل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه نارا ومن افترسته السباع
ونهشته الطير ونعرف أجزاءه في أجواف الطير وحواصل السباع وبطون الحيتان

ومدارج

ومدارج الرياح كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقتها وكيف يتصور مسألة الملكين لمن
هذا وصفه وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار
وكيف يضيق عليه حتى تختلف أضلاعه وحين ذكروا ما نعلم بها الجواب الأول
أن نعلم أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما يحيله العقول ويقطع
باستحالته بل إخبارهم قسمان أحدهما ما شهدت به العقول والفطر والثاني ما لا
تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن يوم الفصل البرزخ واليوم
الآخر وتفاصيل الثواب والعقاب ولا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا وكل
خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين إما أن يكون الخبر كذبا عليهم أو يكون
ذلك العقل فاسدا وهو شبهة خيالية يظن صاحبها أنها معقول صريح قال
الله تعالى ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق وقال تعالى
أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى وقال تعالى والذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه والنفوس لا تفرح
بالمحال وقال تعالى يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والمحال لا
يشفي ولا يحصل به هدى ولا رحمة ولا يفرح به فهذا أمر من لم يستقر في قلبه
خبر ولم يثبت له على الإطلاق قدم وكان أحسن أحواله الحيرة والشك الأمر الثاني
أن ينظر عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير ولا تحميل
كلامه ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان وقد حصل
بإهماله ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الله بل سوء النظر عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام بل هو
أصل كل خطإ في الأصول والفروع ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد فيتفق
سوء النظر في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع
فيا محنة الدين وأهله وقل أن يستبين وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج
والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر طوائف البدع إلا سوء النظر عن الله ورسوله
حتى صار الدين بأيدي أكثر الناس هو موجب هذه الأفهام والذي فهمه الصحابة
ومن تبعهم عن الله ورسوله فمهجور لا يلتفت إليه ولا يرفع به هو لا رأسا لكثرة
أمثلة هذه القاعدة تركناها فإنا لو ذكرناها لزادت على عشرات ألوف حتى أنك
تمر على الكتاب من أوله إلى آخره فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورسوله مراده كما
ينبغي في موضع واحد وهذا لما يعرفه من عرف ما عند الناس وعرضه على ما جاءت به الرسل
وأما من عكس الأمر فعرض ما جاءت به الرسول على ما اعتقده واعتمده فقلد فيه من أحسن
به الظن فليس يجدي الكلام معه شيأ فدعه وما اختاره لنفسه وولده ما تولى
والحمد لله الذي عافاك مما ابتلاه به الأمر الثالث أن الله سبحانه وتعالى جعل الدور
ثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكل دار أحكاما تختص بها وربك
هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها
وبهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات الإنسان والجوارح وإن
أضمرت النفوس خلافه وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها فكما
تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فألمت تألمها والذت براحتها وكانت هي
التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها

والأرواح

والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم والأبدان هنالك ظاهرة والأرواح
خفية والأبدان كالقبور لها والأرواح هنالك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها
فتجري أحكام البرزخ على الأرواح فيسري إلى أبدانها نعيما وعذابا كما يجري أحكام
الدنيا على الأبدان فيسري إلى أرواحها نعيما وعذابا فاحط بهذا الموضع علما فانه
كثيرا ينفي عنك أشكال يورد عليك من داخل وخارج وقد أرانا الله سبحانه
بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجا في حال الدنيا من حال النائم فإنه
يتعرض أو يعذب في نومه بجري على روحه أصلا والبدن تبع له وقد يمنع ذلك
حتى يؤثر في البدن تأثيرا مشاهدا فيرى النائم أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه
ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو بجد أثر الطعام والشراب في فيه
ويذهب عنه الجوع والظمأ وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يتوعر من نومه ويضرب
ويبطش ويدافع كأنه يقاتل وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك لأن الحكم لما
جرى على الروح استحال بالبدن عن خارجه ولو أدخلت فيه لاستيقظ واحس
فإذا كانت الروح تألم وتنعم ويصل ذلك إلى البدن بطريق الاستتباع فكذا
في أمر البرزخ بل أعظم وأن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى وهي متعلقة بالبدن
لم تنقطع عنه كل الانقطاع فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم
صار الحكم والنعيم والعذاب والأرواح والأجساد ظاهرا باديا أصلا ومتى أعطيت
هذا الموضع حقه تبين لك ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر
ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض
الجنة مطابق للعقل وأنه حق لا مرية فيه وأن من أشكل عليه ذلك من سوء فهمه

وتله علمه أني كما قيل بشر وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

واعجب من ذلك أنك تجد الميت في فراش واحد وهذا روحه في النعيم وبدنه وهذا روحه في العذاب وأثر العذاب على بدنه وليس عند أحدهما خبر مما عند الآخر فأمر البرزخ أعجب من ذلك الأمر الرابع أن الله سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا وحجبها عن ادراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر ويجلس قريبا منه ويشاهدهم عيانا ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط اما من الجنة أو النار ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير أو الشر وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم تارة بلفظه وتارة باشارته وتارة بقلبه حيث لا يتمكن من نطق وقد سمع بعض المحتضرين يقول أهلا وسهلا ومرحبا بهذه الوجوه وأخبرني شيخنا عن بعض المحتضرين فلا أشاهده أو اخبر عنه أنه سمعه وهو يقول وعليك السلام ها هنا فاجلس وعليك السلام ها هنا فاجلس وقصة خبر النتاج مشهورة حيث قال عند الموت اصبر عافاك الله فإن ما أبرت به لا يفوت وما أبرت به يفوت ثم استدعى آنية فتوضأ وصلى ثم قال ابض لما أبرت به ومات وذكر ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز لما كان في يومه الذي مات فيه قال اجلسوني فأجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقالوا إنك لتنظر نظرا شديدا يا أمير المؤمنين قال اني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن ثم قبض وقال مسلم بن عبد الملك لما احتضر عمر بن عبد العزيز كنا عنده في قبة فأومأ إلينا أن اخرجوا فخرجنا فقعدنا

حول القبة وبقي عنده وصيف فسمعناه يقرأ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ما أشر بأنس ولا جان ثم خرج الوصيف فأومأ إلينا ان ادخلوا فإذا هو قبض وقال نضاله بزديناره حضرت مع محمد بن واسع وقد بحي للموت فجعل يقول مرحبا بملائكة ربي ولا حول ولا قوة إلا بالله وشممت رائحة طيبة لم أشم قط أطيب منها ثم شخص ببصره فمات والآثار في ذلك أكثر من أن تحصر وأبلغ من ذلك كله قول الله عز وجل فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون أي أقرب اليه بملائكتنا ورسلنا ولكنكم لا تبصرون فهذا أول الأمر وهو غير مرئي لنا ولا مشاهد وهو في هذه الدار ثم يمد الملك يده الى الروح فيقبضها ويخاطبها والحاضرون لا يرونه ولا يسمعونه ثم تخرج فيخرج لها نور مثل شعاع الشمس وريحة أطيب من رائحة المسك والحاضرون لا يرون ذلك ولا يشمونه ثم يصعد بين سماطين من الملائكة والحاضرون لا يرون ثم تأتي الروح وتشاهد غسل البدن وتكفينه وحمله وتقول قدموني أو الى أين تذهبون بي ولا تسمع الناس ذلك فإذا وضع في لحده وسوي عليه التراب لم تحجب التراب الملائكة عن الوصول اليه بل لو نقر له حجر وأودع فيه وختم عليه بالرصاص لم تمنع وصول الملائكة اليه فإن هذه الأحجار الكثيفة لا تمنع خرق الأرواح بل الحي لا يمنعها ذلك بل قد جعل الله المجاورة والتراب للملائكة بمنزلة الهواء للطير واتباع القبر وانبساط الروح بالبدن والبدن تبعا فيكون البدن في لحد أضيق من ذراع وقد فسح له مد بصره تبعا لروحه وأما عصرة القبر حتى تختلف أضلاع

بعض الموتى فلا يرده حس ولا عقل ولا فطرة ولو قدر أن أحدا بعث عن ميت فوجد أضلاعه
كما هي لم تختلف لم يمتنع أن يكون قد عادت ولقد أخبر بعض الصادقين أنه حفر ثلاثة أقبر
فلما فرغ اضطجع ليستريح فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر فقال
أحدهما لصاحبه اكبب فرسخا في فرسخ ثم وقفا على الثاني فقال اكبب ميلا في ميل ثم وقفا
على الثالث فقال اكبب فترا في فتر ثم انبذ في رجل غريب لا يؤبه له فدفن في القبر
الأول ثم جئ برجل آخر فدفن في القبر الثاني ثم جئ بامرأة مترفة من وجوه البلد
حولها نار كثيرة فدفنت في القبر الضيق الذي سمعته يقول فترا في فتر والفتر ما بين
الابهام والسبابة الأمر الخامس أن النار التي في القبر والجمرة ليست من نار الدنيا
ولا من ترع الدنيا فيشاهده من شاهد نار الآخرة الدنيا وحرها وانما هو من
نار وهي أشد من نار الدنيا ولا يحس بها أهل الدنيا فان الله سبحانه يحمي عليه ذلك
التراب والحجارة التي عليه وتحته حتى يكون أعظم حرا من جمر الدنيا ولو مستها أهل
الدنيا لم يحتملوا ذلك بل أعجب من ذلك ان الرجلين يدفنان احدهما الى جنب صاحبه
وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها الى جاره وذلك في روضة من رياض الجنة
لا يصل روحها ونعيمها الى جاره وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك وقد أرانا
من آياته مدة في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير ولكن النفوس مولعة بالتكذيب
بما لم تحط به علما الأمر وفقه الله تعالى وعصمه فيفرش للكافر لو حان من النار يشتعل
عليه قبره بها كما يشتعل التنور فاذا شاء الله تعالى أن يطلع على ذلك بعض عباده
أطلعه وغيبه عن غيره اذ لو اطلع عليه العباد كلهم لزالت كلمة التكليف والايمان
بالغيب ولما تدافن الناس كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لولا أن لا تدافنوا

لدعوت الله تعالى أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع ولما كانت هذه الكرة مشفية
في حق البشر سمعت ذلك وأدركته كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب في قبره وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد
بن الزبير الحراني أنه خرج من داره بعد العصر قاصدا الى البستان فلما كان
قبل غروب الشمس توسطت القبور فاذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل لون الزجاج
والميت في وسطه فجعلت أمسح عيني وأقول أنا نائم أم يقظان ثم التفت الى سور
المدينة وقلت والله ما أنا بنائم ثم ذهبت الى أهلي وأنا مدهوش فأتوني بطعام
فلم أستطع أن آكل ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب ذلك القبر فاذا به مكان
قد توفي ذلك اليوم فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن يقع أحيانا
لمن شاء الله أن يريه ذلك وقد ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن الشعبي أن
رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الأرض فيضربه
رجل بمقمعة من حديد حتى يغيبه في الأرض ثم يخرج فيفعل به ذلك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيمة وذكر
من حديث حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال بينا
أنا أسير بين مكة والمدينة على راحلة وأنا محقب اداوة اذ مررت بمقبرة فاذا رجل
خارج من قبره يلتهب نارا وفي عنقه سلسلة يجرها فقال يا أبا عبد الله انضح
يا أبا عبد الله انضح فوالله ما أدري عرفني باسمي أو كما يدعوا الناس فقلت
فقال يا أبا عبد الله لا تنضح يا أبا عبد الله لا تنضح ثم اجتذب
السلسلة فأعاده في قبره قال ابن أبي الدنيا وحدثنا أبي حدثنا نوح بن زاذان

شبكة الألوكة www.alukah.net

حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه قال بينا راكب يسير من مكة والمدينة
إذ مر بمقبرة فإذا رجل قد خرج من قبره يلهب نارا مصفدا في الحديد فقال يا أبا عبد
الله انصح يا أبا عبد الله انصح قال وخرج آخر يتلوه فقال يا أبا عبد الله لا تنصح يا
أبا عبد الله لا تنصح قال وغشي على الراكب وعدات به راحلته الى الفرج قال واصبح
وقد ابيض شعره فاخبر عثمان بذلك فمشى أربعة فرسخا الرجل وحده وذكر من حديث
سفيان شاذا ومن سابور عن أبي فروة قال مررنا في بعض المياه التي بيننا ومن البصرة
فسمعنا نهيق حمار فقلنا لهم ما هذا النهيق قالوا هذا رجل كان عندنا كانت امه
تكلمه بالشيء فيقول لها انهقي نهيقك فلما مات سمع هذا النهيق في قبره كل ليلة
وذكر أيضا عن عمرو بن دينار قال كان رجل من أهل المدينة وكانت له اخت في ناحية
المدينة فاشتكت وكان يأتيها يعودها ثم مات فدفنها فلما رجع ذكر انه نسي شيئا
في القبر كان معه فاستعان برجل من أصحابه قال فنبشا القبر ووجدنا ذلك
المتاع قال الرجل تنح حتى أنظر على أي حال أختي فرفع بعض ما على اللحد فإذا القبر
مشتعل نارا فردده وسوى القبر فرجع الى أمه فقال ما كان حال أختي فقالت ما
تسأل عنها وقد هلكت فقال لتخبرني قالت كانت تؤخر الصلاة ولا تصلي فيما
أظن بوضوء وتأتي أبواب الجيران فتلقرأ ذبها أبو نضرة وتخرج حديثهم وذكر
عن حصين الاسدي قال سمعت يزيد بن حوشب قال كنت جالسا عند يوسف بن عمر
والى جانبه رجل كان شقة وجهه صفحة من حديد فقال ليوسف حدث يزيدا بما
رأيت قال كنت شابا قد أتيت هذه الفواحش فلما وقع الطاعون قلت اخرج الى ثغر
من هذه الثغور ثم رأيت ان أحضر القبور فاتي الليلة بين المغرب والعشاء إذا جماعة

قد حفرت قبرا وانا منكب على تراب قبر أختي إذ جيء بجنازة رجل حتى دفن في ذلك
القبر وسووا عليه التراب فاقبل طيران ابيضان من المغرب مثل البعيرين حتى
سقط احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ثم أطلاه ثم تدلى احدهما في القبر
والآخر على شعيره فجئت حتى جلست على شفير القبر وكنت رجلا لا يلاجو في شيء قال
فسمعته يقول البث الترابن اصهارك في ثويز ممصرين نسجهما كراتمشي الخيلا
قال فضربه ضربة امتلأ القبر حتى فاض ما ودهنا قال ثم رفع رأسه فنظر الي
فقال انظروا اين هو جالس بلسه الله قال ثم ضرب جانب وجهي فسقطت فمكثت
ليلتي حتى أصبحت قال ثم أخذت أنظر الى القبر فإذا هو على حاله فهذا الماء والدهن
في رأي العين لهذا الرأي هو نار تأجج للميت كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم
عن الدجال انه يأتي معه بماء ونار فالنار ماء بارد والماء نار تأجج وذكر ابن أبي
الدنيا ان رجلا سأل أبا إسحق الفزاري عن التائب هل له توبة فقال نعم ان صحت
نيته وعلم الله منه الصدق وقال له الرجل كنت أنبش القبور وكنت أجد قوما وجوههم
لغير القبلة فلم يكن عند الفزاري في ذلك شيء فكتب الى الاوزاعي يخبره بذلك فكتب
اليه الاوزاعي تقبل توبته إذا صحت توبته وعلم الله الصدق من قلبه واما قوله
انه كان يجد قوما وجوههم لغير القبلة فاولئك قوم ماتوا على غير السنة وقال
ابن أبي الدنيا حدثني عبد المؤمن بن عبد الله بن عيسى العبسي انه قيل لتائب قد تاب
ما اعجب ما رأيت قال نبشت رجلا فإذا هو مسجى بالمسابير في تابوت جديد وهو مسمار كبير
في رأسه وآخر في رجليه قال وقيل لتائب آخر ما اعجب ما رأيت قال رأيت جمجمة
انسان مصبوب فيها رصاص قال وقيل لتائب آخر ما كان سبب توبتك قال غاتة

شبكة الألوكة www.alukah.net

مركت انبش له كت أراه تحول الوجه عن القبلة قلت وحدثني صاحبنا أبو عبد الله
بن مناب السلامي وكان من خيار عباد الله وكان يحترى الصدق قال جاء رجل الى سوق
الحداد بن بغداد فباع مسامير صغارا المسمار بر أسين فأخذها الحداد وجعل الحداد
يحمي عليها فلا يلين معه حتى عجز عن ضربها فطلب البائع فوجده فقال بزاز لك هذه
المسامير فقال لقيتها فلم يزل به حتى أخبره بأنه وجد قبرا مفتوحا وفيه عظام
ميت تنظومة بهذه المسامير قال فعالجتها على أن أخرجها فلم اقدر فأخذت
حجرا فكسرت عظامه وجمعتها قال وأنا رأيت تلك المسامير قلت له فكيف صفتها
قال المسمار صغير بر أسين قال ابن أبي الدنيا وحدثني ابي عن أبي الحريش عن أبيه
قال لما حفر أبو جعفر خندق الكوفة تحول الناس موتاهم فرأينا شابا ممن تحول
غضا على يديه وذكر عن سماك بن حرب قال مر أبو الدرداء بين القبور فقال
ما أنكر ظواهرك وفي داخلك الدواهي وقال ثابت البناني بينا أنا أمشي في
المقابر وإذا صوت خلفي وهو يقول يا ثابت لا يغرنك سكونها فكم من مغموم فيها
فالتفت فلم أر أحدا ومر الحسن على مقبرة فقال يا لهم من عسكر ما أسكنهم وكم فيهم من
مكروب وذكر ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز قال لمسلمة بن عبد الملك يا مسلمة
من دفن أباك قال مولاي فلان قال فمن دفن الوليد قال مولاي فلان قال فأنا أحدثك
ما حدثني به اند لما دفن أباك والوليد فوضعهما في قبورهما وذهب يحل العقد عنهما
وجد وجوههما قد حولت في أقبيتهما فانظر يا مسلمة اذا انا مت فالتمس وجهي فانظر
هل نزل بي ما نزل بالقوم أو هل عوفيت من ذلك قال مسلمة فلما مات عمر وضعته
في قبره فلمست وجهه فإذا هو مكانه وذكر ابن أبي الدنيا عن بعض السلف قال

مات ابنة له فأنزلها القبر وذهبت أصلح اللبنة فإذا هي قد حولت عن القبلة فاغتممت
لذلك غما شديدا فأريتها في النوم فقلت يا أبة اغتممت لما رأيت فأين أنت من تحويلك
تحولين عن القبلة قال كأنها تريد الذين ماتوا مصرين على الكبائر وقال عمرو بن ميمون
نعيت عمر بن عبد العزيز يقول كنت فيمن ولى الوليد بن عبد الملك في القبر فطرت الى الكعبة
قد جمعتا في عنقه فقال ابنه عاش ابي ورب الكعبة فقلت عوجل أبوك ورب
الكعبة فانتظر بها عمر بعده وقال عمر بن عبد العزيز ليزيد بن المهلب لما استعمله على
العراق يا يزيد اتق الله فاني حين وضعت الوليد في لحده فإذا هو يركض في أكفانه
وقال يزيد بن هارون انبأنا هشام بن حسان عن واصل مولى ابن عيينة عن عمرو بن
دينار عن عبد الحميد بن محمود قال كنت جالسا عند ابن عباس فأتاه موت فقالوا أتانا خبر
نجاحا ومعنا صاحب لنا حتى أتينا ذات الصفاح مات فحفرنا
له فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود قد ملأ اللحد فحفرنا له آخر فإذا به قد ملأ اللحد
فحفرنا آخر فإذا به فقال ابن عباس ذاك الغل الذي في عنقه انطلقوا فادفنوه في بعضها
فوالذي نفسي بيده لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيه فانطلقنا فوضعناه في بعضها
فلما رجعنا أتينا أهله بمتاع له معنا فقلنا لامرأته ما كان يعمل زوجك قالت كان يبيع
الطعام فيأخذ منه كل يوم قوت أهله ثم يعرض الفضل مثله فيلقيه فيه وقال ابن
أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسين قال حدثني أبو إسحاق صاحب لي قال ذهبت إلى ميت
لأغسله فلما كشفت الثوب عن وجهه إذا بحية قد تطوقت على حلقه مذ كر من غلظها
قال فخرجت ولم أغسله مذكرا أنه كان يسب الصحابة وذكر ابن أبي الدنيا عن سعيد بن
خالد بن يزيد الانصاري عن رجل من أهل البصرة كان يحفر القبور قال حفرت قبرا إذا

شبكة الألوكة www.alukah.net

يوم رووضعت رأسي فرسا عند فأتتني امرأتان في منامي فقالت إحداهما يا عبد الله لست لذلك
الله إلا صرفت عنا هذه المرأة ولا تجاورنا بها فاستيقظت فزعا فإذا الجنازة امرأة فدعي
بها فحلت القبر وأكثر وصر فمصر عن ذلك القبر فلما كان بالليل إذا أنا بالمرأتان في
منامي تقول احداهما جزاك الله عنا خيرا فقد صرف عنا شرا طويلا فقلت ما لصاحبتك
لا تكلمني كما تكلمني أنت قالت إن هذه مات عن غير وصية وحق لمن مات عن غير وصية
أن لا يتكلم إلى يوم القيمة فهذه الأخبار واضعافها واضعاف أضعافها كما لا يتسع
لها الكتاب مما أراه الله سبحانه لبعض عباده من عذاب القبر ونعيمه عيانا وأما رؤية
المنام فلو ذكرناها لجاءت عدة أسفار ومن أراد الوقوف عليها فعليه بكتاب المنامات
وكتاب البيان للقبر واني وغيرها من الكتب المضمنة لذلك وليس عند الملاحدة
والزنادقة إلا التكذيب بما لم يحيطوا الأمر السابع أن الله سبحانه يحدث في هذه الدار
ما هو أعجب من ذلك فهذا جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وتمثل له رجلا
فيكلمه بكلام يسمعه ومن إلى جانب النبي صلى الله عليه وسلم لا يراه ولا يسمعه وكذلك
غيره من الأنبياء وأحيانا يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس ولا يسمعه غيره من
الحاضرين وهؤلاء الجن تحدثون ويتكلمون بالأصوات المرتفعة بيننا ونحن لا نسمعهم وقد
كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا
يرون ولا يسمعون كلامهم والله سبحانه قد حجب بني آدم عن كثير مما يحدث في الأرض
وهو بينهم وقد كان جبريل يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم ويدارسه والحاضرون لا يسمعون
وكيف ينكر من يعرف الله سبحانه ويقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنا أبصار
خلقه جملة بينه ورحمة بصر لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها والجد اضعف بصرا

وسمعا

وسمعا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر وكثير ممن أشهده الله ذلك صعق وغشي عليه
ولم يتتابع بالعيش زمنا وبعضهم كشف قناع قلبه فمات فكيف ينكر بالحكمة الإلهية
إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتى إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه
عيانا فتزال العبد قادر على أن ينزل الريق والرعد عن عنق الميت وصدره شرره بسرعة
فكيف يعجز عنه الملك وكيف لا يقدر عليه من هو على كل شيء قدير وكيف يعجز قدرته
عن إتيانه في عينه وعلى صدره لا يسقط عنه وهل قياس أمر البرزخ على ما يشاهده الناس
في الدنيا إلا محض الجهل والضلال ونكذب أصدق الصادقين ونعجز رب العالمين
وذلك غاية الجهل والظلم وإذا كان أحدنا يمكنه توسيع القبر عشرة أذرع ومائة
ذراع وأكثر طولا وعمقا وعرضا ويستر توسعته عن الناس ويطلع عليه من يشاء
فكيف يعجز رب العالمين أن يوسعه ما يشاء على من يشاء ويستر ذلك عن أعين بني آدم
فيراه بنو آدم ضيقا وهو أوسع شيء وأطيبه ريحا وأعظمه أضاءة ونورا وهو
لا يزوى ذلك وسر المسألة أن هذه التوسعة والضيق والإضاءة والخضرة والنار ليس
من جنس المعهود في هذا العالم والله سبحانه إنما أشهدني آدم في هذه الدار ما كان
فيها ومنها فإنما كان في أمر الآخرة بعد أسبل عليه الغطاء ليكون الإمر أريد والإيمان
سببا للسعادة بصرها فإذا كشف عمر الغطاء صار عيانا مشاهدا فلو كان الميت بين الناس
موضوعا لم يمتنع أن يأتيه الملكان فيسألانه من غير أن يشعر الحاضرون ذلك وجسمها
من غير أن تسمعوا كلامه ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه وهذا الواحد منا
ينام إلى جنب صاحبه فيعذب في النوم ويضرب ويألم وليس عند المستيقظ خبر من ذلك
البتة وقد يرى أثر الضرب والألم في جسده ومن أعظم الجهل استبعاد شق الملك

الارض والحجر وقد جعلها الله سبحانه له كالهواء للطائر ولا يلزم من حبسها للاجسام
الكثيفة ان تتولج فيها حبسها للارواح اللطيفة وهل هذا الا مر افسد القياس وبهذا
وامثاله كذبت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم الامر الثاني انه غير ممتنع ان ترد الروح
الى المصلوب والغريق والحريق ونحن لا نشعر بها اذ ذلك الرد نوع اخر غير المعهود فهذا
المعنى عليه والمسلوب والمبهوت احيا وارواحهم معهم ولا نشعر بحياتهم ومن يفرق
اجزاءه لا يمتنع على من هو على كل شئ قدير ان يجعل للروح اتصالا بتلك الاجزاء على تباعد
ما بينها وقربه وكون تلك الاجزاء اشرت بنوع من الالم واللذة واذا كان الله قد
جعل في الجمادات شعورا وادراكا تسبح ربها وتسقط الحجارة من خشية الله وتسجد له
الجبال والشجر ويسبحه الحصا والمياه والنبات قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم فان كل عاقل يفقه دلالتها على صانعها وقال تعالى انا سخرنا
الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والدلالة لا تخص معينة واحدة وكذب على الله
من قال التاويب ترجيع فان هذا لا يكون صوت وقال تعالى الم تر ان الله يسجد له
من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
وكثير من الناس والدلالة على الصانع لا تخص كثيرا من الناس وقال تعالى الم تر ان
الله يسبح له من في السموات ومن في الارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
فهذه صلاة وتسبيح حقيقة يعلمها الله وان جحدها الجاهلون المكذبون وقد اخبر
تعالى عن الحجارة بان بعضها يزول من مكانه ويسقط من خشيته وقد اخبر عن الارض
والسما ان اذنا له وحق لهما ان تسمعا كلامه وقد خاطبهما فسمعا خطابه واحتنا

بجواب

جوابه فقال لهما ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقد كان الصحابة رضي الله
عنهم يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل وسمعوا حنين الجذع الذي كان في المسجد فاذا كانت
هذه الاجسام فيها الاحساس والشعور فالاجسام التي كانت فيها الروح والحياة
اولى بذلك وقد اشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار اعادة حياة كاملة الى بدن
قد فارقته الروح فتكلم ومشى واكل وشرب وتزوج وولد له كالذين خرجوا من
ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وكالذي مر على
قرية وهي خاوية على عروشها قال اني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام
ثم بعثه وكبعض بني اسرائيل او كالذين قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاماتهم
الله ثم بعثهم من بعد موتهم وكاصحاب الكهف وبعثه ابراهيم في الطيور الاربعة
فاذا اعاد الحياة التامة الى هذه الاجساد بعد ما بردت بالموت فكيف يمتنع على
قدرته القاهرة ان يعيد اليها بعد موتها حياة ما غير مستقرة يقضي بها ما امره
فيها ويستنطقها بما ويعذبها او ينعمها باعمالها وهل انكار ذلك الا مجرد تكذيب
وعناد وجحود وبالله التوفيق الامر التاسع انه ينبغي ان تعلم ان عذاب القبر ونعيمه
اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والاخرة قال تعالى ومن ورائهم
برزخ الى يوم يبعثون وهذا البرزخ نشور لاهله مندرج من الدنيا والاخرة وفي
عذاب القبر ونعيمه وانه روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار بحسب اعمال العباد
والحرق والغرق واكل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه فسطه الذي
تقتضيه اعماله وان تنوعت اسباب التعبير والعذاب وكيفياتهما وقد ظن بعض
اولئك انه اذا احرق جسده بالنار وصار رمادا او ذري بعضه في البر وبعضه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في البحر في يوم شديد الحرارة ينجو ابن ذلك فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك فأمر الله البحر
فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال قم فإذا هو قائم بين يدي الله فسأله ما حملك
فعلك خشيتك يا رب وأنت أعلم فما لاقاه أن رحمه فلم يقف عذاب القبر ونعيمه لهذه
الأجزاء التي صارت في هذه الحال حتى لو علق الميت على رؤس الأشجار في مهاب الرياح
لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ولو دفن الرجل الصالح في أتون
من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه فجعل الله النار على
هذا بردا وسلاما والهواء على ذلك نارا وسموما فعناصر العالم وموادّه منقادة لربها
فاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء ولا يستعصي عليه شيء منها أراده بل هو طوع مشيئته
متذللة منقادة لقدرته ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته
الأمر العاشر أن الموت معاد وبعث أول فإن الله سبحانه جعل لابن آدم معادين وبعثين
يجزي فيهما الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى والبعث الأول مفارقة
الروح للبدن ومصيرها إلى دار الحشر الأول والبعث الثاني يوم يرد الله الأرواح
إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو إلى النار وهو الحشر الثاني وهذا في
الحديث الصحيح ويؤمن بالبعث الآخر فإن البعث الأول لا ينكره وإن أنكر كثير من
الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب وقد ذكر الله سبحانه هاتين القيامتين وهما
الصغرى والكبرى في سورة المؤمنين وسورة الواقعة وسورة القيامة وسورة المطففين
وسورة النجم وغيرها من السور وقد اقتضى عدله وحكمته أن جعل لهما دارين جزاء
للمحسن والمسيء ولكن توفية الجزاء إنما تكون يوم المعاد الثاني في دار القرار كما قال تعالى
كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة وقد اقتضى عدله وأوجب أن

الحسنى

الحسنى وكماله المقدس بخير أبدا لأوليائه وأرواحهم وتعذيب أبدا لأعدائه وأرواحهم
فلا بد أن يذيق بدن المطيع لذة وروحه من النعيم واللذة ما يليق به ويذيق بدن الفاجر
العاصي له وروحه من الألم والعقوبة ما يستحقه هذا موجب عدله وحكمته وكماله
المقدس فلما كانت الدار دار تكليف وامتحان لا دار جزاء لم يظهر فيها ذلك وأما دار البرزخ
فأول دار الجزاء ظهر فيها بعض ذلك ما يليق بتلك الدار وتقتضي الحكمة إظهاره فإذا
كان يوم القيامة الكبرى وفي أهل الطاعة وأهل المعصية ما يستحقونه من نعيم الأبدان
والأرواح وعذابها فعذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها وهو مشتق
منه وواصل إلى أهل البرزخ من هناك كما دلت عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة
في غير موضع دلالة صريحة لقول فيتفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها
ومعلوم قطعا أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما يأخذ الروح حظها فإذا كان
يوم القيامة دخل من ذلك الباب إلى مقعده الذي هو داخله وهذان البابان يصلان
بينهما إلى الجسد في هذه الدار أثر خفي محجوب بالشواغل والعوائق الجسيمة والعوارض
لكن يحس به كثير من الناس وإن لم يعرف سببه ولا يحس التغير عند وجود التي غير
الإحساس به والتغير عنه فإذا مات كان وصول ذلك الأثر إليه من ذينك البابين
أكمل وإذا بعث كان وصول ذلك الأثر إليه بحكمة الرب تعالى بحسب ذلك أكمل انتظام
في الدور الثالث المسألة الثامنة وهي قول السائل ما الحكمة في كون عذاب القبر لم
يذكر في القرآن مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ليحذر ويتقى والجواب من
وجهين مجمل ومفصل أما المجمل فهو أن الله سبحانه أنزل على رسوله وجب على
عباده الإيمان بما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة قال الله تعالى وأنزل الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليك الكتاب والحكمة وقال تعالى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم
آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات
الله والحكمة والكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة باتفاق السلف وما أخبر به
الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب تعالى على لسان
رسوله هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم إني أوتيت الكتاب ومثله معه وأما الحواب المفصل فهو أن
يعبر الروح وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع فمنها قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون
في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب
الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون وهذا خطاب
لهم عند الموت قطعا وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون
عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولو تأخر
عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم اليوم تجزون عذاب الهون وقوله
تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب النار
فذكر عذاب البرزخ ذكرا صريحا لا يحتمل غيره ومنها قوله تعالى فذرهم حتى
يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون
وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون وهذا يحتمل أن يراد به
عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذاب البرزخ وهو أظهر لأن
كثيرا منهم مات ولم يعذب في الدنيا وقد قال تعالى وهو أظهر أن من مات منهم عذب

في البرزخ ومن بقي عذب في الدنيا بالقتل وغيره وهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي
البرزخ ومنها قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم
يرجعون وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر
وفي الاحتجاج بها شيء لأن هذا في عذاب الدنيا يستدعي رجوعهم على الكفر ولم يكن
هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن لكن من وضعه في القرآن وقد نبه
فيه فهم منها عذاب القبر فالله سبحانه أخبر أن لهم عذابين أدنى وأكبر
وأخبر أنه يذيق بعض الأدنى ليرجعوا فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون
بها بعذاب الدنيا وهذا قال من العذاب الأدنى ولم يقل ولنذيقنهم العذاب
الأدنى فتأمله وهذا نظير قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد نخر له دابة إلى
النار فأتيه من حرها وسمومها ولم يقل فأتيه حرها وسمومها فإن الذي وصل
إليه بعض ذلك وبقي أكثر والذي ذاقه أعداء الله في الدنيا بعض العذاب الأدنى
وبقي لهم ما هو أعظم منه ومنها قوله تعالى فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ
تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها
إن كنتم صادقين فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من
أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل
من حميم وتصلية جحيم إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم فذكر
هنا أحكام الأرواح عند الموت وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأجر
وقدر ذلك على هذا المقدار الغاية إذ هي أهم وأولى بالذكر وجعلهم عند الموت
ثلاثة أقسام كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام ومنها قوله تعالى يا أيتها النفس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقد اختلف
السلف متى يقال لها ذلك فقالت طائفة يقال لها ذلك عند الموت وظاهر اللفظ مع
هؤلاء فانه خطاب للنفس التي قد تجردت عن البدن وخرجت منه وقد فسر ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث البراء وغيره فيقال لها اخرجي راضية
مرضيا عنك وسيأتي تمام تقرير في هذه المسئلة التي ذكرنا فيها مستقر الأرواح في
البرزخ ان شاء الله وقوله تعالى فادخلي في عبادي مطابق لقوله صلى الله عليه
وسلم اللهم الرفيق الأعلى وأنت اذا أملت عذاب القبر ونعيمه وجدتها مفصلا
ومفسرا الما دلت عليه القرآن وبالله التوفيق المسئلة الثانية وهي قول السائل ما الأسباب
التي تعذب بها أصحاب القبور فيها بين وجهين مجمل ومفصل أما المجمل فانهم
معذبون على جهلهم بالله واضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه فلا يعذب
الله روحا عرفته واحبته وامتثلت امره واجتنبت نهيه ولا بدنا كانت فيه
أبدا فان عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده فمن اغضب الله
واسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب
الله وسخطه عليه فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب واما الجواب المفصل
فقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في
قبورهما يمشي احدهما بالنميمة بين الناس وترك الآخر الاستبراء من البول فهذا
ترك الطهارة الواجبة وذاك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه
وان كان صادقا وفي هذا تنبيه على ان الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان
اعظم عذابا كما ان في ترك الاستبراء من البول تنبيها على ان من ترك الصلاة التي

الجزء

الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشد وفي حديث شعبة أما أحدهما
فكان يأكل لحوم الناس فهذا مناسب وذاك تمام وقد تقدم حديث ابن مسعود في
الذي ضرب سوطا امتلأ عليه القبر نارا لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور وتقدم
على مظلوم فلم ينصره وتقدم حديث سمرة في صحيح البخاري في حديث من كذب الكذبة
تبلغ الآفاق وتعذب ثم يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به بالنهار وتعذيب
الزناة وتعذيب أكل الربا كما شاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم في البرزخ وتقدم
حديث أبي هريرة الذي فيه رضخ رؤوس أقوام بالصخر لتثاقلهم وسهرهم عن الصلاة
والذين يسرحون بين الضريع والزقوم لتركهم زكاة أموالهم والذين يأكلون اللحم
المنتن الخبيث لزناهم والذين تقرض شفاههم مقاريض من حديد لقيامهم في الناس
بالكلام والخطب وتقدم حديث أبي سعيد وعقوبة أرباب تلك الجرائم فمنهم من
بطونهم أمثال البيوت وهم على سابلة آل فرعون وهم أكلة الربا ومنهم من يسبح
أفواههم يتلقمون الحجر حتى يخرج من أسافلهم وهم أكلوا أموال اليتامى ومنهم
المعلقات بثديهن وهم الزواني ومنهم من تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم وهم
المغتابون ومنهم من لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم وهم الذين
يمزقون أعراض الناس وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن صاحب الشملة التي
غلها من المغنم انها شتعل عليه نارا في قبره هذا وله فيها حق فكيف بمن ظلم غيره مما
لا حق له فيه فعذاب القبر من محاصي القلب واللسان واليد والأذن والفم والبطن
والفرج واليد والرجل والبدن كله كالكذاب والنمام والمغتاب وشاهد
الزور وقاذف المحصن والمو في الفتنة والداعي الى البدعة والقائل على الله

ورسوله ما لا علم له به والمجازف في كلامه وآكل الربا وآكل أموال اليتامى وآكل السحت من
الرشوة والتطفيل ونحوهما وآكل مال أخيه المسلم بغير حق وآكل مال المعاهد وشارب
المسكر وآكل لقمة الشبهة الملعون والزاني واللوطي والسارق والخائن والغادر والخادع
والماكر وآكل الربا وموكله ومعطيه وشاهده والمحلل والمحلل له والمحتال على اسقاط فرائض
الله وارتكاب محارمه وموذي المسلمين ومتتبع عوراتهم والحاكم بغير ما أنزل الله
والمفتي بخلاف ما شرعه الله والمعين على الإثم والعدوان وقاتل النفس التي حرم الله
والملحد في حرم الله والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته والملحد فيها والمقدم رأيه وذوقه
وسياسته على سنة رسول الله والناجذ والمستمع إليها ونواحي جهنم وهم المغتنون
الغنا الذي حرمه الله ورسوله والمستمع اليهم والذين يبنون المساجد على القبور
ويوقدون عليها القناديل والسرج والمطففون الذين إذا اكتالوا على الناس استوفوا
ما عليهم إذا بدلوه والجبارون والمتكبرون والمراءون والهمازون واللمازون والطعانون على
السلف والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم والعواة
الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم والذي إذا خوفه بالله وذكره به
لم يرعو ولم ينزجر وإذا خوفه مخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه والذي
يهدى بكلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلا يهتدي ولا يرفع به رأسا فإذا
بلغه عمل من يحسن الظن به من نصيب ويخطئ عن عليه بالنواجذ ولم يخالف والذي
يقرأ عليه القرآن ولا يوقن به وربما استمع قرآن الشيطان ورقية
البرا ومادة النفاق طاب مشربه وتواجد وهاج من قلبه دواعي الطرب وود
أن المغني لا يسكت والذي يحلف بالله ويكذب فإذا حلف برأيه أو برأس شيخه او

قريبه أو بسر أولياء الفتوة أو حياة من تحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ولو هدد
أو عوقب والذي يتجاهر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر
والذي لا تأمنه على مالك وحريمك والفاحش اللسان البذي الذي تركه اتقاء شره
وفحشه والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلا
ولا يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه ولا يحج مع قدرته على الحج ولا يؤدي ما
عليه من الحقوق مع قدرته عليها ولا يتورع من لحظه ولا من لفظه ولا أكله ولا
خطوه ولا يبالي ما حصل من المال من حلال أو حرام ولا يصل رحمه ولا يرحم المسكين ولا
الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ويرى
العالمين ويمنع الماعون ويشغل بعيوب الناس عن عيوبه ويذنبهم عن ذنبه فكل
هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغرها وكبرها
ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبون والقليل منهم قليل وظاهر
القبور تراب وباطنها حسرات وعذاب ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة
مبنيات وفي بواطنها الدواهي والممات تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها ويحق
لها وقد جعلت بدنا ومن شهواتها وأمانيها بالله لقد وعظت فما تركت لواعظ مقالا
ونادت بأعمار الدنيا لقد عمرت دارا موشكة بكم زوالا وخربت دارا أنتم تعمرون
إليها استبقالا عمرتم بيوتا لغيركم مساكنها وخربتم بيوتا ليس لكم مساكن سواها هذه
دار الاستيفا ومستودع الأعمال وبذر الزرع هذه محل الغرس وضفة من رياض
الجنة أو حفرة من حفر النار المثلة الخاسرة وهي قوله ما الأسباب المفضية من
عذاب القبر فجوابها أيضا من وجهين مجمل ومفصل أما المجمل فهو تجنب تلك الأسباب

الى تقضي عذاب القبر ومن انفعها ان تجلس الرجل عند ما يريد النوم قدر ساعة يحاسب
فيها نفسه على ما خسره ويجدد له توبة نصوحا بينه وبين الله فيما قل
تلك التوبة ويعزم على ان لا يعاود الذنب اذا استيقظ مستقبلا للعمل مسرورا بما خير
اجله حين يستقبل ربه ويستدرك ما فاته وليس للعبد انفع من هذه النومة ولا سيما
اذا اعقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم
عند النوم حتى يغلبه النوم فمن اراد الله به خيرا وفقه لذلك ولا قوة الا بالله
واما الجواب المفصل فذكر احاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نجى من
عذاب القبر فمنها ما رواه مسلم في صحيحه عن سلمان قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات اجري
عليه عمله الذي كان يعمله واجري عليه رزقه وامن الفتان وفي جامع الترمذي
من حديث فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم
على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيمة ويامن
من فتنة القبر قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي سنن النسائي عن ابن ثوبان
سعد عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله ما بال
المؤمنين يفتنون في قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة
وعن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند
الله ست خصال يغفر له في اول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من
عذاب القبر ويامن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة خير
من الدنيا وما فيها ويزوج بثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين

رواه ابن ماجه والترمذي وهذا لفظه وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وعن ابن
عباس قال ضرب رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو
لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وانا لا احسب انه قبر انسان فاذا قبر
انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية
تنجيه من عذاب القبر قال الترمذي هذا حديث حسن غريب ورويا في مسند
عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن ابيه عن عكرمة عن ابن عباس انه قال لرجل
الا اتحفك بحديث تفرح به قال بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك احفظها وعلمها
اهلك واولادك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة
تكادك وتخاصر يوم القيمة عند ربها لقارئها وتطلب له الى ربها ان ينجيه من
عذاب القبر اذا كانت في جوفه وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لوددت انها في قلب كل انسان من امتي قال
ابو عمرو بن عبد البرضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان سورة
ثلاثين اية شفعت في صاحبها حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك وفي سنن ابن
ماجة من حديث ابي هريرة يرفعه من مات مرابطا مات شهيدا ووقي فتنة القبر
وغدي ويرح من عليه برزقه من الجنة وفي سنن النسائي عن جابع بن شداد قال سمعت
عبد الله بن يسار يقول كنت جالسا مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكروا ان
رجلا مات بطنه فاذا هما يشتهيان ان يكونا شهدا جنازته فقال احدهما للاخر
الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله بطنه لم يعذب في قبره وقال

أبو داود الطيالسي في مسنده ثنا شعبة حدثني أحمد بن جابر بن شداد قال حدثني أبي فذكره
وزاد فقال الآخر بل وفي الترمذي من حديث ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم تموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا
وقاه الله فتنة القبر قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وليس إسناده بمتصل
ربيعة بن سيف إنما يروي عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ولا يعرف لربيعة
بن سيف سماع من عبد الله بن عمرو انتهى وقد روى الترمذي الحكيم من حديث ربيعة بن
سيف هذا عن عياض بن عقبة الفهري عن عبد الله بن عمرو وقد رواه أبو نعيم الحافظ
عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا ولفظه من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجير من
عذاب القبر وجاء يوم القيمة وعليه طابع الشهداء تفرد به عمرو بن موسى الوجيهي
وهو مدني ضعيف وقوله صلى الله عليه وسلم كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة
معناه والله أعلم أنه قد امتحن بفاقه من إيمانه ببارقة السيوف على رأسه فدل على أن
إيمانه هو الذي حمله على ذلك بفضل الله وتسليمه له وهاج من قلبه حمية الغضب لله
ورسوله وإظهار دينه واعزاز كلمته فهذا قد أظهر صدقه ما في ضميره حين برز للقتل
فاستغنى بذلك عن الامتحان في قبره قال أبو عبد الله القرطبي إذا كان الشهيد لا يفتن
فالصديق أجل خطرا وأعظم أجرا أن لا يفتن لانه مقدم ذكره في التنزيل على الشهداء
وقد صح في المرابط الذي هو دون الشهيد أنه لا يفتن فكيف بمن هو أعلا رتبة منه
ومن الشهيد والأحاديث الصحيحة ترد هذا القول ويتبين أن الصديق يسأل في قبره
كما يسأل غيره وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأس الصديقين وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم لما أخبره عن سؤال الملكين في القبر فقال وأنا على مثل حالتي هذه فقال

نعم وذكر الحديث وقد اختلف الناس في الأنبياء هل يسألون في قبورهم على قولين وهما
وجهان في مذهب أحمد وغيره ولا يلزم من هذه الخاصة التي قد اختص بها الشهيد أن
يشاركه الصديق في حكمها وإن كان أعلا منه فخواص الشهداء قد يتخلى عنهم هو أفضل منهم
وإن كان أعلا منهم درجة وأما حديث ابن ماجة من مات مرابطا مات شهيدا ووقي
فتنة القبر من أفراد ابن ماجة وفي أفراده غرائب ومنكرات ومثل هذا الحديث مما يتوقف
ولا شبهة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن صح فهو مقيد بالحديث الآخر وهو
الذي يقتله بطنه فإنه صح عنه أنه قال المبطون شهيد فيحمل هذا المطلق على ذلك
المقيد والله أعلم وقد جاء فيما ينجي من عذاب القبر حديث فيه الشهادة رواه أبو موسى
الديبي وبنى عليه كتابه في الترغيب والترهيب وجعله شرحا له رواه من حديث الفرج
بن فضالة ثنا هلال أبو جميلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في شقة في المدينة فقام علينا فقال
إني رأيت البارحة رجلا من أمتي أتى ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بر والديه
فرد ملك الموت عنه ورأيت رجلا من أمتي قد تسلط عليه عذاب القبر فجاءه
وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه
ذكر الله فطرد الشيطان عنه ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب
فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما دنا من
حوض منع وطرد فجاءه صوم رمضان فأسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمتي ورأيت
النبيين جلوسا حلقا حلقا كلما دنا إلى حلقة طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده
فأقعده إلى جنبي ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه

ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متقلب فيه فجاءه حسنته وعرفه فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور ورأت رجلا من أمتي يتقي بوجهه وهج النار وشرارها فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار وظل على الصراط ورأيته ورأت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءه صلته لرحمه فقال يا معشر المسلمين إنه كان وصولا لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم ورأت رجلا من أمتي قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة ورأت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله عز وجل ورأت رجلا من أمتي قد هبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه ورأت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه ورأت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى ورأت رجلا من أمتي قد هوى في النار فجاءته دموعه التي بكا من خشية الله تعالى فاستنقذته من ذلك ورأت رجلا من أمتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن روعه ومضى ورأت رجلا من أمتي يزحف على الصراط ويحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته فأقامته على قدميه وأنقذته ورأت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فخلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة قال الحافظ أبو موسى هذا حديث حسن جدا رواه عن سعيد بن المسيب عمر بن ذر وعلي بن زيد بن جدعان ونحو هذا الحديث مما قيل فيه أن رؤيا الأنبياء وحي فهي على ظاهرها

فكم مما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت كأن سيفي انقطع فأولته كذا وكذا ورأيت بقرا تنحر ورأيت كأنا على دار عقبة بن رافع وقد روي في رؤياه الطويلة من حديث سمرة في الصحيح ومن حديث أبي عيسى وأبي أمامة ورؤيا هذه هؤلاء الثلاثة قرب بعضها من بعض مشتملة على ذكر عقوبات جماعة من المعذبين في البرزخ فأما في هذه الرواية ذكر العقوبة وأنبهما مما يجري من العمل وراوي هذا الحديث عن المسيب هلال أبو جبلة مدني لا يعرف بغير هذا الحديث ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه هكذا وذكره الحاكم أبو عبد الله أبو جبل بلا هاء وحكاه عن مسلم وراويه عنه الفرج بن فضالة وهو وسط في الرواية ليس بالقوي ولا المتروك وراويه عنه بشر بن الوليد الفقيه المعروف بأبي الخطيب كان حسن المذهب جميل الطريقة وسمعت شيخ الإسلام يعظم أمر هذا الحديث ويقول أصول السنة تشهد له وهو من أحسن الأحاديث

المسألة الحادية عشرة وهي أن السؤال في القبر هل هو عام في حق المسلمين والكفار والمنافقين أو يختص بالمسلم والمنافق قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد والآثار الدالة على أن السنة لا تكون إلا لمؤمن أو منافق من كان منسوبا إلى أهل القبلة ودين الإسلام بظاهر الشهادة وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام فثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وتراب المبطلون والقرآن والسنة دليل على خلاف هذا القول وأن السؤال للكافر والمنافق قال الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وقد ثبت في الصحيح لزلت في عذاب القبر حين يسأل

من ربك وما دينك ومن نبيك وفي الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم
وذكر الحديث رواه البخاري وأما المنافق والكافر فيقول له ما كنت تقول في هذا
الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب
بمطرقة من حديد فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين هكذا في البخاري وأما المنافق
والكافر بالواو وقد تقدم في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه ابن حبان والإمام
أحمد كما في جنازة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان هذه الامة
تبتلى في قبورها فإذا الإنسان دفن وتولى عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده
فقال ما تقول في هذا الرجل فان كان مؤمنا قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فقال له صدقت فيفتح له بابا إلى النار
فيقال له هذا منزلك لو كفرت بربك وأما الكافر والمنافق فيقول له ما تقول في هذا
الرجل فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا اهتديت ثم يفتح له بابا إلى الجنة فيقال
له هذا مقعدك لو آمنت بربك فأما إذا كفرت فان الله أبدلك به هذا ثم يفتح له
بابا إلى النار ثم يقعد الملك بالمطراق فمقعة يسمعه خلق الله إلا الثقلين فقال
بعض الصحابة يا رسول الله ما أحد يقوم على رأسه ملك إلا هيل عند ذلك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وذكر الحديث وأما
عذاب القبر الطويل وأما الكافر إذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت عليه
ملائكة من السماء مصمتة مسوح وذكر الحديث الى أن قال ثم تعاد روحه في جسده في قبره

وذكر الحديث وفي لفظه فإذا كان فاجرا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فذكر الحديث الى قوله
ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بأشر أسمائه فإذا انتهى الى السماء الدنيا فيقال وذكر
فيرمى به من السماء ثم قال ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به
الريح في مكان سحيق قال فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان شديدا الانتهار
فيجلسانه ويقعدانه فيقولان من ربك فيقول هاه لا أدري فيقولان لا دريت فيقولان
هذا الذي بعث فيكم فتقول سمعت الناس يقولون ذلك لا أدري فيقولان لا دريت
دريت وذلك قول الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وذكر الحديث وأما
الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعا لقوله تعالى ان الأبرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم وقوله كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وفي لفظ آخر في حديث
البراء وان الكافر إذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة
شداد غلاظ معهم شياب من نار وسرابيل من قطران فيجلسون منه مد البصر ويتزع روحه
كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فإذا خرجت لعنه كل ملك
بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وذكر الحديث الى أن قال انه يسمع خفق
نعالهم إذا ولوا مدبرين فيقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري
فيقال لا دريت وذكر الحديث رواه حماد بن سلمة عن يونس بن خباب عن المنهال
بن عمرو عن زاذان عن البراء وفي حديث عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن
البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار
وذكر الحديث الى أن قال وان الكافر إذا كان في دبر من الدنيا وقبل من الآخرة

شبكة الألوكة www.alukah.net

من ربك وما دينك ومن نبيك وفي الصحيحين عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال إن العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم
وذكر الحديث رواه البخاري واما المنافق والكافر فيقول له ما كنت تقول في هذا
الرجل فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب
بمطرقة من حديد فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين هكذا في البخاري واما المنافق
والكافر بالواو وقد تقدم في حديث ابي سعيد الخدري الذي رواه ابن حبان والامام
احمد كما في جنازة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس ان هذه الامة
تبتلى في قبورها فاذا الانسان دفن وتولى عنه اصحابه جاءه ملك في يده مطراق فاقعده
فقال ما تقول في هذا الرجل فان كان مؤمنا قال اشهد ان لا اله إلا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فقال له صدقت فيفتح له بابا إلى النار
فيقال له هذا منزلك لو كفرت بربك واما الكافر والمنافق فيقول له ما كنت تقول في هذا
الرجل فيقول لا ادري فيقال له لا دريت ولا اهتديت ثم يفتح له بابا إلى الجنة فيقال
له هذا مقعدك لو امنت بربك فاما اذ كفرت فان الله ابدلك به هذا ثم يفتح له
بابا إلى النار ثم يقعد الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله الا الثقلين فقال
بعض الصحابة يا رسول الله ما احد يقوم على رأسه ملك الا هيل عند ذلك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وذكر الحديث واسم
الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعا لقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم وقوله كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وفي لفظ آخر في حديث
البراء وان الكافر اذا كان في قبل من الاخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة
شداد غلاظ معهم شياب من نار وسرابيل من قطران فيجتوشونه فتنزع روحه
كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فاذا خرجت لعنه كل ملك
بين السماء والارض وكل ملك في السماء وذكر الحديث الى ان قال انه يسمع خفق
نعالهم اذا ولوا مدبرين من قبله يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري
فيقال لا دريت وذكر الحديث رواه حماد بن سلمة عن يونس بن خباب عن المنهال
بن عمرو عن زاذان عن البراء وفي حديث عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن
البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار
وذكر الحديث الى ان قال وان الكافر اذا كان في دبر من الدنيا وقبل من الاخرة

وذكر الحديث وفي لفظه فاذا كان فاجرا جاءه ملك الموت فجلس عند راسه فذكر الحديث الى قوله
ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان باشر انماءه فاذا انتهى إلى السماء غلقت دونه فيقال
فيرمى به من السماء ثم قال ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به
الريح في مكان سحيق قال فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان شديدا الانتهار
فيجلسانه ويقعدانه فيقولان من ربك فيقول هاه لا ادري فيقولان ما هذا الذي بعث فيكم فيقول سمعت الناس يقولون ذلك لا ادري فيقولان لا دريت
هذا الذي بعث فيكم رسول الله ثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الاخرة وذلك قول الله تعالى ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وذكر الحديث واسم
الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعا لقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم وقوله كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وفي لفظ آخر في حديث
البراء وان الكافر اذا كان في قبل من الاخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة
شداد غلاظ معهم شياب من نار وسرابيل من قطران فيجتوشونه فتنزع روحه
كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فاذا خرجت لعنه كل ملك
بين السماء والارض وكل ملك في السماء وذكر الحديث الى ان قال انه يسمع خفق
نعالهم اذا ولوا مدبرين من قبله يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري
فيقال لا دريت وذكر الحديث رواه حماد بن سلمة عن يونس بن خباب عن المنهال
بن عمرو عن زاذان عن البراء وفي حديث عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن
البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار
وذكر الحديث الى ان قال وان الكافر اذا كان في دبر من الدنيا وقبل من الاخرة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وحضره الموت نزلت عليه من السماء ملائكة معهم كفن من نار وحنوط من نار وذكر الحديث
الى أن قال فترد روحه الى منخريه فأتيه منكر ونكير فيثيران الارض بانيابهما ويقتحمان
الارض بأشعارهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيجلسانه
ثم يقولان له هذا من ربك فيقول لا أدري فينادي من جانب القبر لا دريت فيضربانه
بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم يقلها وتضيق عليه قبره حتى تختلف
أضلاعه وذكر الحديث رواه الامام احمد في مسنده عن ابي النضر هاشم بن القاسم
حدثنا عيسى بن المسيب فذكره في حديث محمد بن مسلمة عن خصيف عن مجاهد عن البراء
قال كنا في جنازة رجل من الانصار ومعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث
الى أن قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا وضع الكافر في قبره
أتاه منكر ونكير فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت
الحديث وقد تقدم وبالجملة فعامة من روى حديث البراء ان عازب قال فيه وأما الكافر
بالجزم وبعضهم قال وأما الفاجر وبعضهم قال وأما المنافق او المرتاب وهذه
اللفظة من شك بعض الرواة هكذا في الحديث لا أدري اي ذلك قال وأما من ذكر
الكافر والفاجر فلم يشك ورواية من لم يشك مع كثرتهم اولى من رواية من شك
مع انفراده على انه لا تناقض من الروايتين فان المنافق يسأل كما يسأل الكافر والمؤمن
يثبت الله اهل الايمان ويضل الله الظالمين وهم الكفار والمنافقون وقد جمع
ابو سعيد الخدري في حديثه الذي رواه ابو عامر العقدي حدثنا عباد بن راشد عن
داود بن ابي هند عن ابي نضرة عن ابي سعيد قال شهدنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم جنازة فذكر الحديث وقال وان كان كافرا او منافقا يقول له ما تقول

في هذا الرجل فيقول لا أدري وهذا صريح في ان السؤال للكافر والمنافق وقول ابي عمر
رحمه الله واما الكافر والجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه فمحال
له ليس كذلك بل هو من جملة المسؤلين وأول بالسؤال من غيره وقد اخبر الله تعالى في
كتابه انه يسأل الكفار يوم القيمة قال تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
وقال فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال فلنسألن الذين ارسل اليهم
ولنسألن المرسلين فاذا سئلوا يوم القيمة فكيف لا يسألون في قبورهم فليس لما ذكره ابو عمر
رحمه الله وجه المسئلة الثانية عشرة وهي ان سؤال منكر ونكير هل يختص بهذه الامة
او يكون لها ولغيرها فهذا موضع تكلم الناس فيه فقال ابو عبد الله الترمذي انما سؤال
الميت في هذه الامة خاصة لان الامم قبلها كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فاذا أتوا
كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
بالرحمة اما بالخلق كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين امسك عنهم العذاب
واعطى السيف حتى يدخل في دين الاسلام من دخل لرأفة الشيف ثم ريح الايمان
في قلبه فأهلوا فمنهم هنا ظهر امر النفاق فكانوا يسترون الكفر ويحلفون الايمان
فكانوا بين المسلمين في ستر فلما ماتوا قبض الله لهم فتانى القبر ليستخرج سرهم بالسؤال
وليميز الله الخبيث من الطيب فيثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين وخالفه في ذلك آخرون منهم عبد الحق
الاشبيلي والقرطبي وقالوا السؤال لهذه الامة وغيرها وتوقف في ذلك آخرون
منهم ابو عمر بن عبد البر قال وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذه الامة تبتلى في قبورها فمنهم من تردد ولا يسأل وعلى هذا اللفظ يحمل

أن يكون خصت بذلك وهذا امر لا يقطع عليه وقد احتج من اختصه بهذه الامة بقوله
صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة تبتلى في قبورها وبقوله او حي الي انكم تفتنون
في قبوركم وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الامة قالوا ويدل عليه قول الملكين
له ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول المؤمن اشهد انه عبد الله
ورسوله وهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وقوله في الحديث الاخر انكم في
تمتحنون وعني تسألون قالوا الاخرون لا يدل هذا على اختصاص السؤال بهذه
الامة دون سائر الامم فان قوله هذه الامة اما ان تراد به امة الناس كما قال
تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم وكل جنس
من اجناس الحيوان تسمى امة وفي الحديث لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها
وفيه ايضا حديث الذي قرصته نملة فامر بقرية النمل فاحرقت فاوحى الله اليه
ان قرصتك نملة واحدة احرقت امة من الامم تسبح وان كان المراد به امة صلى الله
عليه وسلم الذين بعث فيهم لم يكن فيه ما ينفي سؤال غيرهم من الامم لم قد يكون
ذكرهم اخبارا بانهم مسئولون في قبورهم وان ذلك لا يختص من قبلهم لفضل هذه
الامة وشرفها على سائر الامم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اوحي الي انكم
تفتنون في قبوركم وكذلك اخبار عن قوله الرجل ما هذا الرجل الذي بعث
فيكم هو اخبار لامته بما تمتحن به في قبورها والظاهر والله اعلم ان كل نبي مع
امته كذلك وانهم معذبون في قبورهم بعد السؤال لهم واقامة الحجة عليهم كما
يعذبون في الاخرة بعد السؤال لهم واقامة الحجة عليهم والله سبحانه وتعالى اعلم

المسئلة الثالثة عشرة وهي ان الاطفال هل يمتحنون في قبورهم اختلف الناس

في ذلك

في ذلك على قولين هما وجهان لاصحاب احمد وجحد من قال انهم يسألون انه شرع الصلاة
عليهم والدعاء وسؤال الله ان يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر كما ذكر مالك في
موطئه عن ابي هريرة انه صلى على جنازة صبي فسمع من دعائه اللهم قه عذاب
القبر واحتجوا بما رواه علي بن معبد عن عائشة انه ترحم عليها بجنازة صبي صغير فقيل لها ما يبكيك يا ام المؤمنين فقالت هذا الصبي كيت له شفعة عليه من رحمة
القبر واحتجوا بما رواه هناد بن السري حدثنا ابو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد
بن المسيب عن ابي هريرة قال ان كان ليصلي على المنفوس ما ان عمل خطيئة قط فيقول
اللهم اجره من عذاب القبر قالوا والله سبحانه يكمل لهم عقولهم ليعرفوا ذلك ويتميز
ويلهموا الجواب عما يسألون عنه قالوا وقد دلت على ذلك الاحاديث الكثيرة التي
فيها انهم يمتحنون في الاخرة وحكاه الاشعري عن اهل السنة والحديث فاذا امتحنوا
في الاخرة لم يمتنع امتحانهم في القبور قال الاخرون السؤال انما يكون لمن عقل
الرسول والمرسل فيسأل هل آمن بالرسول واطاعه او لا فيقال له ما كنت تقول
في هذا الرجل الذي بعث فيكم فاما الطفل الذي لا تمييز له بوجه ما فكيف يقال
له ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ولو رد اليه عقله في القبر فانه لا
يسأل عما لم يتمكن من معرفته والعلم به فلا فائدة في هذا السؤال وهذا بخلاف امتحانهم
في الاخرة فان الله سبحانه يرسل اليهم رسولا ويأمرهم بطاعته امره وعقوبتهم
معصيته فمن اطاعه منهم نجا ومن عصاه ادخله النار فذلك امتحان بأمرهم به يفعلونه
ذلك الوقت لانه سؤال عن امر مضى لهم في الدنيا من طاعة او عصيان كسؤال الملكين
في القبر واما حديث ابي هريرة فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل على

شبكة الألوكة www.alukah.net

ترك طاعة أو فعل معصية قطعا فإن الله لا يعذب أحدا لخلاف ذنب عمله بل عذاب
القبر مراد به الألم الذي يحصل للميت بسبب غيره وإن لم يكن عقوبة على عمل عمله ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه أي بما لم من ذلك وترجح
عند الله أنه يخاف ذنب الحي ولا تزر وازرة وزر أخرى وهذا كقول النبي صلى
الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب فالعذاب أعم من العقوبة ولا ريب أن في
القبر من الآلام والهموم والحسرات ما قد يسري أثره إلى الطفل فيألم به ويشرع
للمصلي عليه أن يسأل الله تعالى أن يقيه ذلك العذاب والله أعلم المسألة الرابعة
وهي قوله هل عذاب القبر دائم أو منقطع فجوابها أنها نوعان نوع دائم سوى ما ورد
في بعض الحديث أنه يخفف عند ما بين النفختين فإذا قاموا من قبورهم قالوا يا ويلنا من
بعثنا من مرقدنا ويدل على دوامه قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويدل
عليه ما تقدم من حديث سمرة الذي رواه البخاري في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وفيه
فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة وفي حديث ابن عباس في قصة الجريدتين لعله يخفف
عنهما ما لم ييبسا فجعل التخفيف مقيدا بمدة رطوبتهما فقط وفي حديث الربيع بن أنس
عن أبي العالية عن أبي هريرة ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما
كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء وقد تقدم في الصحيح في قصة الذي لبس البردين وجعل يمشي ويتبختر
في مشيته فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وفي حديث البراء عازب
في قصة الكافر ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة رواه
أحمد وفي بعض طرقه ثم يخرق له خرقا إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة
والنوع الثاني لمدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذبون

بحسب جرمهم ثم يخفف عنهم من العذاب بما يبقون في النار مدة ثم يزول عنهم العذاب
بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب أو حج أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم
وهذا كما يشفع الشافع في المعذب في الدنيا فيخلص من العذاب بشفاعته لكن هذه
شفاعة قد تكون بدون إذن المشفوع عنده والله تعالى لا يبدي لأحد بالشفاعة عنده
لديه إلا من بعد إذنه ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له فلله الشفاعة جميعا
له ملك السموات والأرض وقد ذكر ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن موسى الصائغ
حدثنا عبد الله بن نافع قال مات رجل من أهل المدينة فرآه رجل كان من أهل النار
فاغتم لذلك ثم رآه بعد سابعه أو ثامنه رآه كان من أهل الجنة فقال له ما الذي فعلت
بك من أهل النار فقال ما كان ذلك إلا أنه دفن معنا رجل من الصالحين فشفع في
أربعين من جيراني فكنت منهم قال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثني بعض
أصحابنا قال مات أخ لي فرأيته في النوم فقلت ما كان حالك حين وضعت في قبرك فقال
أتاني آت بشهاب من نار فقلت لأن دعا بي لأرمينه بهذا فسيضربني به وقال
عمرو بن جرير إذا دعا الجد لأخيه الميت أتاه بها كأمثال الجبال في قبره فقال يا صاحب
القبر الغريب هديتي من أخ عليك شفيق وقال بشار بن غالب رأيت رابعة في
منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تأتيني على أطباق من
نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت هكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا
للموتى فاستجيب لهم يجعل ذلك الدعاء على أطباق النور ويخمر بمناديل الحرير ثم رأيتني
الذي دعا له من الموتى فقيل هذه هديتك فلان إليك قال ابن أبي الدنيا وحدثني أبو
عبد الله بن يحيى قال حدثني بعض أصحابنا قال رأيت أخا لي في النوم بعد موته فقلت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ليتصل اليكم دعاء الاحياء قال اى والله ترفرف مثل النور حتى تلبسه وسيأتى ان شاء الله
تعالى تمام هذه فى جواب السؤال عن انتفاع الموتى بما يهدى اليهم الاحياء المسئلة
الخامسة عشر وهى ان مستقر الارواح ما بين الموت الى القيامة هل هى فى السماء
او فى الارض وهل هى فى الجنة والنار ام لا وهل يودع فى اجساد غير اجسادها التى
كانت فيها فتنعم وتعذب فيها او تكون مجردة وهذه مسئلة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها
وهى انما تتلقى من الاثر فقط واختلف فى ذلك فقالت طائفة ارواح المؤمنين عند
الله فى الجنة شهداء كانوا او غير شهداء الا الرمكبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وبلقاهم
ربهم بالعفو والرحمة لهم وهذا مذهب ابى هريرة وعبد الله بن عمرو وقالت طائفة
هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من رزقها ونعيمها وبرزقها وقالت طائفة الارواح
على افنية قبورها وقال مالك بلغنى ان الروح مرسلة تذهب حيث شاءت وقال
الامام احمد فى رواية ابنه عبد الله ان ارواح الكفار فى النار وان ارواح المؤمنين
فى الجنة وقال ابو عبد الله بن مندة وقالت طائفة من الصحابة والتابعين ارواح
المؤمنين عند الله عز وجل ولم يزيدوا على ذلك وروى عن جماعة من الصحابة
والتابعين ارواح المؤمنين بالجابية وارواح الكفار ببرهوت بئر بحضرموت
وقال صفوان بن عمرو سألت عامر بن عبد الله ابا اليمان هل انفس المؤمنين مجتمع فقال
ان الارض الى تقول الله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى
الصالحون قال هى الارض التى يجتمع اليها ارواح المؤمنين حتى يكون البعث وقالوا
هى الارض التى يورثها الله المؤمنين فى الدنيا قال كعب ارواح المؤمنين فى عليين
فى السماء السابعة وارواح الكفار فى سجين فى الارض السابعة تحت حد ابليس

وقالت

مطلب بيان مستقر الارواح بعد الخروج من البدن

وقالت طائفة ارواح المؤمنين بئر زمزم وارواح الكفار ببئر برهوت وقال
سلمان الفارسى ارواح المؤمنين فى برزخ من الارض تذهب حيث شاءت وارواح
الكفار فى سجين وفى لفظ عنه نسمة المؤمن تذهب فى الارض حيث شاءت وقالت
طائفة ارواح المؤمنين عن يمين آدم وارواح الكفار عن شماله وقالت طائفة
اخرى بنهر من انهار الجنة مستقرها حيث كانت قبل خلق اجسادها قال والذى
نقول فى مستقر الارواح هو ما قاله الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم
لا نتعداه فهو البرهان الواضح وهو ان الله عز وجل قال واذ اخذ ربك من
بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا
ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا فصح ان الله خلق الارواح جملة وكذلك اخبر
صلى الله عليه وسلم ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر
منها اختلف واخذ الله عهدها وشهادتها له بالربوبية وهى مخلوقة مصورة
عاقلة قبل ان يأمر للملائكة بالسجود لآدم وقبل ان يخلقها فى الاجساد والاجساد
يومئذ تراب وما ثم اقرها حيث شاء وهو البرزخ الذى ترجع اليه عند الموت
ثم لا تزال تبعث منها الجملة بعد الجملة مع نفخها فى الاجساد المتولدة من المنى الى
ان قال فصح ان الارواح اجسام كلها لاعراضها من التعارف والتناكر وانها عائدة
مميزة فيبلوهم الله فى الدنيا كما يشاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ الذى رآها
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عند سماء الدنيا ارواح اهل
السعادة عن يمين آدم وارواح اهل الشقاوة عن يساره وذلك عند منقطع

العناصر وجعل أرواح الأنبياء والشهداء الى الجنة قال وقد ذكر محمد بن نصر المروزي
عن اسحق بن راهويه انه ذكر هذا الذي قلنا بعينه قال وعلى هذا أجمع أهل
العلم قال ابن حزم وهو قول جميع أهل الاسلام قال وهذا قول الله عز وجل
فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون
السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين وقوله
وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم الى آخرها ولا نزال الارواح هنالك حتى ينفخ عدد الارواح كلها
ينفخ في الاجساد ثم ترجع الى البرزخ فتقوم الساعة ويعيد عز وجل الارواح
الى الاجساد ثانيا وهي الحياة الثانية وكاسب الخلق فريق في الجنة وفريق في
السعير مخلدين أبدا انتهى وقال ابو عمرو بن عبد البر ارواح الشهداء في الجنة
وارواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم وقد ذكرنا كلامه وما احتج به وبين ما
فيه وقال ابن المبارك عن ابن جريج فيما قرأه عليه عن مجاهد ليس هي في الجنة ولكن
يأكلون من ثمارها ويجدون ريحها وذكر معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد انه سأل
ابن شهاب عن ارواح المؤمنين فقال بلغني ان ارواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش
تغدو او تروح الى رياض الجنة تأتي ربها كل يوم تسلم عليه وقال ابو عمرو بن عبد
البر في حديث ابن عمر ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي فان
كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا
مقعدك حتى يبعثك الله الى يوم القيامة وقد استدل به آخرون من ذهب الى أن الارواح
على أفنية القبور وهو أصح ما ذهب اليه في ذلك والله اعلم لان الاحاديث

بذلك أحسن بحثا وأثبت نقلا من غيرها قال والمعنى عندها أنها قد تكون على أفنية
قبورها لا على أنها تلزمه ولا تفارق أفنية القبور بل هي كما قال مالك رحمه الله
انه بلغنا ان الارواح تسرح حيث شاءت قال وعن مجاهد انه قال الارواح على أفنية
القبور سبعة ايام من يوم دفن الميت لا يفارق ذلك والله اعلم وقالت فرقة
مستقرها العدم المحض وهذا قول من يقول ان النفس عرض من أعراض البدن
كحياته وادراكه تعدم بموت البدن كما تعدم سائر الاعراض المشروطة بحياته وهذا
قول مخالف لنصوص القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين كما سنذكر ذلك
ان شاء الله تعالى والمقصود ان عند هذه الفرقة المبطلة مستقر الارواح بعد الموت
العدم المحض وقالت فرقة مستقرها بعد الموت ابدان أخر تناسب احوالها
وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها فصير كل روح الى بدن حيوان يشاكل
بتلك الارواح فصير النفس السبعية الى أبدان السباع والكلبية الى أبدان
الكلاب والبهيمية الى أبدان البهائم والدنية السفلية الى أبدان الحشرات وهذا
قول الناشئ منكري المعاد وهو قول خارج عن اقوال أهل الاسلام كلهم
فهذا ما لخص لي من جميع أقوال الناس في مصير أرواحهم بعد الموت ولا نظن له
محموعا في كتاب واحد غير هذا البتة ونحن نذكر ما أخذ هذه الاقوال وما لكل قول
وما عليه وما هو الصواب من ذلك الذي دل عليه الكتاب والسنة على طريقنا
التي من الله بها وهو المرجو للاعانة والتوفيق فأما من قال هي في الجنة فاحتج
بقوله تعالى فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم قال وهذا ذكر
سبحانه عقيب ذكر خروجها من البدن وقسم الارواح الى ثلاثة أقسام مقربين واصحاب

انها في جنة نعيم واصحاب يمين وحكمها بالسلامة وهو يتضمن سلامتها من العذاب
ومكذبة ضالة واخبر ان لها نزلا من حميم وتصلية جحيم قالوا وهذا بعض مصارفها
بالبدن تطعما وقد ذكر سبحانه لحالها يوم القيمة في اول السورة وذكر حالها بعد الموت
وبعد البعث واحتجوا بقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية
مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين
ان هذا يقال لها عند الموت وعند البعث وهذه من البشرى التي قال الله تعالى ان
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وهذا النزل يكون عند الموت ويكون في
القبر ويكون عند البعث واول بشارة الآخرة عند الموت وقد تقدم في حديث البراء
بن عازب ان الملك تقول لها عند قبضها البشرى بروح وريحان وهذا من ريحان الجنة
واحتجوا بما رواه مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك
اخبره ابوه كعب بن مالك كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما نسمة
المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الى جسده يوم يبعثه قال ابو عمرو وفي
رواية مالك هذه بان سماع الزهري لهذا الحديث من عبد الرحمن بن كعب بن مالك
وكذلك رواه يونس عن الزهري قال سمعت عبد الرحمن بن كعب بن مالك يحدث عن
ابيه وكذلك رواه الاوزاعي عن الزهري حدثني عبد الرحمن بن كعب وقد اعل محمد بن
يحيى الذهلي هذا الحديث فان شعيب بن ابي حمزة ومحمد بن اخي الزهري وصالح بن كيسان
رووه عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن جده كعب فيكون
منقطعا وقال صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن عبد الرحمن انه بلغه ان كعب بن مالك

كان

كان يحدث قال الذهلي وهذا المحفوظ عندنا وهو الذي يشبه حديث صالح وشعيب
وابن اخي الزهري وخالفه في هذا غيره من الحفاظ فحكمه المالك والاوزاعي قال ابو عمرو
فاتبع مالك ويونس بن يزيد والاوزاعي والحارث بن فضيل على رواية هذا الحديث عن
الزهري عن عبد الرحمن بن كعب عن مالك عن ابيه وصححه الترمذي وغيره قال ابو عمرو
الا اجد عندي مما قاله محمد بن يحيى من ذلك ولا دليل عليه واتباع مالك ويونس
والاوزاعي ومحمد بن اسحق اولى بالصواب والنفس الى قولهم اسكن وهم
من الحفظ والاتقان بحيث لا يقاس بهم من خالفهم في هذا الحديث انتهى وقد قال
محمد الذهلي سمعت علي بن المديني يقول ولد لكعب خمسة عبد الله وعبيد الله ومعبد
وعبد الرحمن ومحمد قال الذهلي فسمع الزهري من عبيد الله بن كعب وكان قاربه
بحيرى وسمع من عبد الرحمن بن كعب وروى عن بشر بن عبد الرحمن بن كعب ولا اراه
سمع منه انتهى فالحديث ان كان لعبد الرحمن عن ابيه كعب كما قال مالك ومن تبعه
فنهايته ان يكون مرسلا من هذه الطريقة وموصولا من الاخرى والذين وصلوا ليسوا
بدون الذين ارسلوه قدرا ولا عددا فالحديث من صحاح الاحاديث وانما لم يخرجه
صاحبا الصحيح لهذه العلة والله اعلم قال ابو عمرو واما قوله نسمة المؤمن فالنسمة
هاهنا الروح يدلك على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه حتى يرجعه
الله الى جسده يوم يبعثه الله وقيل النسمة الروح والنفس والبدن واصل هذه
اللفظة اعني النسمة الانسان بعينه وانما قيل للروح نسمة والله اعلم ان حياة
الانسان بروحه واذا فارقه عدما وصار كالمعدوم والدليل على ان النسمة الانسان
قوله صلى الله عليه وسلم من اعتق نسمة مؤمنة وقوله عز وجل والذي فلق الحبة وبرا

النسمة قال الشاعر باعظم منك يعني في الحساب اذا النسمات بحصن الصارا
يعني اذا بعث الناس من قبورهم يوم القيمة وقال الخليل بن احمد النسمة الانسان
وقال والنسمة نفس الروح والنسيم هبوب الريح وقوله تعلق في شجر الجنة يروى
بفتح اللام وهو الاكثر ويروى بضم اللام والمعنى واحد وهو الاكل والرعي
يقول تاكل من ثمار الجنة وترعى وتسرح من اشجارها والعلق والعلوق
الاكل والرعي يقول العرب ما دار ان الفور علوقا اي طعاما قال ربيع بن زياد يصف
الخيل وبحيات ما يذقن علوقة تمصص بالمهرات والاربد وقال الاعشى
وفلاة كانها ظهر ترس ليس فيها غير الرجيع علاق قلت ومنه قول عايشة
والنساء اذ ذاك خماص لم يتشهمن اللحم انما ياكلن بالعلقة من الطعام واصل
اللفظة من التعلق وهو ما يعلق القلب والنفس من الغذا قال واختلف العلما
في معنى هذا الحديث فقال قايلون منهم ارواح المومنين عند الله في الجنة شهدا
كانوا امر غير شهدا اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين ولما مر بهم بالعفو
عنهم والرحمة لهم قال واحتجوا بان هذا الحديث لم يخص فيه شهيدا من غير شهيد
واحتجوا ايضا بما روى عن ابي هريرة قال ان ارواح الابرار في عليين وارواح الفجار
في سجين وعن عبد الله بن عمر ومثل ذلك قال ابو عمر وهذا قول معارض اهل
السنة ما لا مدفع في صحته بعقل وهو قوله اذا مات احدكم عرض عليه مقعده
بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار
فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيمة وقال الاخرون
انما معنى هذا الحديث في الشهدا دون غيرهم لان القرآن والسنة انما يدلان

على ذلك اما القرآن فقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم
يلحقوا بهم من خلفهم الآية واما الاثار فذكر عن ابي سعيد الخدري من طريق يحيى بن
يخلد مرفوعا الشهدا يغدون ويروحون ثم تكون مأواهم الى قناديل معلقة بالعرش
فيقول لهم الرب تبارك وتعالى هل تعلمون كرامة افضل من كرامة اكرمتموها
فيقولون لا غير انا وددنا انك اعدت ارواحنا في اجسادنا حتى نقاتل فيك
مرة اخرى فنقتل في سبيلك رواه عن هناد واسمعيل بن المختار عن عطية
عنه ثم ساق حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
اصيب اخوانكم يعني يوم احد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد
انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش
فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا انا
احياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد قال
الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الآية والحديث في مسند احمد وسنن ابي
داود ثم ذكر حديث الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سالنا عبد الله
بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا فقال
لنا انا قد سالنا عن ذلك فقال ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة
في ايها شاءت ثم تاوي الى تلك القناديل فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال
هل تشتهون شيئا قالوا اي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل

ذلك ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن تسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا
في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا قال الحديث
في صحيح مسلم قلت وفي صحيح البخاري عن أنس عن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بنت
سراقة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة وكان قتل
يوم بدر أصابه سهم غرب فإن كان في الجنة صبرت وإن كان في غير ذلك اجتهدت
عليه في البكاء قال يا أم حارثة إنها جنان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى ثم ساق
من طريق يحيى بن خلد ثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا بن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد سمع ابن
عباس يقول أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق في ثمر الجنة ثم ذكر عن معمر عن
قتادة قال بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأكل من ثمار الجنة ومن طريق
أبي عاصم النبيل عن ثور بن زيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمرو أرواح الشهداء
كالزرازير تتعارفون وترزقون من ثمر الجنة قال أبو عمرو وهذه الآثار كلها تدل
على أن الشهداء دون غيرهم وفي بعضها في صور طير وفي بعضها في أجواف طير
وفي بعضها كطير خضر قال والذي يشبه عندي والله أعلم أن يكون القول قول
من قال كطير وصور طير لمطابقة حديث المذكور يريد حديث كعب من مالك وقوله
في نسمة المؤمن طائر ولم يقل في جوف طائر قال وروى عيسى بن يونس حديث ابن
مسعود عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله كطير خضر قلت
والذي في صحيح مسلم في أجواف طير خضر قال أبو عمرو فعلى هذا التأويل كأنه صلى
الله عليه وسلم قال إنما نسمة المؤمن من الشهداء طائر معلق في شجر الجنة قلت
لا تنافي بين قوله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر معلق في شجر الجنة وبين قوله

أن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل
الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه
والشهيد كما أن قوله نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة يتناول الشهيد وغيره
ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي يرد روحه أنهار الجنة ويأكل
من ثمارها وأما المقعد الخاص به والبيت الذي أعد له فإنما يدخله يوم القيمة
ويدل عليه أن منازلهم وقصورهم التي أعد الله لهم ليست هي تلك
القناديل التي تأوي إليها أرواحهم في البرزخ قطعا وهم يرون منازلهم
ومقاعدهم من الجنة ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش
فإن الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيمة ودخول الأرواح الجنة
في البرزخ أمر دون ذلك ونظير هذا أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار
غدوا وعشيا فإذا كان يوم القيمة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التي كانوا
يعرضون عليها في البرزخ فتنعم الأرواح بالجنة في البرزخ شيء وتنعم مع
الأبدان بها يوم القيمة شيء آخر فهذا الروح من الجنة في البرزخ دون غيرها
مع بدنها يوم البعث وهذا قال تعلق في شجر الجنة أي تأكل العلائق وأما تمام
الأكل والشرب واللبس والسمع فإنما يكون إذا رجعت إلى أجسادها يوم القيمة
فظهر أنه لا يعارض هذا القول من السنة شيء وأما يعاضده السنة وتوافقه
وأما قول من قال إن حديث كعب في الشهداء دون غيرهم مخصص ليس في اللفظ ما
يدل عليه وهو حمل اللفظ العام على أقل مسمياته فإن الشهداء بالنسبة إلى عموم
المؤمنين قليل جدا والنبي صلى الله عليه وسلم علق هذا الجزاء بوصف الإيمان فهو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المقتضى لذلك لم يتعلق بوصف الشهادة ألا ترى ان الحكم الذى يختص بالشهداء علق
بوصف الشهادة كقوله فى حديث المقدام من مجدى كرب للشهيد عند الله ست
خصال يغفر له فى أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلة الإيمان
ويزوج من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه
تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنين وسبعين من الحور
العين وتشفع فى سبعين انسانا من أقاربه فلما كان هذا يختص بالشهيد قال ان للشهيد
ولم يقل ان للمؤمن وكذلك قوله فى حديث قيس الجذامى ويعطى للشهيد ست خصال
وكذلك سائر الاحاديث النصوص التى علق فيها الجزاء بالشهادة واما ما علق فيه
الجزاء بالايمان فانه يتناول كل مؤمن شهيد كان او غير شهيد واما النصوص والآثار
التى ذكرت فى رزق الشهيد وكون ارواحهم فى الجنة فكلها حق وهى لا تدل على
انتفاء ارواح المؤمنين الجنة ولا سيما الصديقين الذين هم افضل من الشهداء بلا نزاع
بين الناس فيقال لهؤلاء ما تقولون فى ارواح الصديقين هل هى فى الجنة ام لا فان
قالوا انها فى الجنة ولا يسوغ لهم غير هذا القول قيل لهم ان هذه النصوص لا تدل
على اختصاص ارواح الشهداء بذلك فان قالوا ليست فى الجنة لزمهم من ذلك ان
تكون ارواح سادات الصحابة كابى بكر الصديق وابى بن كعب وعبد الله بن مسعود
وابى الدرداء وحذيفة بن اليمان واشباههم رضى الله عنهم ليست فى الجنة
وارواح شهداء زماننا فى الجنة وهذا معلوم البطلان ضرورة فان قيل فاذا كان
هذا الحكم لا يختص الشهداء فما الموجب لتخصيصهم بالذكر فى هذه النصوص قلت
السبب فى فضل الشهادة وعلو درجتها وان هذا مضمون لاهلها ولا بد وان

لهم منه اوفر نصيب فنصيبهم من هذا النعيم فى البرزخ اكمل نصيب من غيرهم من
الاموات على فرشهم وان كان الميت على فراشه اعلا درجة من كثير منهم فانه يغبر
يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه ويدل على هذا ان الله سبحانه جعل ارواح الشهداء
فى اجواف طير خضر فانهم لما بذلوا ابدانهم لله حتى اتلفها اعداؤه فيه اعاضهم
منها فى البرزخ ابدانا خيرا منها تكون فيها الى يوم القيمة ويكون تنعمها بواسطة
تلك الابدان اكمل من تنعم الارواح المجردة عنها ولهذا كانت نسمة المؤمن فى
صورة طير او كطير ونسمة الشهيد فى جوف طير وتأمل لفظ الحديث فانه قال
نسمة المؤمن طير فهذا يعم الشهيد وغيره ثم خص الشهيد بأن قال هى فى جوف
طير ومعلوم انها اذا كانت فى جوف طير صدق عليها انها طير فصلوات الله
وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضا ويدل على انه حق من عند الله وهذا
الجمع احسن من جمع ابى عمرو وترجيحه رواية من روى ارواحهم كطير خضر
الروايتان حق وصواب فهى كطير خضر وفى اجواف طير خضر فصل واما
قوله مجاهد ليس هى فى الجنة ولكن يأكلون من ثمارها ويجدون ريحها فقد يحتج
لهذا القول بما رواه احمد فى مسنده من حديث ابن اسحاق عن عاصم بن عمر عن
محمود بن لبيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على
بارق نهر من انهار الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة
وعشية وهذا لا ينافى كونهم فى الجنة فان ذلك النهر من الجنة ويرزقهم يخرج
عليهم من الجنة فهم فى الجنة وان لم يصيروا الى مقاعدهم منها فمجاهد نفى الدخول
الكامل من كل وجه والتعبير يقصر عن الاحاطة بتمييز هذا من هذا واكمل العبارة

وأدلها على المراد عبارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عبارة الصحابة وكلما علق
زادت الشفاء والهدى والنور وكلما نزلت زادت الحيرة والدعاوى والقول بلا علم
وقال أبو عبد الله بن منده وروى موسى بن عبيدة عن عبد الله بن زيد عن أم كبيشة
بنت المغرور قالت دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فسألناه عن هذه الأرواح فوصفها
صفة أبكى أهل البيت فقال ان أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر ترعى في الجنة
وتأكل من ثمارها وتشرب من مائها وتأوي الى قناديل من ذهب تحت العرش يقول ربنا
ألحق بنا اخواننا وآتنا ما وعدتنا وان أرواح الكفار في حواصل طير سود تأكل من
النار وتشرب من النار وتأوي الى حجر في النار يقولون ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا
تؤتنا ما وعدتنا وقال الطبراني ثنا ابو زرعة الدمشقي ثنا عبد الله بن صالح
حدثني معاوية بن صالح عن ضميرة بن حبيب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن أرواح المؤمنين فقال في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت قالوا يا رسول
الله أرواح الكفار قال مجموعة في سجين ورواه الشيخ عن هشام بن يونس عن
عبد الله بن صالح ورواه أبو المغيرة عن أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب فذكر
أبو عبد الله بن مندة من حديث غنجار عن الثوري عن يزيد بن يزيد عن خالد بن معدان
عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارواح المؤمنين في
طير كالزرازير تأكل من ثمر الجنة ورواه غيره موقوفا وذكر ابن زنبر الرقاشي عن
أنس وأبو عبد الله الشامي عن تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عرج
بملك الموت بروح المؤمن الى السماء استقبله جبريل في سبعين ألفا من الملائكة كلهم
يأتيه ببشارة من السماء سوى بشارة صاحبه فاذا انتهى به الى العرش خر ساجدا

فيقول

فيقول الله عز وجل لملك الموت انطلق بروح عبدي فضعه في بدر تحضود وظل
ممدود وماء مسكوب رواه بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن يزيد وابي عبد الله

فصل واما من قال ان الارواح على افنية قبورها فان اراد ان هذا امر لازم لها
لا تفارق افنية القبور ابدا فهذا خطأ يرده نصوص الكتاب والسنة من
وجوه كثيرة قد ذكرنا بعضها ونذكر بعضها ما لم نذكره ان شاء الله وان اراد انها
تكون على افنية القبور وقتا أو لها اشراف على قبورها وهي في مقرها فهذا حق
ولكن لا يقال مستقرها افنية القبور وقد ذهب الى هذا المذهب جماعة منهم
أبو عمر بن عبد البر قال في كتابه في شرح حديث ابن عمر اذا مات عرض
عليه مقعده بالغداة والعشي وقد استدل به من ذهب الى ان الارواح على
افنية القبور وهو اصح ما ذهب اليه في ذلك من طريق الاثر الا ترى ان
الاحاديث الدالة على ذلك ثابتة متواترة وكذلك احاديث السلام على القبور
قلت يريد بالاحاديث المتواترة مثل حديث ابن عمر هذا ومثل حديث البراء عازب
الذي تقدم وفيه هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيمة ومثل حديث انس
ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم الحديث
وفيه انه يرى مقعده من الجنة والنار وانه يفسح للمؤمن في قبره سبعين ذراعا
ويضيق على الكافر ومثل حديث جابر ان هذه الامة تبتلى في قبورها فاذا
دخل المؤمن قبره وتولى عنه اصحابه اتاه ملك الحديث انه يرى مقعده من
الجنة فقوله دعوني ابشر اهلي فيقال له اسكن هذا مقعدك ابدا ومثل سائر
احاديث عذاب القبر ونعيمه التي تقدمت ومثل احاديث السلام على اهل القبور

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وخطابهم وتعرفهم بزيارة الاحياء لهم وقد تقدم ذكر ذلك كله وهذا القول
ترده السنة الصحيحة والآثار التي لا مدفع لها وقد تقدم ذكرها وكل ما ذكره من
الادلة فهو يتناول الارواح التي هي في الجنة بالنص وفي الرفيق الاعلى وقد
بينا ان عرض مقعد الميت عليه من الجنة او النار لا يدل على ان الروح في القبر ولا
على فنائه دائما من جميع الوجوه بل لها اشراف واتصال بالقبر وفناؤه وذلك
القدر منها يعرض عليه مقعده فان للروح شانا آخر تكون في الرفيق الاعلى في اعلا
عليين ولها اتصال بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه
فيرد عليه السلام وهي في الملا الاعلى وانما يغلط اكثر الناس في هذا الموضع
حيث يعتقد ان الروح من جنس ما يعهد من الاجسام الذي اذا شغلت مكانا لم
يمكن ان تكون في غيره وهذا غلط محض بل الروح تكون فوق السموات في اعلا عليين
وترد الى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك فروح رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلى وانما يردها الله سبحانه وتعالى الى
القبر فترد السلام على من يسلم عليه ويسمع سلامه وقد رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السما السادسة او السابعة فانما
ان تكون سرعة الحركة والانتقال كلمح البصر واما ان تكون المتصل بها بالقبر وعذابه
بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السما وقد مر ان روح المؤمن تصعد حتى
تخترق السبع الطباق وتسجد لله بين يدي العرش ثم ترد الى جسده في القبر
زمان وكذلك روح الميت تصعد بها الملائكة حتى تجاوز السموات السبع وتقفها
بين يدي الله عز وجل فتسجد له ويقضي فيها قضاءه ويريها الملك ما اعد الله لها

في الجنة ثم تهبط فتشهد غسله وحمله ودفنه وقد تقدم في حديث البراء بن عازب
ان النفس يصعد بها حتى توقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي
في عليين ثم اعيدوه الى الارض فتعاد الى القبر وذلك في مقدار تجهيزه وتكفينه فقد
صرح به في حديث ابن عباس حيث قال فهبطوا به على قدر فراغهم من غسله واكفانه
فيدخلون ذلك الروح بين جسده واكفانه وقد ذكر ابو عبد الله بن منده من
حديث عيسى بن عبد الرحمن عن ابن شهاب عن جابر بن سمد عن اسمعيل بن طلحة بن
عبيد الله عن اسيد قال اردت مالا بالغابة فادركني الليل فاويت الى قبر عبد الله
بن عمرو بن حزم فسمعت قراءة ما سمعت احسن منها فجئت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عبد الله لو تعلم ان الله قبض ارواحهم
فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة فاذا كان الليل ردت
اليهم ارواحهم فلا تزال كذلك حتى اذا طلع الفجر ردت ارواحهم الى مكانهم
الذي كانت فيه ففي هذا الحديث بيان سرعة انتقال ارواحهم من العرش الى الثرى
ثم استقالها من الثرى الى مكانها ولهذا قال مالك وغيره من الائمة ان الروح مرسلة
تذهب حيث شاءت وما يراه الناس من ارواح الموتى ومجيئهم اليهم من المكان البعيد
امر يعلمه عامة الناس ولا يشكون فيه والله اعلم واما السلام على اهل القبور وخطابهم
فلا يدل على ان ارواحهم لبثت في الجنة وانها على افنية القبور هذا سيد
ولد آدم الذي روحه في اعلا عليين مع الرفيق الاعلى يسلم عليه عند قبره ويرد
سلام المسلم عليه وقد وافق ابو عمر على ان ارواح الشهداء في الجنة ويسلم عليهم
عند قبورهم كما يسلم على غيرهم كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم ان يسلم عليهم

وكان الصحابة يسلمون على شهداء أحد وقد ثبت أن أرواحهم في الجنة تسرح حيث
شاءت كما تقدم ولا يضيق عطفك عن كون الروح في الملأ الأعلى تسرح في الجنة حيث شاءت
وتسمع سلام المسلم عليها عند قبرها وقد نواحيث ترد عليه السلام وللروح شأن
آخر غير شأن البدن وهذا جبريل عليه صلوات الله وسلامه عليهم رآه النبي صلى
الله عليه وسلم وله ستمائة جناح منها جناحان قد سدا ما بين المشرق والمغرب
وكان قد نوا من النبي صلى الله عليه وسلم حتى وضع ركبته على ركبته ويده على فخذه
وما أظنك يتسع بطانك انه كان حينئذ في الملأ الأعلى فوق السموات حيث هو
لمستقره وقد دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فان التصديق بهذا له قلوب خلقت
له وأهلت لمعرفته ومن لم يتسع بطانه لهذا فهو أضيق ان يتسع للإيمان بالتنزيل
الا لا هي الى سماء الدنيا كل ليلة وهي فوق سماواته على عرشه لا يكون شيء فوقه البتة
بل هو العالي على كل شيء وعلوه من لوازم ذاته وكذلك دنوه عشية عرفة من أهل
الموقف وكذلك مجيئه يوم القيمة لمحاسبة خلقه واشراق الأرض نور وكذلك مجيئه
الى الأرض حتى دحاها وسواها مدها وبسطها وهيأها لما يراد منها وكذلك مجيئه
الها يوم القيمة حين يقبض من عليها ولا يبقى بها أحدا كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم فاصبح ربك يطوف في الأرض وقد خلت عليه البلاد وهذا وهو فوق سماواته
على عرشه فصل ومما ينبغي أن يعلم ان ما ذكر من شأن الروح تختلف فيه حسب
الأرواح في القوة والضعف والكبر والصغر فالروح العظيمة من ذلك ما ليس لمن
دونها وأنت ترى احكام الأرواح في الدنيا كيف تتفاوت اعظم تفاوت حسب تفاوت
الأرواح في كيفياتها وقواها وابطائها واسراعها والمعارف لها فالروح المطلقة

من اسر البدن وعوائقه وعلائقه من الضعف والقوة والفساد والهمة وسرعة الصعود
الى الله تعالى والتعلق بالله ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه
فإذا كان هذا وهي محبوسة في بدنها فكيف إذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواها
وكانت في أصل شأنها نيرة وحاءلية زكية كبيرة ذات همة عالية فهذه لها بعد مفارقة
البدن شأن آخر وفعل آخر وقد تواترت الرؤيا من بني آدم على فعل الأرواح بعد موتها
ما لا يقدر على مثله حال ايضا لها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين
والعدد القليل ونحو ذلك وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم وعد أبو بكر وعمر
في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم فاذا بجوشهم مخلولة مكسورة
مع كثرة عدد هم وعدد هم وضعف المؤمنين وقلتهم ومن العجب ان أرواح المؤمنين
المتحابين المتعارفين تتلاقى وبينهما أعظم مسافة وأبعد فتتسالم وتتعارف فتعرف
بعضها بعضا كأنه جليسه وعشيره فاذا رأته لم يزد ذلك ما كان عرفه به روحه
قبل رؤيته قال عبد الله بن عمر وان أرواح المؤمنين تتلاقى على مسيرة يوم
وما رأى أحدهما صاحبه قط ورفعه بعضهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال عكرمة ومجاهد اذا نام الانسان فانه سبب تجري فيه الروح داخلة
في الجسد فتبلغ حيث شاء الله فما دام ذاهبا فالانسان نائم فاذا رجع الى البدن
انتبه الانسان وكان بمنزلة شعاع هو ساقط بالارض واصله متصل بالشمس
وقد ذكر أبو عبد الله بن مندة عن بعض أهل العلم قال ان الروح تمتد من منخر
الانسان وبركة داخلة في بدنه فلو خرج الروح بالكلية لمات كما ان السراج
لو فتر وتيده ومن الفتيلة لطفيت الا ترى ان ركب النار في الفتيلة وضوءها

شبكة الألوكة www.alukah.net

وشعاعها يملأ البيت فكذلك الروح تمتد من مخرج الإنسان في منامه حتى تأتي السماء وتجول
في البدن البدان وتلبث مع أرواح الموتى فإذا أراه الملك الموكل بأرواح العباد
ما أحب أن يريد وكان المرء في اليقظة عاقلا زكيا صدوقا لا يلبث في يقظته الى
شيء من الباطل رجع اليه روحه فأوى الى قلبه الصدق وما أراه الله عز وجل على حسب
خلقه وإن كان خفيفا طائرا فاحب الباطل والنظر اليه فإذا نام رأى الله أمرا من
خير أو شر رجعت اليه روحه ما رأى شاما من مخاريف الشيطان والباطل
ووقفت روحه عليه كما يقف في يقظته فكذلك لا تؤدي الى قلبه فلا يعقل ما رأى
لأنه خلط الحق بالباطل فلا يمكن معبرا أن يعبر له وقد خلط الحق بالباطل وهذا من
أحسن الكلام وهو دليل على معرفة قائله وبصيرته بالأرواح وأحكامها وآيات
ترى الرجل يسمع العلم والحكمة وما هو أنفع شيء له ثم يمر بباطل وهو من غنا أو شبه
أو زور أو غيره فيصغى له ويفتح له قلبه حتى يادى اليه فتخبط عليه ذلك
الذي سمعه من العلم والحكمة ويلبس عليه الحق بالباطل فهذا شأن الأرواح في النوم
وأما بعد المفارقة فإنها تعذب بتلك الاعتقادات والشبه الباطلة التي كانت
حالت اتصالها بالبدن ويضاف الى ذلك عذاب آخر بمشيئة الله لها ولبدنها من
الأعمال التي اشتركت معه فيها وهذه هي المعيشة الضنك في البرزخ والزاد
الذي تزود به والروح الزكية العلوية المجهد التي لا تحب الباطل ولا تألفه فعند
ذلك كله تنعم تلك الاعتقادات الصحيحة والعلوم والمعارف التي تلقتها من
مشكاة النبوة وتلك الارادات والهمم الزكية ويبني الله لها من أعمالها نعيما
تتنعم به في البرزخ فيصير لها روضة من رياض الجنة وكذلك حفرة من حفر النار

فصل وأما من قال ان أرواح المؤمنين عند الله عز وجل وليزد على ذلك فائدة
تأدب مع لفظ القرآن حيث يقول الله عز وجل بل أحياء عند ربهم يرزقون وقد احتج
أرباب هذا القول بحجج منها ما رواه محمد بن إسحق الصغاني حدثنا يحيى بن أبي بكر حدثنا محمد
بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت اذا خرجت نفسه يعرج بها الى السماء فلا
يفتح لها أبواب السماء فترسل من السماء فتصير الى القبر وهذا إسناد لا يسأل عن
صحته وهو في مسند أحمد وغيره وقال ابو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن
عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن أبي موسى الاشعري قال تخرج نفس المؤمن طيب
من ترح المؤمن منطلق بها الملائكة الذي يتوفونه فتلقاها هم ملائكة دون السماء
فيقولون هذا فلان بن فلان كان يعمل كذا وكيت يحاسن محاسن عمله فتشرق في السما
وتطبق هان كبرهان الشمس حتى ينتهي الى العرش واما الكافر فاذا قبض انطلق
بروحه فيقولون ما هذا فيقولون فلان بن فلان كان يعمل كيت وكيت بمساوئ عمله فيقولون
لا مرحبا الا مرحبا رد وه فيرد الى أسفل الارضين الى السري وقال مكي زار هير
عن داود بن يزيد الاودي قال اراه عن عامر الشعبي عن حذيفة بن اليمان انه قال
الارواح موقوفة عند الرحمن منظر موعودها حتى ينفخ فيها وذكر سفيان بن
عيينة عن منصور بن صفية عن امه انه دخل ابن عمر المسجد بعد ان قتل ابن الزبير
وهو مصلوب فاتى امه يخبرها فقالت لها عليك بتقوى الله والصبر فان هذه الجثث
ليست بشيء وانما الأرواح عند الله تعالى وما يمنعني من الصبر وقد اهدى رأس يحيى
بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل وذكر جرير عن الاعمش عن ثمير بن عطية عن هلال

شبكة الألوكة www.alukah.net

بن يسار قال كنا جلوسا عند ابى كعب والربيع بن خثيم وخالد بن عرعرة فى اناس قبلنا
ابن عباس فقال هذا اعلم بهذا منكم فقال فاوسع له فجلس فقال يا كعب كل ما فى القرآن قد عرفت
غير اربعة اشياء فاخبرنى عنهن ما يحمر وما يليون وما بسدرة المنتهى وما قول الله
لادريس ورفعناه مكانا عليا فقال اما يليون فالسماء السابعة فيها ارواح المؤمنين
واما يحمر فالارض السابعة السفلى وارواح الكفار تحت حد ابليس واما قول الله
لادريس ورفعناه مكانا عليا فان الله اوحى اليه انى ارفع لك كل يوم مثل اعمال
بنى آدم وكلم صديقا له من الملائكة ان كلم له ملك الموت موخره حتى يزداد عملا
فحمله بين جناحيه فعرج به حتى اذا كان فى السماء الرابعة لقيه ملك الموت فكلمه
فى حاجته فقال وانى هو فقال هو بين جناحى فقال لجبرئيل انى ابرت ان اقبض
روحه فى السماء الرابعة واما بسدرة المنتهى فانها بسدرة على يمين حملة العرش
ينتهى اليها علم الخلائق ثم ليس لاحد وراءها علم فلذلك سميت بسدرة المنتهى قال
ابن مندة ورواه وهب بن جرير عن ابيه ورواه يعقوب العمى عن شمر ورواه خالد
بن عبد الله عن العوام بن حوشب عن الفاسم بن عوف عن الربيع بن خثيم قال كنا
جلوسا عند كعب فذكره وذكر يعلى بن عبيد عن الاجلح عن الضحاك قال اذا قبض
روح العبد المؤمن عرج به الى السماء الدنيا فيستطلق معه المقربون الى السماء
الثانية ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة حتى ينتهى الى سدرة المنتهى
قلت للضحاك لم سميت سدرة المنتهى قال لانه ينتهى اليها كل شئ وصعت الله اليه
بصك مختوم ياتيه من العذاب وذلك قوله كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما
ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون وهذا القول لا ينافى قول

من قال هى فى الجنة فان الجنة عند سدرة المنتهى والجنة عند الله وكان فاته
رأى ان هذه العبارة اسلم واوفق وقد اخبر الله سبحانه ان ارواح الشهداء عنده
واخبر النبى صلى الله عليه وسلم انها فى الجنة تسرح حيث شاءت فصل واما
قول من قال ان ارواح المؤمنين بالجابية وارواح الكفار بحضرموت برهوت
فقال ابو محمد بن حزم هذا من قول الرافضة وليس كما قال بل قال حماد عن
الصحابة والتابعين ان ارواح المؤمنين بالجابية ثم قال نا محمد بن محمد بن يونس
نا احمد بن عصام نا ابو داود وسليمان بن داود قال نا هما نا قتادة حدثنى رجل
عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو انه قال ان ارواح المؤمنين تجتمع بالجابية وان
ارواح الكفار تجتمع فى سبخة حضرموت يقال لها برهوت ثم ساق من حديث حماد
بن سلمة عن عبد الجليل بن عطية عن شهر بن حوشب ان كعبا رأى عبد الله بن عمرو
وقد تكاثف عليه الناس يسألونه فقال له رجل يسأله اين ارواح المؤمنين وارواح
الكفار فسأله فقال ارواح المؤمنين بالجابية وارواح الكفار ببرهوت قال
ابن مندة ورواه ابو داود وغيره عن عبد الجليل ثم ساق من حديث سفيان عن
فرات القزاز عن ابى الطفيل عن على قال خير بئر فى الارض زمزم وشر بئر فى الارض
برهوت فى حضرموت وخير واد فى الارض وادى مكة والوادى الذى اهبط الله
فيه آدم بالهند فمنه طيبكم وشر واد فى الارض الاحقاف وهو فى حضرموت
قال ابن مندة وروى حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن
عباس عن على قال ابغض بقعة فى الارض واد بحضرموت يقال له برهوت فيه
ارواح الكفار وفيه بئر ماؤها بالنهار اسود كانه قير يأوى اليه الهوام ثم

سناق من طريق اسمعيل بن اسحاق القاضي ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا أبان
بن ثعلب قال قال رجل بت فيه يعني وادي برهوت فكأنما حشرت فيه أصوات
الناس وهم يقولون يا دومه يا دومه قال أبان فحدثني رجل من أهل الكتاب أن
دومه هو الملك الذي على أرواح الكفار قال سفيان وسألنا الحضرميين فقالوا
لا يستطيع أحد أن يبيت فيه بالليل فهذا جملة ما علمته في هذا القول فإن أراد
عبد الله بن عمرو الجابية الممثل والشبيه انها تجتمع في مكان فسيح لشبهة الجابية
لسعته وطيب هواه فهذا قرب وإن أراد نفس الجابية دون سائر الأرض فهذا لا
يعلم إلا بالوقف ولعله مما تلقاه من بعض أهل الكتاب فصل وأما قول من
قال يجمع في الأرض التي قال الله فيها ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن
الأرض يرثها عبادي الصالحون فهذا إن كان قاله تفسيرا للآية فليس هو تفسيرا
لها وقد اختلف الناس في الأرض المذكورة هنا فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس
هي أرض الجنة هذا قول أكثر المفسرين وعن ابن عباس قول آخر انها الدنيا التي
فتحها الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول هو الصحيح ونظيره قوله
تعالى في سورة النور وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وقال
طائفة من المفسرين المراد بذلك الأرض بيت المقدس وهي من الأرض التي أورثها الله
عباده الصالحون وليست الآية مختصة بها فصل وأما قول من قال ان أرواح
المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة

هذا

فهذا قول قد قاله جماعة من السلف والخلف ودل عليه قول النبي صلى الله
عليه وسلم عند موته اللهم الرفيق الأعلى وقد تقدم حديث أبي هريرة ان الميت إذا
خرجت روحه عرج بها الى السماء حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله عز وجل وتقدم
قول أبي موسى انها تصعد حتى ينتهي الى العرش وقول حذيفة انها توفته عند
الرحمن وقول عبد الله بن عمر ان هذه الأرواح عند الله وقد تقدم قول النبي
صلى الله عليه وسلم ان أرواح الشهداء تأوي الى قناديل تحت العرش وتقدم
حديث البراء بن عازب انها تصعد من سماء الى سماء وتشيعها من كل سماء مقربوها حتى
ينتهي بها الى السماء السابعة وفي لفظ الى السماء التي فيها الله عز وجل ولكن هذا
لا يدل على استقرارها دائما هناك بل يصعد بها هناك للعرض على ربها عز وجل
فيقضي فيها امره ويكتب كتابه من أهل عليين او من أهل سجين ثم يعود للقبر للمسألة
ثم ترجع الى مقرها الذي اودعت فيه فأرواح المؤمنين في عليين بحسب منازلهم وأرواح
الكفار في سجين بحسب منازلهم فصل وأما قول من قال ان أرواح المؤمنين بجمع
ببئر زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا سنة بحال ولا قول صاحب يعول
به وليس بصحيح فان تلك البئر لا تسع أرواح المؤمنين جميعهم وهو مخالف لما ثبت
به السنة الصحيحة من ان نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة وبالجملة فهذا من
أبطل الأقوال وأفسدها وافسد من قول من قال انها ما بالجابية فان ذلك بكان
متسع بضعي بخلاف البئر الضيقة فصل وأما قول من قال ان الأرواح في
برزخ من الأرض فذهب حيث شئت فهذا روي عن سلمان الفارسي والبرزخ
هو الحاجز بين شيئين وكان سلمان الفارسي أراد انها في الأرض من الدنيا والآجرة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مرسلة هنالك تذهب حيث شاءت وهذا قول قوي فانها قد فارقت الدنيا ولم تلج
الآخرة بل هي في برزخ بينهما فان ارواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان
والنعيم وارواح الكفار في برزخ ضيق فيه والعذاب قال تعالى ومن ورائهم
برزخ الى يوم يبعثون فالبرزخ هنا ما بين الدنيا والآخرة واصله الحاجز بين الشيئين

فصل واما قول من قال ان ارواح المؤمنين عن يمين آدم وارواح الكفار عن
شماله فلعمر الله لقد قال قولا ويؤيده الحديث الصحيح وهو حديث الاسراء الذي
صلى الله عليه وسلم رآهم كذلك ولكن لا يدل ذلك على تعاديهم في اليمين والشمال
بل يكون هو لاء عن يمينه في العلو والبعد وهو لاء عن يساره في السفل والبعد وقد
قال ابو محمد بن حزم ان ذلك البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة اسري به انه عند سماء الدنيا قال وذلك عند منقطع الغاصر
قال هذا يدل على انها عنده تحت السماء حيث ينقطع الغاصر وهي الماء والهواء
والتراب والنار وهو آخر ما تشبث على من قال قولا لا دليل عليه فاي دليل له في
هذا القول من كتاب او سنة وسيأتي اشباع الكلام على قوله اذا انتهينا اليه
ان شاء الله تعالى فان قيل فاذا كانت ارواح اهل السعادة عن يمين آدم وآدم في
سماء الدنيا وقد ثبت ان ارواح الشهداء في ظل العرش والعرش فوق السماء السابعة
فكيف تكون عن يمينه وكيف يراها النبي صلى الله عليه وسلم هناك في السماء الدنيا
فالجواب من وجهين احدهما انه لا يمتنع كونها على يمينه في جهة العلو كما كانت
ارواح الاشقياء عن يساره في جهة السفل الثاني انه غير ممتنع ان تعرض على
النبي صلى الله عليه وسلم في سماء الدنيا وان كان مستقرها فوق ذلك الثالث انه لم

يخبر انه رأى ارواح السعداء جميعها هنالك بل قال عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة
ومعلوم قطعا ان ارواح ابراهيم وموسى فوق ذلك في السماء السادسة او السابعة
وكذلك الرفيق الاعلى فوق ذلك وارواح الشهداء بعضها اعلا من بعض بحسب منازلهم

فصل واما قول ابي محمد بن حزم ان مستقرها حيث كانت قبل خلق اجسادها
فقد اتى بنبذة على مذهبه الذي اخذه وهو ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد وهذا
فيه قولان للناس وجمهورهم على ان الارواح خلقت بعد الاجساد والذين قالوا انها
خلقت قبل الاجساد ليس معهم دليل على ذلك من كتاب ولا سنة ولا اجماع انما
فهموا من نصوص لا تدل على ذلك واحاديث لا تصح كما احتج له ابو محمد بن حزم من
قوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقوله
تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا فصح ان الله
خلق الارواح جملة وهي الانس وكذلك اخبر عليه السلام ان الارواح جنود
مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف قال واخذ عهدها وشهادتها
وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل ان يأمر الملائكة بالسجود لآدم وقبل ان يخلقها الا
والاجساد يومئذ تراب قال لان الله تعالى خلق ذلك بلفظ ثم الذي توجب
التعقيب والمهلة ثم اقرها سبحانه وتعالى حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع
اليه عند الموت وسنذكر ما في هذا الاسناد لا عند جواب سؤال السائل عن الارواح
اهي مخلوقة مع الابدان ام قبلها اذ الغرض هنا الكلام على مستقر الارواح بعد
الموت وقوله انها تسيء في البرزخ الذي كانت فيه قبل خلق الاجساد يبني على

شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا الاعتقاد الذي اعتقده وقوله ان ارواح الشهداء من بني آدم وارواح الانبياء
عن يساره حق كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ان ذلك عند منقطع العناصر
لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا يشبه اقوال اهل الاسلام والاحاديث الصحيحة
تدل على ان الارواح فوق العناصر في الجنة عند الله واذا القرآن يدل على ذلك
وقد وافق ابو محمد على ان ارواح الشهداء في الجنة ومعلوم ان الصديقين افضل منهم
فكيف تكون روح ابي بكر الصديق وعبد الله بن مسعود وابي الدرداء وحذيفة بن
اليمان واشباههم عند منقطع العناصر وذلك تحت هذا الفلك الادنى وتحت
السما وتكون ارواح شهداء زماننا وغيرهم فوق العناصر وفوق السموات واما قوله
فقد محمد بن نصر المروزي عن اسحاق بن راهويه انه ذكر هذا الذي قلنا بعينه
قال وعلى هذا جميع اهل العلم وهو قول جميع اهل الاسلام قلت محمد بن نصر ذكر
في كتاب الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من
ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم الآيات الذي ذكرها
السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه ثم اخذ الميثاق عليهم وانه اخرجهم
مثل الذر وانه سبحانه قسمهم اذ ذاك الى شقي وسعيد وكتب آجالهم وارزاقهم
واعمالهم وما يصيبهم من خير وشر ثم قال قال اسحاق اجمع اهل العلم انها
الارواح قبل الاجساد استنطقهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم ان لا
يقولوا انا كنا عن هذا غافلين او يقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل هذا نص كلامه
وهو كما ترى لا يدل على ان مستقر الارواح ما ذكر ابو محمد حيث منقطع العناصر
بوجه من الوجوه ولا يدل على ان الارواح كانت قبل الاجساد بل انما يدل على

انه

انه سبحانه اخرجها حينئذ فخاطبها ثم ردها الى صلب آدم وهذا القول وان
كان قد قاله جماعة من السلف والخلف فالقول الصحيح غيره كما سنتكلم عليه ان
شاء الله تعالى اذ ليس الغرض في جواب هذه المسئلة الكلام في الارواح هل هي
مخلوقة قبل الاجساد ام لا حتى لو سلم لابي محمد هذا كله لم يكن فيه دليل على
ان مستقرها حيث منقطع العناصر ولا ان ذلك الموضع كان مستقرها فصل
واما قوله من قال مستقرها العدم المحض فهذا قول من قال انها عرض من اعراض
البدن وهي الحياة وهذا قول ابن الباقلاني ومن تبعه وكذلك قول ابي الهذيل
العلاف النفس عرض من الاعراض ولم يعنيه بانه الحياة كما عنى ابن الباقلاني
ومن قال هي عرض كسائر اعراض الجسم وهؤلاء قد مت ان الجسم اذا مات عدمت
روحه كما تعدم سائر اعراضه المشروطة بالحياة ومنهم من يقول ان العرض
لا يبقى زمانين كما يقوله اكثر الاشعرية فمن قوله ان روح الانسان الآن هي
غير روحه قبل وهو ينفك يحدث له روح ثم بعد ثم روح ثم بعد هكذا ابدا
فيبدل له الف روح فاكثر في مقدار ساعة من الزمان لما دونها فاذا مات
فلا روح تصعد الى السما وتعود الى القبر وتقبضها الملائكة ويستفتحون لها
ابواب السما ولا ينعم ولا تعذب وانما يعرض الجسد اذا شاء الله نعيمه
وتعذيبه رد اليه الحياة في وقت يريد نعيمه وعذابه والا فلا روح هناك
قائمة بنفسها البتة وقال بعض ارباب هذا القول ترد الحياة الى العجب
الذنب فهو الذي ينعم ويعذب حسب وهذا قول يرده الكتاب والسنة
واجماع الصحابة وادلة العقول والفطر وهو قول من لم يعرف روح

فضلا عن تروح غسوه وقد خاطب الله النفس بالرجوع والدخول والخروج ودلت
النصوص الصريحة على انها تصعد وتنزل وتقبض وتمسك وترسل وتستنفخ لها
أبواب السماء وتسجد وتكلم وانها تخرج تسيل كما تسيل القطرة وتكفن وتحفظ في
أكفان الجنة أو النار وان ملك الموت يأخذها بيده ثم تتناولها الملائكة من
يده وتشرها كأطيب نفحة مسك او اتن جيفة وتشيع من تما الى سماء ثم تعاد
الى الارض مع الملائكة وانها اذا خرجت تبعها البصر حيث يراها وهي خارجة
ودلت القرآن على أنها تنتقل من مكان الى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حركتها
وجميع ما ذكرنا من الادلة الدالة على تلاقي الارواح وتعارفها وانها أجساد
مجتمعة الى غير ذلك يبطل هذا القول وقد شاهدنا الذي صلى الله عليه وسلم
الارواح ليلة الاسراء عن يمين آدم وشماله واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان
نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة وان ارواح الشهداء في حواصل طير
خضر واخبر تعالى عن آل فرعون انها تعرض على النار غدوا وعشيا
وبما ورد ذلك على ان الباقلاني لج في الجواب وقال يخرج هذا على وجهين إما
بأن يوضع عرض من الحياة في أول جزء من أجزاء الجسم وإما ان يخلق لذلك
الحياة جسدا آخر وهذا قول في غاية الفساد من وجوه كثيرة وأي قول افسد
من قول من يجعل روح الانسان عرضا من الاعراض تتبدل كل ساعة الوفا من
المرات فاذا فارقه هذا العرض ليس بعد المفارقة روح تنعم ولا تعذب ولا
تصعد ولا تنزل ولا تمسك ولا ترسل فهذا قول مخالف للعقل ونصوص
الكتاب والسنة والفطرة وهو قول من لم يعرف نفسه وسيأتي ذكر الوجوه

الدالة

الدالة على بطلان هذا القول في موضعه من هذا الجواب ان شاء الله تعالى
وهو قول لم يقل به أحد من سلف الأمة من الصحابة والتابعين ولا ائمة المسلمين

فصل واما قول من قال ان مستقرها بعد الموت أبدان اخر غير هذه
الابدان فهذا القول فيه حق وباطل فاما الحق فما أخبر به النبي صلى الله عليه
وسلم الصادق المصدوق عن ارواح الشهداء انها في حواصل طير خضر تأوي
الى قناديل معلقة بالعرش هي لها كالاوكار للطير وقد صرح بذلك في قوله
جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر واما قوله صلى الله عليه وسلم
نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة فهذا يحتمل أن يكون هذا الطائر مركبا
للروح كالبدن لها ويكون ذلك لبعض المؤمنين والشهداء ويحتمل ان يكون
الروح في صورة طائر وهذا اختيار ابي محمد بن حزم وابي عمر بن عبد البر
وقد تقدم كلام ابي عمر والكلام عليه واما ابن حزم فانه قال يعني قوله صلى
الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر تعلق يعني انها تطير في الجنة لا انها تمسخ
في صورة طير فان قيل ان النسمة مؤنثة فلما قد صح عن عربي فصيح انه قال
اتاك كتابي فاستخفت بها فصل له ايوث الكتاب قال اوليس صحيفة وكذلك
النسمة تذكر تحذيرا لك قال واما الزيادة التي فيها انها في حواصل طير خضر
فانها صفة تلك القناديل التي تأوي اليها والحديثان معا حديث واحد
هذا الذي قاله في غاية الفساد لفظا ومعنى فان حديث نسمة المؤمن طائر
يعلق في شجر الجنة غير حديث أرواح الشهداء في حواصل طير خضر والذي
ذكره يحتمل في الحديث الاول واما الحديث الثاني فلا يحتمله بوجه فانه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم اخبرا ان ارواحهم فى حواصل طير خضر وفى لفظ بيض
وان تلك الطيور تسرح فى الجنة فتاكل من اثمارها وتشرب من انهارها ثم تاوى
الى قناديل تحت العرش يعنى لها كالاوكار للطير وقوله ان حواصل تلك الطير
هى صفة القناديل التى تاوى اليها حظا فطعا بل تلك القناديل تاوى لتلك
الطير وها هنا ملائمة امور صرح بها الحديث ارواح وطير هى فى اجوافها
وقناديل هى مأوى لتلك الطير والقناديل معلقة تحت العرش لا تسرح
والطير تسرح وتذهب وتجى والارواح فى اجوافها فان قيل يحتمل ان يجعل
بعضها فى صور طير لانها تركب فى بدن طير كما قال تعالى فى اى صورة ما شاء
ركبك ويدل عليه قوله فى اللفظ الاخر ارواحهم كطير خضر كذلك
رواه ابن ابى شيبة نا معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق
عن عبد الله قال ابو عمرو الذى يشبه عندى والله اعلم ان يكون القول
قول من قال كطير او صور طير لمطابقته لحديث المذكور يعنى حديث كعب
بن مالك فى نسمة المؤمن فالجواب ان هذا الحديث قد روى بهذين اللفظين
والذى رواه مسلم فى الصحيح من حديث الاعمش عن مسروق ارواحهم فى جوف
طير خضر فاما حديث ابن عباس فقال عثمان بن ابى شيبة حدثنا عبد الله بن
ادريس عن محمد بن اسحاق عن اسمعيل بن امية عن ابى الزبير عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب
اخوانكم يعنى يوم احد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر ترد انهار
الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش

فلما

فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا
انا احياء فى الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا فى الجهاد فقال
الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى
سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون واما حديث كعب بن مالك
فهو فى السنن الاربعة ومسند احمد ولفظه للترمذى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان ارواح الشهداء فى طير خضر يعلق من ثمر الجنة او
من شجر الجنة قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح ولا محذور فى هذا
ولا يبطل قاعدة من قواعد الشرع ولا يخالف نصا من كتاب الله ولا سنة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هذا من تمام اكرام الله عز وجل للشهداء
عاضهم من اجسادهم التى مزقوها فى الجهاد لله ابدا انا اخر خرا منها كون مركبا
لارواحهم يحصل لها كمال نعيمها فاذا كان يوم القيمة ردت ارواحهم الى تلك الابدان
التى كانت لها فى الدنيا فان قيل فهذا هو القول الناسخ وحلول الارواح فى
ابدان اخر غير ابدانها التى كانت فيها قيل فهذا المعنى الذى دلت عليه السنة
الصريحة حق يجب اعتقاده ولا يبطله تسمية المتقدمين اياه تناسخا فان اسماء لا تدل
على المعانى والنقل من صفات الله وحقا بر الله اسماء الحسنى حق لا يبطله
تسمية المبطل لها تركيبا وتجسيما وكذلك ما دل عليه العقل والنقل من اثبات
افعاله وكلامه بمشيئته ونزوله كل ليلة الى سماء الدنيا ومجيئه يوم القيمة للفصل
بين عباده حق لا يبطله تسمية المعطلة لحلول حوادث وكما ان ما دل عليه
العقل والنقل من علو الله على خلقه ومباينته لهم واستوائه على عرشه وعروج

شبكة الألوكة www.alukah.net

الملائكة والروح اليه وعروجها من عنده وصعود الكلم الطيب وعروج رسوله
ودنوه منه حتى صار قاب قوسين او ادنى وعرفك من الادلة حقا لا يبطله تسميته
الجهمية له حيزا وجهة وجسما فان الامام احمد لا يزال عن الله صفة من صفاته
لاجل شناعة المشنعين فان هذا شأن اهل البدع يلقبون اهل السنة واقوالهم
بالالقاب التي ينفرون منها الجهال ويسمونها حشوا وتركيبا وتجسيما ويقولون
عرش الرب تبارك وتعالى حيزا وجهة لتوصلوا بذلك الى نفي علو الله على خلقه
واستوائه على عرشه كما نفى الرافضة موالاة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلهم ومحبتهم والدعاء لهم نصبا وكما تسمي القدرية والمجوسية اثبات القدر حيزا
فليس الشأن في الالقاب وانما الشأن في الحقائق والمقصود ان يسمه ما دلت عليه
السنة الصريحة من جعل ارواح الشهداء في اجواف طير خضر فانها لا تبطل هذا
المعنى وانما الناسخ الباطل ما يقوله احد الرسل من الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون
المعاد ان الارواح تصير بعد مفارقة الابدان الى اجناس الحيوان والحشرات
والطيور التي كانت تناسبها ونشأ كلها فاذا فارقت هذه الابدان انتقلت الى
ابدان تلك الحيوانات فتعرفها وتعذب ثم تفارقها وتحل في ابدان اخر تناسب
اعمالها واخلاقها وهكذا ابدا وهذا معادها عند هؤلاء ونعيمها وعذابها لا معاد لها
عند هؤلاء غير ذلك وهذا هو الناسخ للباطل المخالف لما اتفقت عليه الرسل والانبياء
من اولهم الى اخرهم وهو كفر بالله واليوم الآخر وهذه الطائفة تقول ان سنة
الارواح بعد المفارقة ابدان الحيوانات التي تناسبها وهو ابطل قول واخبثه
وليد قول من قال ان الارواح تعدم جملة بالموت ولا يبقى هناك روح تنعم

ولا تعذب بل النعيم والعذاب يقع على اجزاء الجسد او على جزء منه اما عجب الذنب
او غيره فيخلق الله فيه الالم واللذة اما بواسطة رد الحياة كما قاله بعض ارباب
هذا القول او بدون رد الحياة كما قاله آخرون منهم فهؤلاء عندهم لا عذاب
في البرزخ الا على الاجساد ومقابلهم ممن يقول ان الروح لا تعاد الى الجسد
بوجه ولا يتصل به والعذاب والنعيم على الروح فقط والسنة الصريحة ترد
قول هؤلاء وهؤلاء وسن ان العذاب على الروح والجسد مجتمعين ومنفردين
فان قيل قد ذكرتم اقوال الناس في مستقر الارواح وما اخذ هم فما هو الراجح
من هذه الاقوال حتى يعتمد قيل الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ اعظم
تفاوت فمنها ارواح في اعلا عليين في الملأ الاعلى وهي ارواح الانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما اراهم النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسرا ومنها ارواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت
وهي ارواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من يحبس روحه عن دخول
الجنة لدين عليه او غيره كما في المسند عن محمد بن عمرو بن جحش ان رجلا جاء الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لي ان قتلت في سبيل الله قال الجنة
فلما ولى قال الا الدين سارني به جبريل آنفا ومنهم من يكون محبوسا في قبره
على باب الجنة كما في الحديث الآخر ان صاحبكم محبوس على باب الجنة ومنهم
من يكون محبوسا في قبره بحدث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس
هنيئا له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة
التي غلها لتشتعل عليه نارا في قبره ومنهم من يكون مقره بباب الجنة كما في حديث

ابن عباس الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء تخرج عليهم رزقهم من الجنة
بكرة وعشيا رواه احمد وهذا خلاف جعفر بن ابى طالب حيث ابدله من يديه جناحين
يطير بهما فى الجنة حيث شاء ومنهم من يكون محبوسا فى الارض لم تعل روحه الى الملاء
الاعلا فانها كانت روحا سفلية ارضية فان الانفس الارضية لا تجامع الانفس السماوية
كما تجامعها فى الدنيا وفى النفس التى لم تكتسب فى الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره
والتقرب اليه والانس به بل هى ارضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها الا
هناك كما ان النفس العلوية الزكية فى الدنيا قد علت بمحبة الله وذكره والتقرب
اليه والانس به تكون بعد المفارقة مع الارواح العلوية المناسبة لها فالرفيق من
احب فى البرزخ ويوم القيمة والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض فى البرزخ
ويوم المعاد كما تقدم برقوله فى الحديث ويجعل روح من يحب المؤمن مع النسيم الطيب
اى الارواح الطيبة المشاكلة لروحه فالروح بعد المفارقة تلحق باشكالها واحبابها
واصحابها فتكون معهم هناك ومنها ارواح تكون فى ثور الزناة والزواني وارواح
فى نهر الدم يسبح فيه وتلقم الحجارة فليس للارواح سعيدها وشقيها مستقر واحد
بل روح فى اعلا عليين وروح ارضية سفلية لا تصعد عن الارض وذات اذا تأملت
السنن والآثار فى هذا الباب وكان لك بها فضل اعتناء عرف صحة ذلك فلا تظن
ان من الآثار الصحيحة فى هذا الباب تعارضا فانها كلها حق يصدق بعضها بعضا لكن
الشأن فى فهمها ومعرفة النفس واحكامها فان لها شأنا غير شأن البدن وانها مع كونها
فى الجنة فهى فى السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه وهو اسرع شئ حركة وانتقالا
وصعودا وهبوطا وانها يفسح لها مد بصر منها وعلوه وسفليته ولها بعد

المفارقة

المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم اعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير فهنالك
الحبس والالم والعذاب والمرض والحسرة وهنالك اللذة والراحة والنعيم والانطلاق
وما يشهد لذلك حالها فى هذا البدن بحال البدن فى بطن امه وحالها بعد المفارقة
بحالة بعد خروجه من البطن الى هذه الدار فلهذه الانفس اربعة دور كل دار اعظم من
التى قبلها الدار الاولى فى بطن الام وذلك الحبس والضيق والغم والظلمات الثلاث
الدار الثانية هذه الدار التى نشأت فيها والفت واكتسبت فيها الخير والشر واسباب
السعادة والشقاوة الدار الثالثة دار البرزخ وهى اوسع من هذه الدار واعظم
بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى الاولى الدار الرابعة دار القرار وهى الجنة
او النار فلا دار بعدهما والله تعالى ينقلها فى هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها
الدار التى لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهى التى خلقت لها وهيئت لها
الموصل اليها ولها فى كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الاخرى تبارك
الله فاطرها ومنشيها ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها الذى فاوت بين درجات
سعادتها وشقاوتها كما فاوت بينها فى مراتب علومها واعمالها وقواها واخلاقها
فمن عرفها كما ينبغى شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وله الملك وله الحمد
وبيده الخير كله واليه يرجع الامر كله وله القوة كلها والقدرة كلها والعز
كله والحكمة كلها والكمال المطلق من جميع الوجوه وعرف معرفة يقينية صدق
انبيائه ورسله وان الذى جاؤا به هو الحق الذى تشهد به العقول وتقر به الفطر
وما خالفه فهو الباطل وبالله التوفيق

وهى هل تتبع ارواح الموتى شئ من شئ الاحيا ام لا فالجواب انها تتبع من سعى

الاحياء ما ترجم عليهما بين اهل السنة من السلف واهل الحديث والتفسير احدهما
ما تسبب اليه الميت في حياته والثاني دعاء المسلمين له واستغفارهم له والصدقة
والحج على خلاف فيما الذي يصل من ثوابه هل هو ثواب الانفاق او ثواب العمل فعند
الجمهور يصل ثواب العمل بنفسه وعند بعض الحنفية انما يصل ثواب الانفاق واختلف
في العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر فمذهب الامام احمد
وجمهور السلف وصولها وهو قول بعض اصحاب ابي حنيفة نص على هذا الامام
احمد في رواية محمد بن يحيى الكحال قال قلت لابي عبد الله الرجل يعمل الشيء من الخير من
صلاة او صدقة او غير ذلك فيجعل نصفه لابيه او لابنه قال ارجو او قال
الميت يصل اليه كل شيء من صلاة او صدقة او غيرها وقال ايضا اقرأ اية الكرسي
ثلاث مرات وقل هو الله احد وقل اللهم ان فضله لاهل المقابر والمشهور من
مذهب الشافعي ومالك ان ذلك لا يصل وذهب بعض اهل البدع من اهل الكلام
انه لا يصل الى الميت شيء البتة من الذكر ولا غيره فالدليل على انتفاعه بما تسبب
اليه في حياته ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث الا من صدقة
جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له فاسمع هذه الثلاث من عمله يدل
على انها منه فانه هو الذي تسبب اليها وفي سنن ابن ماجة من حديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته
بعد موته علما علمه ونشره او ولدا صالحا تركه او مصحفا ورثه او مسجدا بناه او بيتا
لابن السبيل بناه او نهرا اكراه او صدقة اخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه

من بعد موته وفي صحيح مسلم ايضا عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من
غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها
ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيء وهذا المعنى روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم من عدة وجوه صحاح وحسان وفي المسند عن حذيفة قال سأل
رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسك القوم ثم ان رجلا اعطاه
فاعطاه القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن خيرا فاستن به كان له
اجره ومن اجور من تبعه غير منقوص من اجورهم شيء ومن سن شرا فاستن
به كان عليه وزره ومن اوزار من تبعه غير منقوص من اوزارهم شيء فقد
دل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم كفل من
دمها لانه اول من سن القتل فاذا كان هذا في العذاب والعقاب ففي الفضل والثواب
اولى واحرى فصل والدليل على انتفاعه بغير ما تسبب فيه القرآن والسنة
والاجماع وقواعد الشرع اما القرآن فقوله تعالى والذين جاءوا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فاثنى الله سبحانه عليهم باستغفارهم
للمؤمنين قبلهم فدل على انتفاعهم باستغفار الاحياء وقد يمكن ان يقال انما انتفعوا
باستغفارهم لانهم سنوا لهم الايمان بسببهم اليه فلما تبعوهم فيه كانوا كالمتسببين
في حصوله لهم لكن قد دل على انتفاع الميت بالدعاء اجماع الامة على الدعاء له في صلاة
الجنازة وفي السنن من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك

قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول
اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله واوسع مدخله واغسله بالماء
والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا
خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخل الجنة واعذه
من عذاب القبر ومن عذاب النار وفي السنن عن وائلة بن الاسقع قال صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم فلان بن فلان في
ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار فانت اهل الوفاء والحق
فاغفر له وارحمه انك انت الغفور الرحيم وهذا كثير في الاحاديث بل هو المقصود
بالصلاة على الميت وكذلك الدعاء بعد الدفن وفي السنن من حديث عثمان بن عفان
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال
استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسأل وكذلك الدعاء لهم عند
زيارة قبورهم كما في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر ان يقولوا السلام عليكم اهل
الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم
العافية وفي صحيح مسلم ان عائشة سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف تقول
اذا استغفرت لاهل القبور قال قولي السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين
ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وفي صحيح
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في ليلتها في آخر الليل الى البقيع
فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل

بقيع الغرقد ودعا النبي صلى الله عليه وسلم للاموات فعلا وتعليما ودعا الصحابة والتابعين
والمسلمين عصرا بعد عصر اكثر من ان يذكر واشهر من ان تنكر وقد جاء ان الله سبحانه يرفع
درجات العبد في الجنة فيقول اني لي هذا فيقال بدعاء ولدك له **فصل**
واما وصول ثواب الصدقة ففي الصحيحين عن عائشة ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ان امي افتلتت ولم توص واظنها لو تكلمت تصدق
افلها اجر ان تصدق عنها قال نعم وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس ان
سعد بن عبادة توفيت امه وهو غائب عنها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ان امي ماتت وانا غائب عنها فهل ينفعها ان تصدقت عنها قال
نعم قال فاني اشهدك ان حائطي المخراف صدقة عنها وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة
ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابي مات وترك مالا ولم يوص فهل
يكفر عنه ان اتصدق عنه قال نعم وفي السنن ومسند احمد عن سعد بن عبادة
انه قال يا رسول الله ان ام سعد ماتت فاي الصدقة افضل قال الماء فحفر بئرا
وقال هذه لام سعد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل نذر في الجاهلية
ان يحرم مائة بدنة وان هشام بن العاص نحر حصته خمسين وان عمر اسأل النبي صلى
الله عليه وسلم عن ذلك فقال اما ابوك فلو اقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه
ينفعه ذلك رواه الامام احمد **فصل** واما وصول ثواب الصوم ففي الصحيحين عن
عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات وعليه صيام
صام عنه وليه وفي الصحيحين ايضا عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امي ماتت وعليها صوم شهر افاقضيه عنها قال نعم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال فدين الله أحق ان تقضي وفي رواية جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله ان امي ماتت وعليها صوم نذر افاصوم عنها قال ارايت
لو كان على امك دين فقضيتيه اكان ذلك يؤدي عنها قالت نعم قال فصومي
عن امك وهذا اللفظ للبخاري وحده تعليقا وعن بريدة قال بينا انا جالس
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتته امراة فقالت اني تصدقت على امي
بجارية وانها ماتت فقال وجب اجرك وردها عليك الميراث قالت يا رسول
الله انه كان عليها صوم شهر افاصوم عنها قال صومي عنها قالت انها لم تحج قط
افاحج عنها قال حجي عنها رواه مسلم وفي لفظ صوم شهرين وعن ابن عباس
ان امراة ركبت البحر فنذرت ان الله نجاها ان تصوم شهرا فنجاها الله فلم تصم حتى
ماتت فجاءت ابنتها واختها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرها ان تصوم
عنها رواه اهل السنن والامام احمد وكذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم
وصول ثواب بدل الصوم وهو الاطعام في السنن عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه بكل يوم مسكين
رواه الترمذي وابن ماجة قال الزهري ولا يعرف مرفوعا الا بهذا الوجه
والصحيح عن ابن عمر قوله موقوفا وفي سنن ابي داود عن ابن عباس اذا مرض الرجل
في رمضان ولم يصم اطعم عنه ولم يكن عليه قضاء وان نذر قضاء عنه ولي فصل
واما ثواب الحج ففي صحيح البخاري عن ابن عباس ان امراة من جهينة جاءت الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان امي نذرت ان تحج فلم تحج حتى ماتت افاحج عنها
قال حجي عنها ارايت لو كان على امك دين اكنت قاضيته اقضوا الله فالله احق

بالوفا وقد تقدم حديث بريدة وفيه ان امي لم تحج قط افاحج عنها قال حجي عنها
وعن ابن عباس قال ان امراة سنان بن سلمة الجهني ارسلت تسال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان امها ماتت ولم تحج افتجزئ ابنها ان تحج عنها قال نعم
لو كان على امها دين فقضيته عنها اكان يجزئ عنها رواه النسائي وروى ايضا
ان عباس ان امراة سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ابيها مات ولم يحج افاحج
عنه قال حجي عن ابيك وروى ايضا عنه قال قال رجل يا نبي الله ان امي مات ولم
تحج افاحج عنه قال ارايت لو كان على ابيك دين اكنت قاضيه قال نعم قال فدين
الله احق واجمع المسلمون ان قضاء الدين يسقط مزدمته ولو كان من اجنبي او من
غير تركة وقد دلت عليه ابو قتادة حيث ضمن الدينار عن الميت فلما قضاها
قال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن بردت جلدته عليه واجمعوا على ان الحج
اذا كان له قبل الميت حق من الحقوق فاجله منه انه يسقط وتبرا ذمته كما
يسقط من ذمة الحي بالبض والاجماع مع امكان اداءه لسقط ولو لم يفرط فيه
بل رده فسقوطه من ذمة الميت بالاحرى لانه تمكن من اداءه اولى واحرى
واذا انتفع بالاجر والاسقاط فكذلك ينتفع بالهبة والاهداء والامر فيهما فان
ثواب العمل حق للمهدي الواهب فاذا جعله للميت استقر اليه بمكان ما على الميت
من الحقوق من الدين وغيره هو محض حق الادمي فاذا ابرا منه وصل الابراء اليه
وسقط من ذمته فكلاهما حق للحي فاي فرق وتاثير او قاعدة من قواعد الشرع
توجب وصول احدهما وتمنع وصول الاخر وهذه النصوص بظاهرها على
وصول ثواب الاعمال للميت اذا اهداها الحي عنه وهذا محض القياس فان

الثواب حق للعامل فاذا وهب لأخيه المسلم لم يمنع مزيد ذلك كما لو منح من هبة ماله
في حياته وابرأ له منه بعد موته وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على وصول
ثواب الصوم الذي هو مجرد ترك ونية بقوم بالقلب لا يطلع عليه إلا الله
وليس بعمل للجوارح وعلى وصول ثواب القراءة التي هي عمل باللسان بسمعه الآدمي
وتراه العين بطريق الأولى بوضوح ان الصوم فيه محض وكف النفس عن
المفطرات وقد اوصل الله ثوابه الى الميت فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية
بل الافتقار الى النية فوصول ثواب الصوم الى الميت فيه تنبيه على وصول ثواب
سائر الاعمال والعبادات قسمان مالية وبدنية وقد نبه الشارع بوصول
ثواب الصدقة على وصول ثواب سائر العبادات المالية ونبه بوصول ثواب
الحج المركب من المالية والبدنية والانواع اللائقة ثابتة بالنص والاعتبار وبالله
التوفيق قال المانعون من الوصول قال الله تعالى وان ليس للإنسان الا ما
سعى وقال ولا تجزون الا ما كنتم تعملون وقال لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات العبد انقطع عمله الا
من ثلاث صدقة جارية او ولد صالح يدعو له او علم ينتفع به من بعده فاخبر انه
انما ينتفع بما كان يتسبب اليه في الحياة وما لم يكن قد تسبب اليه فهو منقطع عنه
وايضا فحديث ابي هريرة المتقدم وهو قوله انما يلحق الميت من عمله وحسناته
بعد موته عما نشره الحديث يدل على انه انما ينتفع بما كان قد تسبب اليه وكذلك
حديث انس رفعه سبع يجري على العبد اجرهن وهو في قبره بعد موته من علم
علما او اكرى نهرا او حفر بئرا او غرس نخلا او بنا مسجدا او ورث مصحفا او ترك

ولدا

ولدا صالحا يستغفر له بعد موته وهذا يدل على ان ما عدا ذلك لا يصل له منه
ثواب وإلا لم يكن للخبر معنى قالوا والاهداء احالة والحوالة انما تكون بحق لازم
والاعمال لا توجب الثواب وانما هو مجرد تفضل الله واحسانه فكيف يحيل العبد
على مجرد الفضل الذي لا يجب على الله بل ان شاء اثابه وان شاء لم يثبه وهذا يظير
حوالة الفقير على من يرجو ان يتصدق عليه ومثل هذا لا يصح اهداء ولا هبته
كصلة يرجى من ملك لا يتحقق حصولها قالوا وايضا فالاشارة باسباب الثواب
مكروه وهو الاشارة بالقرب فكيف الاشارة بسبب الثواب الذي هو غاية فاذا
كره الاشارة بالوسيلة فالغاية اولى واحرى ولذلك كره الامام احمد التاخر
عن الصف الاول وايثار الغير به لما فيه من الرغبة عن سبب الثواب
قال احمد في رواية حنبل وقد سئل عن الرجل يتاخر عن الصف الاول
ويقدم اباه قال ما يعجبني هو بقدر ان يؤثر اباه بخير هذا قالوا وايضا لو
ساغ الاهداء الى الميت لساغ نقل الثواب والاهداء الى الحي وايضا لو ساغ
ذلك لساغ اهداء بعد ان يتحلل لنفسه وقد قلتم لا بد ان ينوي حال
الفعل اهداءه الى الميت والا لم يصل اليه فاذا ساغ له نقل الثواب فاي فرق
بين ان ينوي قبل الفعل او بعده وايضا لو ساغ الاهداء لساغ اهداء ثواب الواجبات
على الحي كما يسوغ اهداء ثواب التطوعات التي يتطوع بها قالوا وان التكاليف
ابتلاء واختبار لا تقبل البدل فان المقصود منها عين المكلف العامل المأمور
المنهي فلا بد له المكلف المختبر بغيره ولا ينوب غيره عنه في ذلك اذ المقصود
طاعته هو نفسه وعبوديته ولو كان ينفع باهداء غيره له من غير عمله لكان

اكرام الاكرمين اولى بذلك وقد حكم الله سبحانه انه لا يمنع الا بسببه وهذه
سنته تعالى في خلقه وقضائه كما هي سنته في امره وشرعه فان المرض لا ينوب عنه
غيره في شرب الدواء والجائع والظمآن والعاري لا ينوب عنه غيره في الاكل والشرب
واللباس قالوا ولو نفعه عمل غيره لنفعه نوبته عنه قالوا وهذا لا يقبل الله سبحانه
اسلام احد عن احد ولا صلاته عنه فاذا كان رأس العبادات لا يصح اهداء ثوابها فليس
فروعها قالوا واما الدعاء فهو سؤال ورغبة الى الله ان يتفضل على الميت ويسامحه
ويعفو عنه وهذا غير اهداء ثواب عمل الحي اليه قالت المقتصرون على وصول
العبادات التي يدخلها النيابة كالصدقة والحج والعبادات نوعان نوع لا يدخله
النيابة بحال كالاسلام والصلاة وقراءة القرآن والصيام فهذا النوع يختص ثوابه
بفاعله لا يتعداه ولا ينقل عنه كما ان في الحياة لا يفعله احد عن احد ولا ينوب فيه
عن فاعله غيره ونوع يدخله النيابة كرد الودائع وقضاء الديون واخراج الصدقة
والحج فهذا يصل ثوابه الى الميت لانه تقبل النيابة ويفعله العبد عن غيره في حياته
فبعد موته بطريق الاولى والاحرى قالوا واما حديث مرتين وعليه صيام رمضان
عنه وليه فجوابه من وجوه احدها ما قاله مالك في موطئه قال لا يصوم احد عن
احد قال وهو امر مجمع عليه عندنا لا خلاف فيه الثاني ان ابن عباس هو الذي روى
هذا الحديث عن الميت وقد روى عنه الثاني اخبرنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا يزيد بن
زريع حدثنا خالد الاحول حدثنا ايوب بن موسى عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس
قال لا يصلي احد عن احد ولا يصوم احد عن احد الثالث انه حديث اختلف في اسناده
هكذا قال صاحب المفهم في شرح مسلم الرابع انه معارض نص القرآن كما تقدم

من قوله وان ليس للانسان الا ما سعى الخامس انه معارض لما رواه النسائي عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصلي احد عن احد قال الشافعي فلما تكلم به
على خبر ابن عباس لم يسمع ان عباس لما كان نذرت ام سعد فاحتمل ان يكون بدين او
عمرة او صدقة فامره بقضائه عنها فاما من نذر صلاة او صياما ثم مات فانه لم يؤمر
عنه في الصوم ولا يصام عنه ولا يصلي ولا يكفر عنه في الصلاة ثم قال فان قيل فروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر احدا ان تصوم عن احد قيل لم يعرف روى ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل فلم لا تأخذ به قلت حديث الزهري عن عبد الله
بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمعه مع حفظ الزهري وطول مجالسته
عبد الله بن عباس فلما جاء غيره عن رجل عن ابن عباس يعني ما في حديث عبيد الله اشبه
ان لا يكون محفوظا فان قيل فمن الرجل الذي جاء بهذا الحديث فغلط في ابن عباس
فلم نعرف روى اصحاب ابن عباس عن ابن عباس انه قال لابن الزبير ان الزبير جعل
متعة الحج فروى هذا عن ابن عباس انها متعة النساء وهذا غلط فاحش فهذا الحج
عن فعل الصوم واما فعل الحج فانما يصل منه ثواب الانفاق واما افعال المناسك
فهي كافعال الصلاة انما تقع عن فاعلها قال اصحاب الوصول ليس في شيء مما
ذكرتم ما يعارض ادلة الكتاب والسنة واتفاق اهل السلف الائمة وقواعد
الشرع ونحن نجيب عن كل ما ذكرتموه بالعدل والانصاف اما قوله تعالى وان ليس
للانسان الا ما سعى فقد اختلف طرق الناس في المراد بالآية فقالت طائفة الانسان
ها هنا الكافر واما المؤمن فله ما سعى وما سعي له بالادلة التي ذكرناها قالوا
وغاية ما في هذا التخصيص وهو جائز اذا دل عليه الدليل وهذا الجواب ضعيف

جزاؤ مثل هذا العام لا يراد به الكافر وحده بل هو المسلم والكافر وهو كالعام الذي
قبله وهو قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى والسياق كله من اوله الى آخره كالصريح
في ارادة العموم لقوله وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وهذا يعم الخير
والشر قطعا ويتناول البر والفاجر والمومن والكافر لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولقوله في الحديث الالهي يا عبادي انما هي
اعمالكم احصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن
الا نفسه وهو كقوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
ولا يغتر بقول كثير من المفسرين في لفظ الانسان في القرآن للانسان ابو جهل والانسان
ههنا عتبة بن ابي معيط والانسان ههنا الوليد بن المغيرة والقرآن اجل من
ذلك بل الانسان هو الانسان من حيث هو من غير اختصاص بواحد بعينه كقوله
ان الانسان لفي خسر وان الانسان لربه لكنود وان الانسان خلق هلوعا وان
الانسان ليطغى ان رآه استغنى وان الانسان لظلوم كفار وحملها الانسان انه كان
ظلوما جهولا فهذا شان الانسان من حيث ذاته ونفسه وخروجه عن هذه الصفات
بفضل ربه وتوفيقه له ومنه عليه لا من ذاته فليس له من ذاته الا هذه
الصفات وما به من نعمة فمن الله وحده فهو الذي حبب الى عبده الايمان وزينه
في قلبه وكره اليه الكفر والفسوق والعصيان وهو الذي كتب في قلبه الايمان
وهو الذي ثبت ايناءه ورسله واولياءه على دينه وهو الذي يصرف عنهم السوء
والفحشاء وكان يحدي من يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لولا الله ما
اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا وقد قال تعالى وما كان لنفس ان تؤمن

الا باذن الله وقال تعالى وما تذكرون الا ان يشاء الله وما تشاءون الا ان يشاء الله
رب العالمين فهو رب جميع العالمين وربوبيته شاملة لجميع ما في العالم من ذوات
وافعال واحوال وقالت طائفة الآية اخبار عن شرع من قبلنا وقد دلت
شرعنا على ازالة ما سعى وما يسعى له وهذا ايضا اضعف من الاول او من جنسه
قال الله تعالى اخبر بذلك اخبارا مقررا له محتجا به لا اخبارا مبطلا له ولهذا
قال ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى فلو كان هذا ابطالا لما في
هذه الشريعة لم يخبر به اخبارا مقررا له محتجا به وقالت طائفة اللام بمعنى على
اي وليس على الانسان الا ما سعى وهذا ابطل من القولين الاولين فانه قلب
موضوع الكلام الى ضد معناه المفهوم منه ولا يسوغ مثل هذا ولا تحتمله اللغة
ولا نحو ولهم اللعنة فهي على بابها اي هي نصيبهم وحظهم واما ان العرب تعرف
في لغاتها لام بمعنى على فلم نعرفه قالوا وقالت طائفة في الكلام حذف بتقدير
وان ليس للانسان الا ما سعى او سعى له وهذا ايضا من النمط الاول بل هذا حذف
لا يدل السياق عليه بوجه وقوله على الله وكتابه بلا علم وقالت طائفة
اخرى الآية منسوخة بقوله تعالى والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان
ألحقنا بهم ذريتهم وهذا منقول عن ابن عباس وهذا ضعيف ايضا ولا يرفع
حكم الآية بمجرد قول ابن عباس ولا غيره انها منسوخة والجمع بين الامرين غير
متعذر ولا ممتنع فان الابناء تبعوا الآباء في الآخرة كما كانوا تبعا لهم في الدنيا
وهذه التبعية هي من كرامات الآباء وثوابهم الذي نالوه بسعيهم واما كون
الابناء الحقوا بهم في الدرجة بلا سعي منهم فهذا ليس هو لهم وانما هو للآباء

أقر الله أعينهم بالحاق ذرياتهم بهم في الجنة وتفضل على الآباء بشيء لم يكن لهم كما تفضل بذلك على الولدان والحور العين والحلق بتمامهم للجنة بغير اعمال والقوم الذين يدخلهم الجنة بلا خبر قدموه ولا عمل عملوه بتولد ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى آيتان محكمتان يقضيهما عدل الرب وحكمته وكماله المقدس والعقل والفطرة شاهدان بهما فالاول يقضي انه لا يعاقب بجرم غيره والثانية يقضي انه لا يفلح الا بعمله وسعيه فالاول يؤمن العبد من اخذه بجريرة غيره كما يفعله ملوك الدنيا والثانية يقطع طمعه من ان يجعل اباه وسلفه ومشايخه كما عليه اصحاب الطمع الكاذب فتامل حسن اجتماع هاتين الآيتين ونظيره قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فحكم سبحانه لعباده باربعة احكام هي غاية العدل والحكمة احدها ان هدى العبد بالايمان والعمل الصالح لنفسه لا لغيره والثاني ان ضلاله بعواقب ذلك وتخلفه عنه على نفسه لا على غيره الثالث ان احدا لا يؤاخذ بجرم غيره الرابع انه لا يعذب احدا الا بعد اقامة الحجة عليه برسله فتامل ما في ضمن هذه الاحكام الاربعة من حكمته تعالى وعدله وفضله والرد على اهل الغرور والاطماع الكاذبة وعلى اهل الجهل بالله واسمائه وصفاته وقال طائفة اخرى المراد بالانسان ها هنا الحي دون الميت وهذا ايضا من النمط الاول في الفساد وهذا كله من سوء التصرف في اللفظ العام وصاحب هذا التصرف لا يقف تصرفه في دلالات الالفاظ وحملها على خلاف موضوعها وما يتبادر الى الذهن منها وهو تصرف فاسد قطعا يبطله السياق والاعتبار وقواعد الشرع

والدليل

والادلة وعرفه وسبب هذا التصرف الذي ان صاحبه يعتقد ولا يرد عليه كل ما دلك على خلافه بأي طريق اتت له فالادلة الخالفة لما اعتقده عنده من باب دفع الصائل لا بال بأي شيء دفعه والادلة الحق لا تتعارض ولا تتناقض بل تصدق بعضها بعضا وتؤيد بعضها بعضا وقالت طائفة أخرى وهو جواب ابي الوفاء بن عقيل قال الجواب الجيد عندي ان يقال الانسان يسعى وحسن عشرته اكسب الاصدقاء واولد الاولاد واخ الازواج واسدى الخير ونوده الى الناس يترحموا عليه ويهدوا له العبادات فكان ذلك اثر سعيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه ويدل عليه قوله في الحديث الاخر اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به من بعده وصدقة جارية عليه وولد صالح يدعو له ومن هنا قال الشافعي اذا بذل له ولده طاعة الحج كان ذلك سببا لوجوب الحج عليه حتى كانه في ماله زادا وراحلة بخلاف الاجنبي وهذا جواب متوسط محتاج الى تمام فان العبد بايمانه وطاعته لله ورسوله قد سعى في اسباب عمل اخوانه المؤمنين معه عليه كما ينتفع بعلمهم في الجهاد مع عمله فان المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعض في الاعمال التي يشتركون فيها كالصلاة في جماعة فان كل واحد يضاعف صلاته الى بضع وعشرين ضعفا مشاركة غيره له في الصلاة بعمل غيره كان سببا لزيادة اجره كما ان عمله سبب لزيادة اجر الآخر فقل ان الصلاة تضاعف بعدد المصلين وكذلك اشتراكهم في الجهاد والحج والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان

شبكة الألوكة www.alukah.net

يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه ومعلوم ان هذا بأمور الدين أولى منه بأمور
الدنيا فدخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الاسلام من أعظم الاسباب في
وصول نفع كل من المسلمين الى صاحبه في حياته وبعد مماته ودعوة المسلمين
تحيط من ورائهم وقد اخبر سبحانه عن حملة العرش ومن حولهم انهم يستغفرون
للمؤمنين ويدعون لهم وأخبر عن دعاء رسله واستغفارهم للمؤمنين كنوح وابراهيم
ومحمد صلى الله عليه وسلم فالعبد بايمانه قد تسبب الى وصول هذا الدعاء اليه
فكان من سعيه ويوضح ان الله سبحانه جعل الايمان سببا لانتفاع صاحبه بدعاء اخوانه
من المؤمنين وشفعهم فاذا أتى به فقد سعى في السبب الذي يوصل اليه ذلك
وقد دل على ذلك قوله النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص ان أباك لو أقر
بالتوحيد فصمته ذلك يعني الحق الذي تعلقه عنه بعد توبته فلو أتى بالسبب لكان
قد سعى في عمل توصل اليه ثواب العتق بهذه طريقه لطمة حسنة جدا وقالت
طائفة اخرى القرآن لم يضف انتفاع الرجل بسعي غيره وانما نفى ملكه لسعي غيره
ومن الامرين من الفرق ما لا يخفى واخبر انه تعالى لا يملك الا سعيه واما سعي غيره
فهو ملك لساعيه فان شاء أن يبذله لغيره وان شاء أن يستبد لنفسه وهو سبحانه لم
يقل لا ينفع الا ما سعى وكان شيخنا يختار هذه الطريقة ويرجحها وكذلك قوله
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون على أن هذه
الآية أصرح في الدلالة على أن سياقها انما يفي عقوبة العبد بعمل غيره وأخذه
بجريرته فانه سبحانه قال فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
فنفى أن يظلم بان زاد عليه في سيآته أو نقص من حسناته او يعاقب بعمل غيره ولم

ينف أن ينفع بعمل غيره لا على وجه الجزاء فان انتفاعه بما يهدى اليه ليس جزاء على
عمله وانما هو صدقة تصدق الله بها عليه وتفضل بها عليه من غير سعي منه بل
وهبه ذلك على يد بعض عباده لا على وجه الجزاء واما استدلال بكر بقوله صلى
الله عليه وسلم اذا مات العبد انقطع عمله فاستدلال ساقط فانه صلى الله عليه
وسلم لم يقل انقطع انتفاعه وانما اخبر عن انقطاع عمله واما عمل غيره فهو للعامل
فان وهبه له بعد وصل اليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو فالمنقطع شيء
والواصل شيء آخر وكذلك الحديث الآخر وهو قوله ان مما يلحق من حسناته
وعمله ولا يلحق بنفي أن يلحقه غير ذلك من عمل غيره وحسناته واما قول بكر
الا هذا حوالة والحوالة انما تكون بحق لازم فهذه حوالة المخلوق على المخلوق
واما حوالة المخلوق على الخالق فأمر آخر لا يصح قياسه على حوالة العبد بعضهم
على بعض وهل هذا الا من ابطل القياس وافسده والذي يبطله اجماع الامة
على انتفاعه بأداء دينه وما عليه من الحقوق وأجر المستحق لذمته والصدقة
والحج عنه بالنص الذي لا سبيل الى رده ودفعه وكذلك الصوم في هذه الاشياء
لا تعارض نصوص الشرع وقواعده واما قول بكر الايثار يسقط الثواب فمكروه
وهو مسئلة الايثار بالقرب فكيف الايثار بنفس الثواب الذي هو الغاية فقد
أجيب عنه باجوبة أحدها أن حال الحياة حال لا يوثق فيها بسلامة العاقبة
لجواز أن يرتد الحي فيكون قد آثر بالقربة غير أهلها وهذا قد أمن بالموت فان قيل
المهدى اليه أيضا قد لا يكون مات على الاسلام باطنا فلا ينفع مما يهدى اليه
فهذا سؤال في غاية البطلان فان الاهداء له من حسن الصلاة عليه والاستغفار

شبكة الألوكة www.alukah.net

له والله تعالى فان كان اهلا والا امتنع به الداعي وحده الجواب الثاني ان الايثار
بالقرب يدل على قلة الرغبة فيها والتأخر عنها فلو ساق الايثار بها الافضى الى
التقاعد عنها والتكاسل لاجل ثوابها لينتفع به او ينفع به اخاه المسلم وبينهما فرق
ظاهر الجواب الثالث ان الله سبحانه يحب المبادرة والمسارعة الى خدمته
والمنافسة فيها فان ذلك الحق في العبودية فان الملوك تحب المسارعة والمنافسة
في طاعتها وخدمتها فالايثار بذلك مناف لمقصود العبودية فان الله سبحانه
امر عبده بهذه القربة اما ايجابا واما استحبابا فاذا آثر بها ترك ما امره به وولاه
غيره بخلاف ما اذا فعل ما امره به طاعة وقربة ثم ارسل ثوابه الى اخيه المسلم
وقد قال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
وقال فاستبقوا الخيرات ومعلوم ان الايثار بها ينافي الاستباق اليها والمسارعة
وقد كان الصحابة تسابق بعضهم بعضا بالقرب ولا يؤثر الرجل منهم غيره بها قال
عمر والله ما سابقني ابو بكر الى خير الا سبقني اليه حتى قال والله لا اسابقك
الى خير ابدا وقد قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فالمنافسة في
التي منافسة ومنافسا اذا رغبت فيه على وجه المباراة ومن هذا قولهم شيء
نفيس اي هو اهل ان يتنافس فيه ويرغب فيه وهذا انفس مالي اي احبه الي
وانفسني فلان في كذا اي ارغبني فيه وهذا كله ضد الايثار به والرغبة عنه
واما قولكم لو ساغ الاهداء الى الميت لساغ الى الحي فجوابه من وجهين احدهما
انه قد ذهب الى ذلك بعض الفقهاء من اصحاب احمد وغيرهم قال القاضي
وكلام احمد لا يقتضي التخصيص بالميت فانه قال يفعل الخير ويجعل ثوابه

والديه ولم يفرق واعترض عليه ابو الوفاء بن عقيل وقال هذا فيه بعد وهو تلاعب
بالشرع وتصرف في امانة الله واتجاء على الله سبحانه بثواب كل عمل يتقلد الى غيره
وبعد الموت قد جعل لنا طريقا الى اتصال النفع كالاستغفار والصلاة على الميت
ثم اورد على نفسه سؤالا وهو فان قيل اليس قضاء الدين وتحمل الكفالة حال الحياة
كقضائه بعد الموت فقد استوى ضمان الموت والحياة في انهما يلزمان المطالبة
عند فاذا وصل قضاء الدين بعد الموت وحال الحياة فاجعلوا ثواب الاهداء
واصلا حال الحياة وبعد الموت واجاب عنه بانه لو صح هذا وجب ان تكون
الذنوب تكفر عن الحي بتوبة غيره عنه ويندفع عنه بأثر الآخرة بعمل غيره واستغفاره
قلت وهذا لا يلزم بل طرد ذلك انتفاع الحي بدعاء غيره له واستغفاره له
وتصدقه عنه وقضاء دينه وهذا حق وقد اذن النبي صلى الله عليه وسلم في
اداء فريضة الحج عن الحي المعضوب والعاجز وهما حيان وقد اجاب عنه من
الاصحاب بان حال الحياة لا يئس بسلامة العاقبة خوفا ان يرتد المهدى له فلا
ينفع ما يهدى اليه قال ابن عقيل وهذا عذر باطل باهداء الحي الى الميت
فانه لا يؤمن ان يرتد ويموت فيحبط عمله كله ومن جملته ما اهدى الى الميت قلت
هذا لا يلزمهم وموارد النقض والاجماع بطلانه وردته فان النبي صلى الله عليه
وسلم اذن في الحج والصوم عن الميت واجمع الناس على ترائه ذمته من الدين
اذا قضاه عنه الحي مع ما ذكر من الاحتمال والجواب ان ذلك ما اهداه من
عمل البر الى الميت وقد صار ملكا له فلا يبطل بردته فاعله بعد خروجه من ملكه
كخمر فاته التي يصرفها قبل الردة من عتق وكفارة بل لو حج عن معضوب ثم ارتد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بعد ذلك لزم المغصوب أن يقسم غرمه بحج عنه فانه لا يومن في المالك والمالك ذلك
على أن الفرق بين الحي والميت اذ الحي ليس يحتاج كحاجة الميت اذ يمكنه ان يباشر ذلك
العمل او نظره فعليه اكتساب الثواب بنفسه وسعيه بخلاف الميت وأيضا فانه يفضي
الى اتكال بعض الاحياء على بعض وهذه مفسدة كبيرة فان أرباب الاموال اذا فهموا
ذلك واستشعروا استأجروا من يفعل ذلك عنهم فتصير الطاعات معاوضات وذلك
يفضي الى اسقاط العبادات والنوافل وتصير ما تقرب به الى الله يتقرب به الى
الآدميين فيخرج عن الاخلاص فلا يحصل الثواب لواحد منهما ونحن نمنع من اخذ الاجرة
على كل قربة ونخطئها باخذ الاجرة عليها كالقضا والفتيا وتعليم العلم
والصلاة وقراءة القرآن وغيرها فلا يثبت الله عليها الا المخلص الذي اخلص العمل
لوجه الله تعالى فاذا فعله للاجرة لم يثب عليه الفاعل ولا المستأجر فلا يحسن
بحابس الشرع ان يحصل العبادات الخالصة له بعاملات يقصد بها المعاوضات
والاكتساب الدنيوية وفارق قضا الديون وضمانها فانها حقوق الآدميين
ينوب بعضهم فيها عن بعض فكذلك في الحياة وبعد الموت واما قولكم لو ساغ ذلك
لساغ اهداء نصف الثواب ورجعه الى الميت فالجواب من وجهين احدهما منع الملازمة
فانكم لم تذكروا عليها دليلا الا مجرد الدعوى الثاني التزام ذلك والقول به
نص عليه الامام احمد في رواية محمد بن يحيى الكحال ووجه هذا ان الثواب ملك
له فله ان يهديه جميعه وله ان يهدي بعضه يوضحه ان لو اهداه الى اربعة مثلا
تحصل لكل واحد منهم ربعه فاذا اهدى الربع وابقى الباقي جاز كما لو اهداه
الى غيره واما قولكم انه لو ساغ ذلك لساغ اهداء ثواب بعد ان يعمله لنفسه وقد قلتم

انه

انه لابد ان نوى حال الفعل اهداه الى الميت والا لم يصل فالجواب ان هذه
المسئلة غير منصوصة عن احمد ولا هذا الشرط في كلام المتقدمين من اصحابه وانما
ذكره المتاخرون كالقاضي واتباعه قالوا ان عمل اذا فعل طاعة من صلاة
وصيام وقراءة قرآن واهداها بان جعل ثوابها للمسلم فانه يصل اليه وينفعه
بشرط أن يقدم نية الهدية على الطاعة او يقارنها وقال ابو عبد الله بن حمدان
في رعايته ومن تطوع بقربة من صدقة وصلاة وصيام وحج وعمرة وقراءة وغير
وغير ذلك من عبادة بدنية تدخلها النيابة او عبادة مالية وجعل ثوابها او
بعضه لميت مسلم حتى للنبي صلى الله عليه وسلم ودعا له واستغفر له او قضى
ما عليه من حق شرعي او واجب تدخله النيابة نفعه ذلك ووصل اليه اجره
وقال ان نواه حال فعله او قبله وصل اليه والا فلا وسبب المسئلة ان شرط حصول
الثواب ان يقع لمن اهدي له اولا ويجوز ان يقع للعامل ثم ينتقل عنه الى غيره
فمن شرطه ان سوى قبل الفعل او الفراغ منه او قبل رضوله قالوا او لم ينوه وقع
الثواب للعامل فلا ينتقل انتقاله الى غيره فان الثواب يترتب على العمل ترتب
الاثر على مؤثره ولهذا لو اعتق عبدا عن نفسه كان له ولاؤه فلو نقل ولاءه الى
غيره بعد العتق لم ينتقل بخلاف ما لو اعتقه عن الغير فان ولاءه يكون للمعتق
عنه وكذلك لو ادى دينا عن نفسه ثم اراد بعد الاداء ان يجعله عن غيره لم
يكن له ذلك وكذلك لو حج او صام او صلى لنفسه ثم اراد بعد ذلك ان
يجعل ذلك عن غيره لم يملك ذلك ويؤيد هذا ان الذين سالوا النبي صلى
الله عليه وسلم عن ذلك لم يسالوه عن اهداء ثواب العمل بعده وانما سالوه

عما يفعلونه عن الميت فلك سعد أيفيدها ان تصدقت عنها ولم تقل ان اهدي لها ثواب ما تصدقت به عن نفسي وكذلك قول المرأة أفاحج عنها وقول الاخر افاحج عن ابي فاجتمعوا بالاذن في الفعل عن الميت لا باهداء ثواب ما عملوه لانفسهم الى موتاهم وهذا لا يعرف انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه قط ولا يعرف عن أحد من الصحابة انه فعله أو قال الله تعالى اجعل لفلان ثواب عملي المتقدم او ثوابات ما عملته لنفسي فهذا بترك الاشتراط وهو واقعه ومن لم يشرط ذلك يقول الثواب للعامل فاذا تبرع به وأهداه الى غيره كان بمنزلة ما يهديه واما قولكم لو ساغ الاهداء لساغ اهداء ثواب الواجبات التي تجب على الحي فالجواب ان هذا الالزام محال على اصل من يشرط في الوصول نية الفعل عن الميت فان الواجب لا يصح ان يفعله عن الغير فان هذا واجب على الفاعل يجب عليه ان ينوي به القربة الى الله واما من لم يشرط نية الفعل عن الغير فهل يسوغ عنده ان يجعل للميت ثواب فرض من فروضه فيه وجهان قال ابو عبد الله بن حمدان وقبل ان جعل له ثواب فرض من صلاة أو صوم او غيرهما جاز واجزأ فاعله فلت وقد نقل عن جماعة انهم جعلوا ثواب اعمالهم من فرض ونفل للمسلمين وقالوا نلقى الله بالفقر والافلاس المجرد والشريعة لا تمنع من ذلك فالاجر ملك للعامل فان شاء ان يجعله لغيره فلا حجر عليه في ذلك والله اعلم واما قولكم ان المكلف انما يختار وانما لا يقبل البدل اذا المقصود منها عن المكلف العامل الى اجيره فالجواب عنه ان ذلك لا يمنع اذن الشارع للمسلم ان ينفع اخاه بشيء من عمله له هذا من تمام احسان الرب وحمده لعباده ومن تمام هذه الشريعة التي شرعها لهم التي مبناها على العدل والاحسان والتعاون والرب

فعال

تعالى أقام ملائكة وحملة عرشه يدعون لعباده المؤمنين ويستغفرون لهم ويسألونه أن يقيهم السيئات وأمر خواتم البشر ان يستغفروا للمؤمنين والمؤمنات ويقيم يوم القيامة مقاما محمودا يشفع في القيامة من اتباعه واهل سنته وقدره تعالى ان يصلي على أصحابه في حياتهم وبعد مماتهم وكان يقوم على قبورهم فيدعو لهم وقد استفرت الشريعة على ان المأثم الذي على الجميع بتركه فروض الكفايات يسقط اذا فعله من يحصل المقصود بفعله ولو واحد واسقاط سبحانه الانتهار وحرمة الجلود في القبر ضمان الحي دون الميت واداءه عنه وان كان ذلك امتحانا في حق المكلف وأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الحج والصيام عن الميت وان كان الوجوب امتحانا في حقه واسقط عن المأمور بسجود السهو بصحة صلاة الامام وحملها من السهو وقراءة الفاتحة تحمل الامام عنها فهو يتحمل عن المأموم سهوه وقراءته وسترته قراءة الامام وسترته قراءة لمن خلفه وسترة له وهل الاحسان الى المكلف باهداء الثواب اليه الا باختيار الرب تعالى والله يحب المحسنين والخلق عيال الله فاحبهم اليه انفعهم لعياله فاذا كان سبحانه يحب من ينفع عياله بشربة ماء وبذل لبن وكسرة خبز فكيف من ينفعهم في حال ضعفهم وفقرهم وانقطاع عملهم وحاجتهم الى شيء يهدى اليهم احوج ما كانوا اليه فاحب الخلق الى الله من ينفع عياله في هذه الحال وهذا آثار عن بعض السلف انه قال من قال كل يوم سبحان ربي العظيم وبحمده مرة رب اغفر لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات حصل له من الاجر بعدد كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ولا يستبعد هذا فانه اذا استغفر لاخوانه فقد احسن اليهم والله لا يضيع اجر المحسنين واما قولكم انه لو نفعه عمل

غيره لينفعه توبته عنه وإسلامه فهذه الشبهة يورد عليك صورتين صورة تلازم
يدعى فيها اللزوم بين الأمرين شرعيتين اتفاقا اللازم ينتفي فلزوم وصورتها هكذا
لو نفعه عمل الخير لنفعه إسلامه وتوبته عنه لكن لا ينفعه ذلك فلا ينفعه والصورة
الثانية أن يقال لا ينفع بإسلام الغير وتوبته عنه فلا ينفع بصلاته وصيامه
وقد اتفق عندكم أن هذا اللازم والملزوم باطل قطعا أما أولا فلأنه قياس
مصادم لما تظاهرت به النصوص وأجمعت عليه الأمة وأما ثانيا فلأنه جمع بين
ما فرق الله بينه فإن الله سبحانه فرق بين إسلام المرء عن غيره وبين صدقته وحجه
عنه وعتقه عنه فالقياس المستوى منهما من جنس قياس الذين قالوا الميتة على المذكى
والربا على البيع وأما بالثاني فإن الله سبحانه جعل الإسلام سببا لنفع المسلمين بعضهم
بعضا في الحياة وبعد الموت فإذا الرمات بسبب انتفاع بعمل المسلمين ليحصل
له ذلك النفع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر وإن أباك لو كان أقر الله حين
فصمت أو تصدقت عنه ينفعه ذلك وهذا كما جعل سبحانه الإسلام سببا لانتفاع
العبد بما عمل من خير فإذا فاته هذا السبب لم ينفعه خير عمله ولم يقبل منه كما جعل
الإخلاص والمتابعة سببا لقبول الأعمال فإذا فقد لم يقبل الأعمال وكما
جعل الوضوء وسائر شروط الصلاة سببا لصحتها فإذا فقدت فقدت الصحة وكذا
شأن سائر الأسباب مع مسبباتها الشرعية والعقلية والجعلية فمن سوى بين حالتي
وجود السبب وعدمه فهو مبطل ونظير هذا أن المعتزلي يقول لو قبلت الشفاعة
في العصاة لقبلت في المشركين ولو خرج أهل الكبائر من المؤمنين لخرج الكفار منها
وأمثال ذلك من الأقيسة التي هي من نجاسات أصحابها ورجيع أفواههم وبالجملة

فالأول

فالأولى بأهل العلم الإعراض عن الاشتغال بدفع هذه الهذيانات لولا أنها قد
تروج واضحى الأعمال والتحف التي بين الناس وأما تولكم العبادات نوع تدخله النيابة
فتصل ثواب أهدائه إلى الميت ونوع لا تدخله النيابة فلا يصل ثوابه فهذا هو بعين
المذهب والدعوى فكيف يجوز لمن أنكر هذا الفرق فاك أن يستدل على ما ادعى
اعتبار ذلك عليه حتى يحتج المصير إليه وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم الصوم عن
الميت مع أن الصوم لا تدخله النيابة وشرع للأمة أن يتوب بعضهم عن بعض في أداء
فرض الكفاية فإذا فعله واحد نابت عن الباقين في فعله وسقط عنهم المأثم وشرع لتجهيز
الطفل الذي لا يثبت عنه في الإحرام وأفعال المناسك وحكم له بالإحرام بفعل
نائبه وقد قال أبو حنيفة يجزم الرقيق عن المعتق عليه بجعلوا الإحرام رقيقه بمنزلة
إحرامه وجعل الشارع إسلام الأبوين بمنزلة إسلام أحدهما وكذلك إسلام السابي
والمالك على القول المنصور فقد رأيت كيف عدت هذه الشريعة الكاملة أفعال
البر من فاعليها على غيرهم فكيف يليق بها أن يحجر على العباد أن ينفع والديه وأخاه
وأخواته من المسلمين إذا وافق حاجاتهم شيء من الخير والبر بفعله ويجعل ثوابه لهم
وكيف يحجر العبد واسعا أو يحجر على من لم يحجر عليه الشارع في ثواب عمله أن يصرف
بعضه ما شاء إلى من شاء من المسلمين والذي أوصل ثواب الحج والصدقة والعتق هو بعينه
الذي أوصل ثواب الصيام والصلاة والقراءة والاعتكاف وهو إسلام المهدي
اليه ونزع المهدي وإحسانه وعدم حجر الشارع عليه في الإحسان إليه بكل طريق وقد تواطأت رؤيا المؤمنين وتواترت أخبار الأموات
بحصول ما يهدونه البهم من قراءة وصلاة وصدقة وحج وغيره ولو ذكرنا من

حكى لنا من أهل عصرنا وما بلغنا عن أحد ممن بلغنا عنه رد ذلك حدثنا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
أرى رؤياكم قد تواطأت على أنها في العشر الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في العشر الأواخر فكما
روينا وهذا مما يعتبر تواطئ رواياتهم وأما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قوله مرتين وعليه صيام صام عنه وليه بتلك الوجوه التي ذكرنا ها نحن
نتبع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتخير موافقه للصحيح من تلك
الوجوه وأما الباطل منها فكفينا بطلانه من معارضة الحديث الصحيح الصريح التي
لا تعرف له ولا سبيل إلى مقابلته إلا بالتسليم والطاعة والانقياد والقبول وليس
لنا بعده إلا الحيرة بل الحيرة كل الحيرة في التسليم له والقبول به ولو خالفه من
من المشرق والمغرب فأما قول من رد به يقول مالك في موطأه لا يصوم أحد عن أحد
فما نكر يقولون بل نرد قول هذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأي
القولين أحرى بالصواب وأحسن رداً وأما قوله وهو أمر مجمع عليه عندنا فالاختلاف
فيه فمالك رحمه الله لم يحك إجماع الأمة في شرق الأرض وغربها وإنما حكى
قول أهل المدينة فيما بلغه ولم يبلغه خلاف فيما بينهم وعدم اطلاعه رحمه
الله على الخلاف في ذلك لا يكون مسقطاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل لو اجتمع عليه أهل المدينة كلهم لكان الأخذ بالحديث المعصوم أولى من الأخذ
بقول أهل المدينة الذين لم يضمن لنا العصمة في قولهم دون الأمة ولم يجعل الله
ورسوله أقوالهم حجة يجب الرد عند التنازع إليها قال تعالى فإن تنازعتم
في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن
تأويلا وإن كان مالك وأهل المدينة قد قالوا لا يصوم أحد عن أحد فقد روي

الحكم عن عيينة وسلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه أفتى
في قضاء رمضان يطعم عنه وفي النذر يصام عنه وهذا مذهب أحمد وكثير من
أهل الحديث وهو قول أبي عبيدة وقال أبو ثور يصام عن النذر وغيره وقال
الحسن بن صالح في النذر يصوم عنه وليه وأما قولكم إن ابن عباس هو روى حديث
الصوم عن الميت وقد قال لا يصوم أحد عن أحد فغاية هذا أن يكون الصحابي قد
أفتى بخلاف ما رواه وهذا لا يقدح في روايته فإن رواته معصومة وفتواه
غير معصومة ويجوز أن يكون نسي الحديث أو تأوله أو اعتقد له معارضاً راجحاً في
ظنه أو لغير ذلك من الأسباب على أن متوى ابن عباس غير معارض للحديث فإنه أفتى
في رمضان أنه لا يصوم أحد عن أحد وأفتى في النذر أنه يصام عنه وليس هذا
بخلاف لروايته بل حمل الحديث على النذر أثر حديث من مات وعليه صيام صام
عنه وليه هو ثابت من رواية عائشة فهب أن ابن عباس خالفه فكان ماذا بل خلاف
ابن عباس لا يقدح في رواية أم المؤمنين بل يرد قول ابن عباس برواية عائشة
أولى من رد روايتها بقوله وأيضا فإن ابن عباس قد اختلف عنه في ذلك وعنه
روايتان فليس إسقاط الحديث للرواية المخالفة له أولى من إسقاطها بالرواية
الأخرى وبالجملة فأما قولكم إن الحديث مختلف في إسناده فكلام مجازف لا
يقبل قوله فالحديث صحيح ثابت متفق على صحته رواه صاحبا الصحيح ولم يختلف
في إسناده قال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات
وعليه صيام صام عنه وليه وصححه الإمام أحمد وذهب إليه وعلق الشافعي
القول به على صحته قال وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصوم

عن الميت شيء فإن كان ثابتا يصح عنه كما صح عنه وقد ثبت بلا شك فهو مذهب الشافعي
كذلك قال غير واحد من ائمة اصحابه قال البيهقي بعد حكايته هذا اللفظ عن الشافعي
قد ثبت جواز القضاء عن الميت برواية سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة
عن ابن عباس وفي رواية اكثرهم ان امراة سالت فاشبه ان تكون غير قصة ابن
سعد وفي رواية بعضهم صومي عن امك وسيأتي تقرير ذلك عند الجواب عن
كلام من رحمه الله قولكم انه يعارض نص القرآن وهو قوله وان ليس للانسان
الا ما سعى اساءة ادب في اللفظ وخطا عظيم في المعنى وقد اعاذ الله رسوله
صلى الله عليه وسلم ان تعارض سنته لنصوص القرآن لتعاضدها وتؤيدها
والله ما ضيع التعصب ونصرة التقليد وقد تقدم من الكلام على الآية ما فيه
الكفاية وبينا انه لا تعارض بينهما ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوجه وانما يظن التعارض من سوء الفهم وهذه طريقة وخيمة ذميمة وهي
رد السنن الثابتة بما يفهم من ظاهر القرآن والعلم كل العلم بزلل الفهم على
القرآن فانها مشتقة منه وماخوذة عمن جاء به وهي بيان له لا انها مناقضة له
قولكم انه معارض بما رواه النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا
يصلي احد عن احد ولا يصوم احد عن احد ولكن يطعم عنه كل يوم مد من حنطة فخطا
قبيح فان النسائي رواه هكذا اخبرنا محمد بن عبد الاعلى حدثنا يزيد بن زريع حدثنا
خشاج الاحول حدثنا ايوب بن موسى عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال لا يصلي
احد عن احد ولا يصوم احد عن احد ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مد من حنطة
هكذا رواه قول ابن عباس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يعارض

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول ابن عباس ثم بقدر عليه مع ثبوت
الخلاف عن ابن عباس ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا الكلام
قط وكيف يقوله وقد ثبت عنه في الصحيحين انه قال من مات وعليه صيام
صام عنه وليه وكيف يقوله وقد قال في حديث بريدة الذي رواه مسلم
في صحيحه ان امراة قالت له ان امي ماتت وعليها صوم شهر قال صومي عن امك
واما قولكم انه معارض لحديث ابن عمر من مات وعليه صوم رمضان يطعم عنه
فمن هذا الغلط فانه حديث باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
البيهقي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم من مات وعليه صوم يطعم عنه لا يصح عنه ومحمد بن عبد الرحمن
كثير الوهم وانما رواه اصحاب نافع عن ابن عمر من قوله واما قولكم انه معارض
بالقياس الجلي على الصلاة والاسلام والتوبة فان احدا لا ينفعلها عن احد
فلعمر الله انه لقياس جلي البطلان والفساد لرد سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصحيحة الصريحة له وشهادتها ببطلانه وقد اوضحنا الفرق
بين قبول الاسلام عن الكافر بعد موته ومن انتفاع المسلم بما يهدى اليه
اخوه المسلم من ثواب صيام او صدقة او صلاة ولعمر الله ان الفرق بينهما
اوضح من ان يخفى وهل في القياس افسد من قياس انتفاع المرء المسلم بعد
موته بما يهدى اليه اخوه المسلم من ثواب عمله على قبول الاسلام عن الكافر
بعد موته او قبوله التوبة بعد موته واما كلام الشافعي رحمه الله
في تغليط راوي حديث ابن عباس ان نذر سعد كان صوما فقد اجاب عنه

أقضي الناس له وهو البيهقي وتذكر كلامه بلفظه قال في كتاب المعرفة بعد
أن حكى كلامه قد ثبت جواز القضاء عن الميت برواية سعد بن جبير ومجاهد وعطاء
وعكرمة عن ابن عباس وفي رواية اكثرهم ان امرأة سألت فأشبه أن يكون
غير قصة امر سعد وفي رواية بعضهم صومي عن أمك قال ويشهد له بالصحة
رواية عبد الله بن عطا المدني قال حدثني عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه
قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتته امرأة فقالت يا رسول الله
اني كنت تصدقت بوليدة على امي فماتت وبقيت الوليدة قال وقد وجب
أجرك ورجعت اليك في الميراث قالت فانها ماتت وعليها صوم شهر قال
صومي عن امك قالت وانها ماتت ولم تحج قال فحجي عن امك رواه مسلم في
صحيحه من اوجه عن عبد الله بن عطا انتهى قلت وقد روى أبو بكر بن
ابي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان امي ماتت وعليها صوم شهر افأقضيه عنها قال فدين الله أحق ان يقضى
ورواه ابن ابي خيثمة حدثنا مصعب بن عمرو حدثنا زائدة عن الاعمش وذكره
فهذا غير حديث ام سعد اسنادا ومتنا فان قصة أم سعد رواها مالك
عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ان سعد بن عبادة
استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان امي ماتت وعليها صوم نذر
فقال النبي صلى الله عليه وسلم افضه عنها وهكذا اخرجاه في الصحيحين فثبت
ان هذا هو المحفوظ في الحديث انه نذر مطلق لم يسم فهل يكون هذا في حديث

الاعمش

الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عنه على أن ترك استفصاله النبي صلى
الله عليه وسلم لسعد في النذر هل كان صلاة أو صدقة أو صياما مع ان
النادر قد ينذر هذا وهذا وهذا وهذا يدل على انه لا فرق بين قضاء الصيام
والصلاة والا لقال له ما هو النذر فان النذر اذا انقسم الى قسمين يفترق
القضاء على الميت ونذر لا يقبله لكن بد من الاستفصال وقد ذكر أقوال
أهل العلم في الصوم عن الميت لئلا يتوهم في هذه المسئلة اجماع فخلافه
قال عبد الله بن عباس يصام عنه في النذر ويصام عنه في النذر ويطعم عنه
في قضاء رمضان وهذا مذهب الامام أحمد وقال أبو ثور يصام عنه النذر
والفرض وكذلك قال داود بن علي واصحابه يصام عنه نذرا كان أو فرضا وقال
الاوزاعي يجعل وليه مكان الصوم صدقة فان لم يجد صام عنه وهذا قول
سفيان الثوري في احدى الروايتين عنه وقال أبو عبد القاسم بن سلام
أيضا يصام عنه النذر ويطعم عنه الفرض وقال الحسن اذا كان عليه صيام
شهر فصام عنه ثلاثون رجلا يوما واحدا اجزأ واما قول من اراد يصل اليه
في الحج ثواب النفقة دون المناسك فدعوى مجردة بلا برهان والسنة ترد ها
فان النبي صلى الله عليه وسلم قال حج عن ابيك وقال للمرأة حجي عن امك فاخبر
ان الحج يفسد عن الميت ولم يقل ان الانفاق هو الذي ينفع عنه وكذلك قال
للذي سمعه يلبي عن شبرمة حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة ولما سأله
المرأة عن الطفل الذي معها هل لها حج قال نعم ولم يقل انما له ثواب
الانفاق وكل اجير ان لم يتمم عمله شيئا بل وليه ينوب عنه في افعاله

المناسك ثم ان النائب عن الميت قد لا ينوي شيئا في حجه غير نفقة مقامه فما الذي
يجعل ثواب نفقة مقامه للمحجوج عنه وهو لم ينفقها في الحج بل تلك نفقته
أقام اما رسا فرفهذا القول ترده السنة والقياس والله اعلم فان قيل فهل
تشرطون في وصول الثواب ان يهديه بلفظ ام يكفي في وصوله مجرد نية العامل
أن يهديه الى الغير قيل السنة لم تشرط اللفظ بالاهداء في حديث واحد بل اطلق
صلى الله عليه وسلم الفعل عن الغير كالصوم والحج والصدقة ولم يقل للفاعل
ذلك قل اللهم هذا عن فلان بن فلان والله سبحانه يعلم نية العبد وقصده بعمله
فان ذكره جاز وان ترك ذكره واكتفى بالنية والقصد وصل اليه ولا يحتاج ان
يقول اللهم اني صائم غدا عن فلان بن فلان وهذا والله اشرط من اشرط نية
الفعل عن الغير قبله ليكون واقعا بالقصد عن الميت فاما اذا فعله لنفسه ثم نوى
ان يجعل ثوابه للغير لم يصر للغير بمجرد النية ومما يوضح ذلك انه لو نوى مكانا
بنية ان يجعله مسجدا او مدرسة او سقاية ونحو ذلك صار وقفا بفعله مع
النية ولم يحتج الى لفظ وكذلك لو اعطى الفقير بالنية الزكاة سقطت عنه
الزكاة وان لم يتلفظ بها وكذلك لو ادى عن غيره دينا حيا كان او ميتا سقط
من ذمته وان لم يقل هذا عن فلان فان قيل هل يتصور عليه تعليق الاهداء بان
يقول اللهم ان كنت قبلت هذا العمل واثبتني عليه فاجعل ثوابه لفلان ام لا
قيل لا يتصور ذلك لفظا ولا قصدا بل لا فائدة في هذا الشرط فان الله سبحانه
انما يفعل هذا سواء شرطه او لم يشرطه فلو كان سبحانه يفعل غير هذا دون
الشرط كان في الشرط فائدة واما قوله اللهم ان كنت اثبتني على هذا فاجعل ثوابه

لفلان فهو بناء على ان الثواب يقع للعامل ثم ينتقل منه الى من اهدي له وليس كذلك
اذا نوى حال الفعل انه عن فلان وقع الثواب اولا عن المعمول له كما لو اعتق عبده
عن غيره لا نقول ان الولاء يقع للمعتق ثم ينتقل الى المعتق عنه هكذا هذا وبالله التوفيق
فان قيل فالافضل ان يهدى الى الميت قيل الافضل ما كان انفع في نفسه فالعتق عنه
والصدقة افضل من الصيام عنه والصدقة ما صادف حاجة من المتصدق
عليه وكانت دائمة مستمرة ومنه دوك الى صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة
سقي الماء وهذا في موضع يقل فيه الماء ويكثر فيه العطش والا فسقي الماء على الانهار
والقني لا يكون افضل من اطعام الطعام عند الحاجة وكذلك الاستغفار والدعاء
لهذا اذا كان صدق من الداعي واخلاص وتضرع وهو في موضع افضل من الصدقة
عنه كالصلاة على جنازته والوقوف للدعاء في قبره وبالجملة فافضل ما يهدى الى
الميت العتق والصدقة والاستغفار له والدعاء له والحج عنه واما قراءة القرآن
واهداؤها له تطوعا بغير اجرة فهذا يصل اليه كما يصل ثواب الحج والصوم
فان قيل هذا امر لم يكن معروفا في السلف ولا يمكن نقله عن واحد منهم مع شدة حرصهم
على الخير ولا ارشدهم اليه النبي صلى الله عليه وسلم وقد ارشدهم الى الدعاء
والاستغفار والصدقة والحج والصيام فلو كان ثواب القراءة يصل لارشدهم
اليه ولكانوا يفعلونه فالجواب ان ترد هذا السؤال ان كان معتبرا بوصول
ثواب الحج والصيام والدعاء والاستغفار فيقال لم لا هذه الحاجة الى البحث
وصول القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الاعمال وهل هذا الا فرق بين
المتماثلات وان لم يعترف بوصول تلك الاشياء الى الميت فهو محجوج بالكتاب والسنة

والاجماع وقواعد الشرع وأما السبب الذى لأجله لم يظهر ذلك للسلف فهو انهم
لم يكن لهم اوقاف على من يقرأ ويهدى الى الموتى ولا كانوا يعرفون ذلك البتة
ولا كانوا يقصدون القبر للقراءة عنده كما يفعله الناس اليوم ولا كان أحدهم
يشهد من حضره من الناس على ان ثواب هذه القراءة لفلان الميت بل ولا ثواب
هذه الصدقة والصوم ثم يقال لهذا القائل لو كلف أن ينقل عن واحد من
السلف انه قال اللهم ثواب هذا الصوم لفلان لعجزت فان القوم كانوا
أحرص على كتمان اعمال البر فلم يكونوا ليشهدوا على الله باتصال ثوابها الى
موتاهم فان قيل فرسول الله صلى الله عليه وسلم ارشدهم الى الصوم والحج
والصدقة دون القراءة قيل هو صلى الله عليه وسلم لم يتعبدهم بذلك بل خرج
ذلك منه مخرج الجواب لهم فهذا سأله عن الحج عن ميته فأذن له وهذا سأله
عن الصيام عنه فأذن له وهذا سأله عن الصدقة فأذن له ولم يحصر مما سوى
ذلك وأى فرق بين وصول ثواب الصوم الذى هو مجرد نية وإمساك وبين
وصول ثواب القراءة والذكر والفاتحة ان أحدا من السلف لم يفعل ذلك قائل
ما لا علم له به فان هذه شهادة على نفي ما لم يعلمه وما يدريه ان السلف كانوا يفعلون
ذلك ولا يشهدون من حضرهم عليه بل يكفي اطلاع علام الغيوب على نياتهم
ومقاصدهم لا سيما واللفظ نية الا هنا لا شرط كما تقدم وسر المسئلة
ان الثواب ملك الغائب فاذا تبرع به واهداه الى أخيه المسلم أوصله الله
اليه فما الذى خص من هذا ثواب قراءة القرآن وحجر على العبد أن يوصله الى
اخيه وهذا عمل النائب حتى المنكرين في سائر الاعصار والامصار من غير نكير

من العلماء فان قيل فما تقولون في الاهداء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل من
العلماء المتأخرين من استحبه ومنهم من لم يستحبه ورآه بدعة ان الصحابة لم يكونوا
يفعلونه وان النبي صلى الله عليه وسلم له اجر كل من عمل خيرا من أمته من غير ان
ينقص من أجر العامل شيء لانه هو الذى دله امته على كل خير وارشدهم
ودعاهم اليه ومن دعا الى هدى فله من الاجر مثل اجور من تبعه من غير
ان ينقص من أجورهم شيء وكل هدى وعلم فانما ناله امته على يديه فله مثل
أجر من اتبعه اهداه اليه ام لم يهده والله اعلم

مطلب ان الروح هل هو مخلوق او غير مخلوق

وهي هل الروح قديمة ام محدثة مخلوقة واذا كانت محدثة مخلوقة وهي من
أمر الله فكيف يكون امر الله محدثا مخلوقا وقد اخبر سبحانه انه نفخ في آدم من
روحه فهذه الاضافة اليه هل تدل على انها قديمة ام لا وما حقيقة هذه
الاضافة وقد اخبر عن آدم انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه فاضاف
اليه اليد والروح اليه اضافة واحدة فهذه مسئلة زلت فيها اقدام وضل فيها طوائف
من بني آدم وهدى الله اتباع رسوله فيها للحق المبين والصواب المستبين
فاجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على انها محدثة مخلوقة مصنوعة
مربوبة مدبرة هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه
عليهم كما يعلم بالاضطرار من دينهم ان العالم حادث وان معاد الابدان واقع وان
الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين
وتابعيهم وهم الفضلاء على ذلك من غير اختلاف منهم في حدوثها وانها حيث
سمعت ما سمعته ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم انها قديمة غير مخلوقة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واحتج بانها من امر الله وامره غير مخلوق وبان الله اضافها اليه كما اضاف اليه
علمه وكلامه وقدرته وسمعه وبصره ويده ووقف اخرون وقالوا لا نقول
مخلوقة ولا غير مخلوقة وسئل عن ذلك حافظ اصبهان ابو عبد الله بن مندة فقال
اما بعد فان سائلا سألني عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام نفس الخلق
وايد البصر وذكر ان اقواما تكلموا في الروح وزعموا انها غير مخلوقة وخص
بعضهم منها ارواح القدس وانها من ذات الله قال وانا اذكر اختلاف اقاويل
من تقدم من اهل العلم وما خالف اقاويلهم من الكتاب والاثر واقاويل الصحابة والتابعين
واهل العلم واذكر بعد ذلك وجوه الروح من الكتاب والاثر واوضحه
خطأ المتكلم في الروح بنص علم وان كلامهم يوافق قول جهم واصحابه
فنقول وبالله التوفيق ان الناس اختلفوا في معرفة الارواح
ومحلها من النفس فقال بعضهم الارواح كلها مخلوقة وهذا مذهب اهل
الجماعة والاثر واحتجت بقول النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود
مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والجنود المجندة
لا تكون الا مخلوقة وقال بعضهم الارواح من امر الله اخفى حقيقتها
وعلمها عن الخلق واحتج بقول الله تعالى قل الروح من امر ربي وقال
بعضهم الارواح نور من نور الله تعالى وحياة من حياته واحتج بقول النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره ثم ذكر الخلاف
في الارواح هل تموت ام لا وهل تعذب مع الاجساد في البرزخ وفي مستقرها
بعد الموت وهل هي النفس او غيرها وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه تأول

صنف من الزنادقة وصنف من الروافض ان روح آدم مانا وتولد النصارى في
روح عيسى بن مريم ومانا وله قوم من ان الروح انفصل من ذات الله فصار في
المؤمن فمنهم صنف من النصارى عيسى ومريم جميعا لان عيسى عندهم روح
من الله صار في مريم فهو غير مخلوق عندهم وقال صنف من الزنادقة وصنف
من الروافض ان روح آدم مثل ذلك وتأولوا قوله ونفخت فيه من روحي
وقوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه فزعموا ان روح آدم ليس بمخلوق كما تأول
من قال ان النور من الرب غير مخلوق قالوا ثم صار بعد آدم في الرض بعده
ثم هو في كل شيء ورضي الى ان صار في علي ثم في الحسن والحسين ثم في كل
وصي وامام فقد يعلم الامام كل شيء ولا يحتاج ان يتعلم من احد وهذا خلاف
بين المسلمين ان الارواح في آدم وفينا وعيسى ومن سواه من بني آدم كلها
مخلوقة لله خلقها وانشاها وكونها واخترعها ثم اضافها الى نفسه كما اضاف
اليه سائر خلقه قال تعالى وسخر لكم ما في السموات والارض جميعا منه وقال
شيخ الاسلام من تميمة روح الادمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الامة
وائمتها وسائر اهل السنة وقد حكى اجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد
من ائمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من اعلم
اهل زمانه بالاجماع والاختلاف وكذلك ابو محمد بن قتيبة قال في
كتاب اللفظ لما تكلم على الروح قال النسمة الارواح قال واجمع الناس
على ان الله هو خالق الجنة وبارئ النسمة اي خالق الروح وقال ابو اسحاق
رسالة فيما اجاب به في هذه المسئلة سألت رحمك الله عن الروح مخلوقة

هي أو غير مخلوقة قال وهذا مما لا يشك فيه من وفق للصواب ان الروح من الاشيا
المخلوقة وقد تكلم في هذه المسئلة طوائف من اكابر العلما والمشايخ وردوا على من
يزعم انها غير مخلوقة وصنف الحافظ ابو عبد الله بن منده في ذلك كتابا كبيرا
وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره والشيخ ابو سعيد الحداد وابو يعقوب
النهرجوري والقاضي ابو يعلى وقد نص على ذلك الائمة الكبار واستنكروا
على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم فكيف بروح غيره كما ذكره الامام احمد
فيما كتبه في محنه في الرد على الزنادقة والجهمية ثم ان الجهمي ادعى امرا فقال
انا لا اجد اية في كتاب الله مما تدل على ان القرآن مخلوق قول الله تعالى انما المسيح
عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وعيسى مخلوق قلنا
له ان الله تعالى منعك الفهم للقرآن ان عيسى تجري عليه الفاظ لا تجري على
القرآن لانه سماه مولودا وطفلا وصبيا غلاما ياكل ويشرب وهو مخاطب بالامر
والنهي تجري عليه الخطاب والوعد والوعيد ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية
ابرهيم فلا يحل لنا ان نقول في القرآن ما نقوله في عيسى فهل سمعتم الله يقول
في القرآن ما قاله في عيسى ولكن المعنى في قوله انما المسيح عيسى بن مريم رسول
الله وكلمته القاها الكلمة التي القاها الى مريم فاله لم يكن فكان عيسى بكن
وليس عيسى هو كن ولكن كان بكن من الله قوله وليس كن مخلوقا وكذبت
النصارى والجهمية على الله في عيسى وذلك ان الجهمية قالوا روح الله
وكلمته الا ان كلمته مخلوقة وقالت النصارى عيسى روح الله وكلمته من ذاته
كما يقال هذه الخرقة من هذا الثوب فلنا نحن ان عيسى بالكلمة كان وليس عيسى

هو الكلمة وانما الكلمة قول الله وقوله روح منه نقول من امره كان الروح فيه
بقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه نقول من امره وتفسير
روح الله انما معناها بكلمة الله خلقها كما تقول عبد الله وسما الله وارض
الله فقد صرح بان روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الارواح وقد اضاف
الله سبحانه اليه الروح الذي ارسله الى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل
ذلك على انه قديم غير مخلوق وقال تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها
بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول
ربك فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله وسنذكر ان شا الله
اقسام المضاف الى الله واين يكون المضاف صفة لله قديمة وان يكون مخلوقا
وضابط ذلك والذي يدل على خلقها وجوه احدها قول الله تعالى
الله خالق كل شي فهذا لفظ عام لا تخصيص فيه بوجه ولا يدخل في ذلك
صفاته فانها داخلة في مسمى اسمه فالله سبحانه هو الاله الموصوف بكمال
الكمال فعلمه وقدرته وحياته وارادته وسمعه وبصره وسائر صفاته داخلة
في مسمى اسمه ليس داخلا في الاشيا المخلوقة كما لا تدخل ذاته فيها وهو سبحانه
بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق ومعلوم قطعا ان الروح ليست هي
الله ولا صفة من صفاته وانما هي مصنوع من مصنوعاته فوقوع الخلق عليها
كوقوعه على الملايكة والجن والانس الوجه الثاني قوله تعالى لزكريا وقد خلقتك
من قبل ولم تك شيا وهذا الخطاب لروحه وبدنه ليس لبدنه فقط فان البدن
وحده لا يفهم ولا يخاطب ولا يعقل وانما الذي يفهم ويعقل ويخاطب هو

الروح الثالث قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون الرابع قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وهذا الاخبار انما تناول أرواحنا واجسادنا كما تقول الجمهور وانما ان يكون واقعا على الارواح قبل خلق الاجساد كما تقول من يزعم ذلك وعلى التقدير فهو صريح في خلق الارواح الخامس النصوص الدالة على انه سبحانه رب وخالق آبائنا الاولين وخالق كل شئ وهذه الربوبية شاملة للارواح والابدان فالارواح مربوبة له مملوكة كما ان الاجساد كذلك وكل مربوب مملوك فهو مخلوق السادس أول سورة في القرآن وهي الفاتحة تدل على أن الارواح مخلوقة من عدة أوجه احدها قوله الحمد لله رب العالمين والارواح من جملة العالم فهو ربها الثاني قوله اياك نعبد واياك نستعين والارواح عابدة له مستعينة به ولو كانت غير مخلوقة لكانت معبودة مستعانا الثالث انها فقيرة الى هداية فاطرها وربها يسأله ان يهديها وهذا شأن المربوب المملوك لا شأن القديم غير المخلوق الوجه السابع النصوص الدالة على ان الانسان عبد مجملة وليست عبودية واقعة على بدنه دون روحه بل عبودية الروح أصل وعبودية البدن تبع كما انه تبع لها في الاحكام وهي التي تحركه وتستعمله فهو تبع لها في العبودية الوجه الثامن قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فلو كان روحه قديمة لكان الانسان لم يزل شيئا مذكورا فانما هو انسان بروحه لا ببدنه فقط كما

قيل

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتفنى بالروح لا بالجسم انسان

الوجه السابع النصوص الدالة على ان الله سبحانه كان ولم يكن شئ غيره كما ثبت في

صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين ان اهل اليمن قالوا يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شئ فلم يكن مع الله ارواح ولا نور ولا ظلمة ولا سماوي ولا ارضي ولا جوهر ولا جسم ولا عرش ولا غير ذلك علوا كبيرا بل هو الاول وحده لا شئ غيره في اوليته بوجه من الوجوه الوجه العاشر النصوص الدالة على خلو الملائكة وهم ارواح مستغنية عن اجساد ينوبون بها وهم مخلوقون قبل خلق الانسان وروحه فاذا كان الملك الذي يحدث الارواح في جسد ابن آدم يحتاج مخلوقا فكيف يكون الروح الحادث محتاجة قديمة وهو الغالبون يظنون ان الملك يرسل الى الجنين بروح قديمة ازلية يحتاج فيها كما يرسل الرسول الى الانسان ليفهمه اياه وهذا ضلال وخطأ وانما يرسل الله سبحانه اليه الملك فينفخ فيه محدثا له الروح بواسطة تلك النفخة فتكون النفخة في سبب حصول الروح وحدوثها له كما كان الوطئ والانزال سببا لتكوين جسمه والغذاء سببا لنموه فمادة الروح من نفخة الملك ومادة الجسم من صلب الماء في الرجل وهذه مادة سماوية وهذه مادة ارضية فمن الناس من يغلب عليه المادة السماوية فتصير روحه علوية شريفة تناسب الملائكة ومنهم من تغلب عليه المادة الارضية فتصير روحه سفلية ترابية بهيمية تناسب الارواح السفلية فالملك اب لروحه والتراب اب لبدنه وجمع الوجه الحادي عشر حديث ابي هريرة الذي في صحيح البخاري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف

وما ناكرها منها اختلف والجنود المجندة لا تكون الا مخلوقة وهذا الحديث رواه عن النبي
صلى الله عليه وسلم ابو هريرة وعائشة ام المؤمنين وسلمان الفارسي وعبد الله بن
مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعلي بن ابي طالب وعمرو بن عبسة السلمي
الوجه الثاني عشر ان الروح توصف بالوفاء والقبض والامساك والارسال وهذا
شان المخلوق المحدث المربوب قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم
تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون والانفس هاهنا هي الارواح قطعا وفي الصحيحين من حديث
عبد الله بن قتادة الانصاري عن ابيه قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر ذات ليلة فقلنا يا رسول الله لو عرست بنا قال اني اخاف ان
تناموا عن الصلاة فقال بلال انا يا رسول الله قال فعرس القوم واضطجعوا
واسند بلال ظهره الى راحلته فغلبت عيناه فاستيقظ رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد طلع الشمس فقال يا بلال اين ما قلت قال والذي بعثك بالحق
ما الفيت على نومة مثلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قبض
ارواحكم حين شاء وردها حين شاء فهذه الروح المقبوضة هي النفس التي يتوفاها
الله حين موتها وفي منامها وهي التي يوفاها رسل الله سبحانه وهي التي جلس الملك
عند راس صاحبها ولخروجها من بدنه كرها وتكفنها بكفن من الجنة او النار وتصعد
بها الى السماء فتصلي عليها الملائكة او تلعنها وتوقف بين يدي ربها فيقضي فيها امره
ثم تعاد الى الارض فتدخل بين الميت واكفانه فتسال وتمتحن وتعاقب وتستريح وهي
التي تجعل في اجواف الطير تاكل وتشرب من الجنة وهي التي تعرض على النار

غدوا وعشيا وهي التي تؤمن وتكفر وتطيع وتعصي وهي الامارة بالسوء وهي اللوامة
وهي المطمئنة الى ربها وامره وذكره وهي التي تستعر وتتعذب وتسعد وتسعى وتحبس
وترسل وتصح وتستعر وتالم وتخاف وتحزن وما الاسماء مخلوق مبدع وصفات
مشاهد مخترع واحكام مربوب مدبر تصرف تحت مشيئة خالقه وفاطره وبارئه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند نومه اللهم انت خلقت نفسي
وانت توفاها لك مماتها ومحياها فان امسكتها فارحمها وان ارسلتها فاحفظها
بما تحفظ به عبادك الصالحين وهو تعالى بارئ النفوس كما هو بارئ الاجساد
وقال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب
من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير قيل من قبل ان نبرأ المصيبة وقيل
من قبل ان نبرأ الارض وقيل من قبل ان نبرأ الانفس المصيبة وهي اولى
لانه اقرب مذكور الى الضمير وقيل يرجع الى الملائة اي من قبل ان نبرأ المصيبة
والارض والانفس لكان اوجه وكيف كون مريد مستحيلة عن خالق محدث
مبدع لها وشواهد الفقر والحاجة والضرورة اعدل شواهد على انها
مخلوقة مربوبة مصنوعة وان وجود ذاتها وصفاتها وافعالها من ربها وفاطرها
ليس لها من نفسها الا العدم فهي لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا
حياة ولا نشورا لا تستطيع ان تاخذ من الخير الا ما اعطاها ولا تتقي من الشر
الا ما وقاها ولا تهتدي الى شيء من مصالح دنياها واخراها الا بهداه ولا
تصلح الا بتوفيقه لها واصلاحه اياها ولا تعلم الا ما علمها ولا تهتدي الا فيما
فهو الذي خلقها فسواها والهمها فجورها وتقواها فاخبر سبحانه انه خالقها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومبدعها وخالق أفعالها من البحور والقوى خلافا لمن يقول انها ليست مخلوقة
ولمن يقول انها وان كانت مخلوقة فليس خالقا لأفعالها بل هي التي تخلق أفعالها وهما
قولان لأهل الضلال والغي ومعلوم انها لو كانت قديمة غير مخلوقة لكانت مستحقة
بنفسها في وجودها وصفاتها وكمالها وهذا من ابطل الباطل فان فقرها
الى الله سبحانه في وجودها وكمالها وصلاحها هو من لوازم ذاتها ليس معللا
بعلة فانه امر ذاتي لها كالافتقار في غاربها وفاطرها ومبدعها من لوازم ذاته ليس
معللا بعلة وهو الغني بالذات وهي المتفردة اليه بالذات فلا تشاركه سبحانه في
غناه متشارك كما لا يشاركه في قدمه وربوبيته ولا هيته وملكه التام وكماله
المقدس متشارك وشواهد الخلق والحدوث على الارواح كشواهده على الابدان
قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد وهذا الخطاب
بالفقر اليه للارواح والابدان ليس هو للابدان فقط وهذا الغنى التام لله
وحده لا يشاركه فيه غيره وقد ارشد سبحانه عباده الى اوضح دليل على ذلك
بقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم
ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين اي
فلولا ان كنتم غير مملوكين ومقهورين ومربوبين ومجازين بأعمالكم ترد تلك الارواح
الى الابدان اذا وصلت الى هذا الموضع اولا تعلمون بذلك انها مدينة مملوكة
مربوبة محاسبة مجزية بعملها وكلما تقدم ذكره في هذا الجواب من احكام الروح
وشأنها ومستقرها بعد الموت فهو دليل على انها محدثة مخلوقة ومربوبة مدبرة
ليست بقديمة وهذا الامر اوضح من ان يساق الادلة عليه لولا ضلال من ضل

واعلم

واهل البدع ومن قصر فهمه في كتاب الله وسنة رسوله فاتي من سوء الفهم لا من
النص تكلموا في انفسهم وارواحهم بما دل على انهم اجهل الناس بها وكيف يمكن
من يكون له ادنى مسكة من عقل ان ينكر امرا يشهد به عليه نفسه وصفاته وافعاله
وجوارحه واعضاؤه بل يشهد به السموات والارض والخليقة فلله سبحانه
في كل ما سواه ايات تدل على انه مخلوق مربوب وانه خالقه وربه ومليكه
ولو جحد ذلك فيه شاهد عليه به واما ما احتج به هذه الطائفة فانما
هو اتباع من اتباع متشابه القرآن والعدول عن محكمه وهذا شأن كل ضال
مبتدع فمحكم القرآن من اوله الى اخره يدل على ان الله خالق الارواح ومبدعها
واما قوله تعالى قل الروح من امر ربي فمعلوم قطعا انه ليس المراد هاهنا
بالامر الطلب الذي هو انواع الكلام فكون مراده ان الروح كلامه الذي
يأمر به وانما المراد بالامر هاهنا المأمور وهو عرف مستعمل في لغة العرب
وفي القرآن منه كثير كقوله تعالى أتى امر الله اي مأمونه الذي قدره وقضاه
وقال له وكذلك قوله فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله
من شيء لما جاء امر ربك اي مأمونه الذي امر به من اهلاكهم وكذلك
قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر وكذلك لفظ الخلق يستعمل بمعنى المخلوق
بالرحمة كقوله للجنة انت رحمتي فليس قوله قل الروح من امر ربي مما يدل على
انها قديمة غير مخلوقة بوجه ما وقد قال بعض السلف في تفسيرها جرى
بأمر الله في اجساد الخلق وبقدرته استقر وهذا بنا على ان المراد بالروح
في الآية روح الانسان وفي ذلك خلاف من السلف والخلف واكثر

السلف بل كلهم على ان الروح المسؤل عنها فى الآية ليست ارواح بنى آدم بل هو
الروح الذى اخبر الله عنه فى كتابه انه يقوم يوم القيمة مع الملائكة وهو
ملك عظيم وقد ثبت فى الصحيح من حديث الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
قال بينا انا امشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرث المدينة وهو متكئ
على عسيب فمررنا على نفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال
بعضهم لا تسألوه عسى ان يخبر عنه بشئ تكرهونه وقال بعضهم نسأله فقام اليه
رجل فقال يا ابا القاسم ما الروح فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعلمت انه يوحى اليه فقمت فلما تجلى عنه قال ويسألونك عن الروح قل الروح
من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومعلوم انهم انما يسألونه عن امر لا يعرف
الا بالوحى وذلك هو الروح الذى عند الله لا يعلمه الناس واما ارواح
بنى آدم من الضأن وقد تكلم فيها طوائف من الناس من اهل الملل وغيرهم فلم
يكن لجوابه عنها من اعلام النبوة فان قيل فقد قال ابو الشيخ حدثنا الحسن بن
محمد بن ابراهيم انا ابراهيم بن الحكم عن ابيه عن السدى عن ابى مالك عن ابن عباس
قال بعث قريش عقبة بن ابى معيط وعبد الله بن امية بن المغيرة الى يهود
المدينة يسألونهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم انه قد خرج فينا رجل
يزعم انه نبى وليس على دينا ولا على دينكم فقالوا فمن يتبعه قالوا سفلتنا وضعفاؤنا
والعبد ومن لا خير فيه واما اشراف قومه فلم يتبعوه فقالوا انه قد اظل زمان
نبى يخرج وهو على ما يصفون من امر هذا الرجل فأتوه فسلوه عن ثلاث خصال
يأمركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبى صادق وان لم يخبركم بهن فهو كذاب سلوه

عن

عن الروح التى يخبر الله تعالى فى آدم فان قال لكم هى من عند الله فقولوا له كيف
يعذب الله فى النار شيئا هو منه فسأله جبريل عنها فأنزل الله عز وجل
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى يقول هو خلق من خلق الله اى
ليس هو من الله ثم ذكر ما فى الحديث قيل مثل هذا الاسناد لا يحتج به فانه لم
يفسر السدى عن ابى مالك وفى هذا القصة فى السؤال
من الصحاح والمسانيد كلها خالف سياق السدى وقد رواها الاعمش والمغيرة
ومنصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال مر النبى صلى الله عليه وسلم
على ملا من اليهود وانا امشى معه فسألوه عن الروح قال فسكت فظننت انه
يوحى اليه فنزلت ويسألونك عن الروح يعنى اليهود قل الروح من امر ربى
وما اوتيتم من العلم الا قليلا وكذلك هى فى قراءة عبد الله فقالوا لكلنا قد
مثله فى التوراة ان الروح من امر الله عز وجل رواه جرير عن عبد الحميد
وغيره عن المغيرة وروى يحيى بن زكريا بن ابى زائدة عن داود بن ابى هند عن
عكرمة عن ابن عباس قال اتت اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه عن
الروح فلم يجبهم النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فأنزل الله عز وجل ويسألونك
عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا يدل
على ضعف حديث السدى وان السؤال كان بمكة فان هذا الحديث وحدث ابن مسعود
صريح ان السؤال كان بمكة مباشره من اليهود ولو كان قد تقدم السؤال والجواب
بمكة لم تسكت النبى صلى الله عليه وسلم وبادر الى جوابهم بما تقدم من اعلام
الله له وما انزله عليه وقد اضطربت الروايات عن ابن عباس فى هذه الآية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أعظم اضطرابه فاما أن يكون من قبل الرواة او يكون اقواله قد اضطربت فيها وقد
ذكر ذلك وقد ذكر بإسناده رواية السدي عن ابي مالك عنه ورواية داود بن
ابي هند عن عكرمة عنه خالفهما وفي رواية داود بن ابي هند هذه اضطراب
فقال مسروق بن المرزبان وابراهيم بن ابي طالب عن يحيى بن زكريا عنه ان
اليهود اتت النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن نصر المروزي حدثنا اسحق
بن ابراهيم اما يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال قالت قريش
لليهود اعطونا شيئا نسأله عنه هذا الرجل فزلت ويسألونك عن الروح
الآية وهذا مخالف للرواية الاخرى عنه وحدث ابن مسعود بن عباس
رواية بالشك قال هشيم حدثنا ابو بشر عن مجاهد عن ابن عباس قال الروح
امر من امر الله عز وجل وخلق من خلق الله عز وجل وصور من صور بني
آدم وما نزل من السماء ملك الا ومعه واحد من الروح وهذا يدل على
انها غير الروح التي في ابن آدم وعنه رواية رابعة قال ابن مندة روى
عبد السلام بن حرب عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس ويسألونك
عن الروح قل الروح من امر ربي ثم ساق من طريق حصين عن عكرمة عن
ابن عباس انه كان لا يفسر اربعة اشياء الرمز والغسلين والروح وقوله
تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وعنه رواية
خامسة رواها جويبر عن الضحاك عنه ان اليهود سألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الروح قال الله قل الروح من امر ربي يعني خلقا من خلقي
وما اوتيتم من العلم الا قليلا يعني لو سألتم عن خلق انفسكم وعن مدخل

الطعام

الطعام والشراب ومخرجهما ما وصفت ذلك حق صفته وما اقدر ان اصفه
وعنه رواية سادسة روى عن عبد الغني بن سعيد حدثنا موسى بن عبد الرحمن
عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس
في قوله ويسألونك عن الروح وذلك ان قريشا اجمعت فقال بعضهم
لبعض والله ما كان محمد يكذب ولقد نشأنا منا بالصدق والامانة فارسلوا
جماعة الى اليهود فسألوهم عنه وكانوا مستبشرين به يكرمون ذكره ويدعون
نبوته ويرجون نصرته موقنين انه سيهاجر اليهم وكونوا لذلك انصارا
فسألوهم عنه فقالت لهم اليهود سلوه عن ثلاث سلوه عن الروح وذلك
انه ليس في التوراة قصته ولا تفسر الا ذكر امر الروح فان زعم ان الله تعالى
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وقد خلق بني عز وجل
والروح في القرآن على عدة اوجه احدها الوحي لقوله تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا وقوله يلقي الروح من امره على من يشاء من
عباده وسمى الروح روحا لما يحصل به من حياة القلوب والارواح كالماء
القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من يشاء من عباده المؤمنين قال
تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه الثالث جبريل
لقوله نزل به الروح الامين على قلبك وقال من كان عدوا لجبريل فانه نزله
على قلبك باذن الله وهو روح القدس قال تعالى فنزله روح القدس
الرابع الروح التي سئل عنها اليهود فاجيبوا بانها من امر الله وقد قيل
ان الروح المذكور في قوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن

ربتصر الحابس المسيح ابن مريم وقال تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته
ألقاها الى مريم وروح منه فاما ارواح بني ادم فلم يقع تسميتها في القرآن
الا بالنفس قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة وقال ولا اقسم بالنفس اللوامة
وقال ان النفس لامارة بالسوء وقال اخرجوا انفسكم وقال كل نفس ذائقة
الموت وقال ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها واما السنة فجاءت
بلفظ النفس والروح والمقصود ان كونها من امر الله لا يدل على قدمها وانها
غير مخلوقة واما اسناد الامر باضافتها اليه سبحانه بقوله ونفخ فيه من
روحي فينبغي ان تعلم ان المضاف الى الله نوعان صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم
والقدرة والكلام والبصر فهذه اضافة الى الموصوف بها فعله وكلامه
وارادته وقدرته وحياته صفات له غير مخلوقة وكذلك وجهه ويده
سبحانه والثاني اضافة اعيان منفصلة منه كالبيت والناقة والعبد والرسول
والروح فهذه اضافة مخلوق الى خالقه ومصنوع الى صانعه لكن هذه اضافة
تقتضي تخصيصا وتشريفا يتميز به المضاف اليه عن غيره كبيت الله وان
كانت البيوت كلها ملكا له وكذلك ناقة الله والنوق كلها ملكه وخلقه
لكن هذه الاضافة الى الاعيان تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف
الاضافة العائدة الى ربوبيته حيث تقتضي خلقه وايجاده فالاضافة العائدة
تقتضي الخلق والايجاد والخاصة تقتضي الاختيار والله يخلق ما يشاء ويختار
واضافة الروح اليه نظير اضافة خلقه كما قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار
واضافة الروح اليه من هذه الاضافة الخاصة لا من العامة ولا من باب

اضافة

اضافة الصفات فتأمل هذا الموضع فانه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها
من شاء الله من الناس فان قيل فما تقولون في قوله تعالى ونفخت فيه من روحنا
نفسه وهذا يقتضي المباشرة منه تعالى كما في قوله خلقت بيدي ولهذا فرق
بينهما في الذكر في الحديث الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم فانون آدم
فتقولون انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر
لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء ذكروا لآدم اربع خصائص اختص بها عن
غيره وان كانت الروح التي فيه انما هي من نفخة الملك لم يكن له خصيصة
بذلك وكان بمنزلة المسيح له ولسائر اولاده فان الروح حصلت فيهم من نفخة
الملك وقد قال فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فهو الذي سواه بيده
وهو الذي نفخ فيه من روحه فما وجه هذا الموضع هو الذي اوجب لهذه
الطائفة ان قالت هذه الروح وتوقف فيها اخرون ولم يفهموا مراد القرآن
فاما الروح المضافة الى الرب فهو روح مخلوقة اضافها الى نفسه اضافة
تخصيص وتشريف كما بيناه واما النفخ فقد قال تعالى في مريم والتي احصنت
فرجها فنفخنا فيها من روحنا وقد اخبر في مواضع اخر انه ارسل اليها الملك
فنفخ في روحها فكان النفخ مضافا الى الله امرا واذنا والى الرسول مباشرة
بقي ها هنا امران احدهما ان يقال فاذا كان النفخ حصل في مريم من جهة الملك
وهو الذي نفخ الارواح في سائر البشر فما وجه تسمية المسيح روح الله
واذا كان سائر الناس يحدث ارواحهم من هذه الروح فما خاصية المسيح
الثاني ان يقال فهل تعلق الروح بالذكر كان بواسطة نفخ هذه الروح هو

الذى نفخها فيه باذن الله كما نفخها فى مريم امر الرب تعالى هو الذى خلقها بنفسه كما
خلق يده فيل لعمر الله انهما سؤالان مبهمان فاما السؤال الاول فالجواب عنه
ان الروح الذى فيه مريم هو الروح المضاف الى الله الذى اختصه لنفسه
واضافه اليه وهو روح خلق من من سائر الارواح وليس بالملك الموكل بالنفخ
فى بطون الحوامل من المؤمنين والكفار فان الله سبحانه وكل بالرحم ملكا ينفخ فيه
الروح فى الجنين فكتب رزق المولود واجله وعمله وشقاوته وسعادته واما
هذا الروح المرسل الى مريم وهو روح الله الذى اصطفاه من الارواح لنفسه
فكان لمريم بمنزلة الاب لسائر النوع فان نفخه لما دخل فى فرجها كان ذلك
بمنزلة لقاح الذكر للانثى من غير ان يكون هناك وطى واما ما اختص به آدم
فهو انه لم يخلقه لخلقه المسيح من امر ولا لخلقه سائر النوع من اب وام ولا كان
الروح الذى نفخ الله فيه منه هو الملك الذى ينفخ الروح فى سائر اولاده
ولو لا كان كذلك لم يكن لآدم اختصاص وانما ذكر فى الحديث ما اختص به على
غيره وهو اربعة اشياء خلق الله له بيده ونفخ فيه من روحه وامر الملائكة
له وتعليمه اسماء كل شئ فمنفوخ منه من روحه يستلزم نفخا ومنفوخا منه
فالمنفوخ منه هو الروح المضاف الى الله فمنها سرت النفخة فى طينة آدم
والله تعالى هو الذى نفخ فى طينته من ذلك الروح هذا هو الذى دلت عليه
النص واما كون النفخ بمباشرته منه سبحانه كما خلقه بيده او انها حصلت بامره
كما حصلت فى مريم فهذا يحتاج الى دليل والفرق بين خلق الله له بيده ونفخه فيه
من روحه ان اليد غير مخلوقة والروح مخلوقة والخلق فعل من افعاله الرب

واما

واما النفخ فهل هو فعل من افعاله القديمة به او هو مفعول من مفعولاته القائمة
بغيره المنفصلة عنه هذا مما يحتاج الى دليل وهذا بخلاف النفخ فى فرج مريم
فانه مفعول من مفعولاته واضافه اليه لانه باذنه وامره فنفخ فى آدم هل
هو فعل له او مفعول وعلى كل تقدير فالروح التى نفخ فيها من آدم روح مخلوقة
غير قديمة وهى مادة روح آدم فروحه اولى ان تكون حادثة مخلوقة وهو
المراد وهى هل تقدم خلق الارواح على الاجساد او
تأخر خلقها عنه فهذه المسئلة للناس فيها قولان معروفان حكاهما شيخ
الاسلام ابن تيمية وغيره وممن ذهب الى تقدم خلقها محمد بن نصر المروزى
وابو محمد بن حزم وحكاه اجماعا ونحن نرجح الفرق وما هو الاولى منهما
بالصواب فالذى من ذهب الى تقدم خلقها على خلق البدن فقال الله تعالى
ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا قالوا
ثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الآية ان خلقنا متقدم على امر الله للملائكة
بالسجود لازم ومن المعلوم قطعا ان امر انما تعلق به بعد ذلك فعلم انها
الارواح قال ويدل عليه قوله سبحانه واذ اخذ ربك من بنى آدم من
ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى قالوا وهذا
الاستنطاق والاستشهاد انما كان للارواح لما لم يكن الابدان حينئذ موجودة
فى الموطأ ثنا مالك عن زيد بن ابى انيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن
بن زيد بن الخطاب اخبره عن مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب سئل
عن هذه الآية واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم فقال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عنها فقال خلق الله آدم ثم مسح ظهره
يمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل اهل النار يعملون
وخلقت هؤلاء للجنة ويعمل اهل الجنة يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق الرجل استعمله بعمل
اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة فقال الحاكم
هذا حديث على شرط مسلم ورواه الحاكم ايضا من طريق هشام بن زيد عن زيد بن
اسلم عن ابي صالح عن ابي هريرة مرفوعا لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من
ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة امثال الذر ثم جعل بين عيني كل
انسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يا رب قال
هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم اعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا
فقال هذا ابنك داود ويكون في اخر الامم قال كم جعلت له من العمر قال ستين
سنة قال يا رب زده من عمري اربعين سنة فقال الله تعالى اذا جاء وحكم
فلا تبدل فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال اولم يبق من عمري اربعين سنة
فقال اولم تجعلها لابنك داود فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته
وخطئ فخطئت ذريته قال هذا على شرط مسلم ورواه الترمذي وقال
هذا حديث حسن صحيح ورواه الامام احمد من حديث ابن عباس قال لما نزلت
آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من جحد آدم ورواه
محمد بن سعد ثم اكمل الله لآدم الف سنة ولداود مائة سنة وفي صحيح الحاكم
ايضا من حديث ابي جعفر الرازي حدثنا الربيع بن انس عن ابي العالية عن

ابي

انى تركب في قوله واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية قال
جمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن الى يوم القيمة فجعلهم ارواحا واستنطقهم
فتكلموا واخذ عليهم العهد والميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين قال فاني اشهد عليكم السموات
السبع والارضين السبع واشهد عليكم ابا كم آدم ان تقولوا يوم القيمة انا
كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بي شيئا فاني ارسل اليكم رسلي يذكرونكم عهدي
وميثاقي وانزل عليكم كتبي فقالوا نشهد انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك
ورفع لهم ابو هم آدم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك
فقال رب لو سويت بين عبادك فقال اني احببت ان اشكر ورأى فيهم الانبياء
مثل السرج وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وهو قوله فاقم وجهك للدين حنيفا
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وهو قوله هذا نذير من
النذر الاولى وقوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم
لفاسقين وكان روح عيسى من تلك الارواح التي اخذ عليها الميثاق فارسل
ذلك الروح الى مريم حين انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فدخل من فمها وهذا
اسناد صحيح وقال اسحق بن راهويه انا بقية بن الوليد قال اخبرني الزبيدي
محمد بن الوليد عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن ابي قتادة البصري عن ابيه
عن هشام بن حكيم بن حزام ان رجلا قال يا رسول الله ابتدئ الاعمال امر قد
مضى القضاء فقال ان الله لما خلق ذرية آدم من ظهره اشهدهم على انفسهم

ثم امامن يصرفى كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار فاهل الجنة ميسرون لعمل اهل
الجنة واهل النار ميسرون لعمل اهل النار قال اسحق وانا النظر انا ابو معشر
عن سعيد المقبرى ونافع مولى الزبير عن ابى هريرة قال لما اراد الله ان يخلق
ادم وذكر خلق ادم فقال يا آدم اى بنى احب اليك ان ارك ذريتك فيها
فقال بل من ربى وكلما بدى ربى من وسط يمينه واذا فيه ذريته كلهم ما هو
خالق الى يوم القيمة الصحيح على هيئته والمبتلى على هيئته والابتا على هيئاتهم
فقال الا اعصمهم كلهم فقال انى احب ان اشكر وذكر الحديث وقال محمد
بن نصر حدثنا محمد بن يحيى حدثنا سعيد بن ابى مريم انا الليث بن سعد حدثنى ابن
عجلان عن سعيد بن ابى سعيد المقبرى عن ابيه عن عبد الله بن سلام قال
خلق الله آدم ثم قال بيديه فقبضهما فقال اختر يا آدم فقال اخترت يمين
ربى وكلتا يدى ربك يمين مباركة واذا فيها ذريته فقال من هؤلاء يا رب
قال من قضيت ان اخلق من ذريتك من اهل الجنة الى ان تقوم الساعة قال
وانا اسحق بن جعفر بن عون نا هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن ابى هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره
كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيمة وحدثنا اسحق بن عمرو بن زرارة
انا اسمعيل عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله واذ
اخذ ربك من بنى آدم الآية قال مسح ربك ظهر آدم فخرج منه كل نسمة
هو خالقها الى يوم القيمة سماز هدا الذى ورا عرفه فاخذ ميثاقهم الست
بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا ورواه ابو حمزة الصيرفى ومجاهد وحبيب

بن ابى ثابت وابو صالح وغيرهم عن ابن عباس وقال اسحق اما حديث منصور
عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال فى هذه الاية قال اخذهم كما يوخذ
بالمشط من الرأس وحدثنا حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن سعيد
بن جبير عن ابن عباس قال ان الله ضرب منكب الايمن فخرج كل نفس مخلوقة
للجنة بيضا نقية فقال هؤلاء اهل الجنة ثم ضرب منكب الايسر فخرج كل
نفس مخلوقة للنار سودا فقال هؤلاء للنار ثم اخذ عهده على الايمان به
والمعرفة له ولا مره والتصديق وبامره من بنى آدم كلهم واشهدهم على
انفسهم فامنوا وصدقوا وعرفوا واقروا وذكر محمد بن نصر من تفسير السدى
عن ابى مالك وعن ابى صالح عن ابن عباس وعن مره الهمدانى عن ابن مسعود
وعن اناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله واذ اخذ ربك من
بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الا ترى ما اخرج الله
آدم من الجنة قبل ان تهبط من السما مسح صفحة آدم اليمن فاخرج منه ذرية
بيضا مثل اللؤلؤ وهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتى ومسح صفحة
ظهره اليسرى فاخرج منه ذرية سودا فقال ادخلوا النار ولا ابالى
فذلك حين يقول واصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال
الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التعبد
فقال هو والملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او
تقولوا انما اشرك ابآونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فليس احد من ولد آدم
الا وهو يعرف ان ربه الله ولا مشرك الا وهو يقول انا وجدنا آبانا على

انه ذلك قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم وقوله ولله اسلم من في
السموات والارض طوعا وكرها وقوله فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم
اجمعين قال يعني يوم اخذ عليهم الميثاق قال اسحق واما روح بن عبادة حدثنا
موسى بن عبيدة الربذي قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في هذه الآية
واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم الآية تقارنوا الذنب بالايمان الارواح
قبل ان تخلق اجسادها قال واما الفضل بن موسى عن عبد الملك عن عطاء
في هذه الآية قال اخرجوا من صلب آدم حين اخذ منهم الميثاق ثم ردوا
في صلبه قال اسحق واما علي بن الاجلح عن الضحاك قال ان الله اخرج من
ظهر آدم يوم خلقه ما هو كائن الى ان يقوم الساعة فاخرجهم مثل الذر فقال
الست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا
كنا عن هذا غافلين ثم قبض قبضة بيمينه فقال هؤلاء في الجنة وقبض اخرى
فقال هؤلاء في النار قال اسحق واما ابو عامر العقدي وابو نعيم الملائي
فالا حدثنا هشام بن سعد عن يحيى وليس بابن سعيد قال لابن المسيب ما تقول
في العزل قال ان شئت حدثتك حديثا هو حق ان الله سبحانه لما خلق آدم
ارآه كل نسمة هو خالقها من ذريته
الى يوم القيامة فمر حديثك ان يزيد فيهم شيئا او ينقص منهم فعل ولو كان لي سبحون ما بالت وفي نفسه ان عبيد عن الربيع بن انس عن
ابي العالية وله اسلم من في السموات والارض طوعا قال يوم اخذه الميثاق
قال اسحق فهذا كانوا في ذلك الوقت مقرين وذلك ان الله عز وجل اخبر

والمعبرة ٩

انه قال الست بربكم قالوا بلى والله لا خاطب الامر بفهم عنه الخطاب
ولا يجب الامر فهم السؤال فاجابتهم اياه بقولهم دليل على انهم قد فهموا
عن الله عز وجل وعقلوا عنه استشهادهم اياهم الست بربكم فاجابوه
من بعد عقل منهم للمخاطبة وفهم لها بان قالوا بلى فاقروا له بالربوبية
واحتجوا ايضا بما رواه ابو عبد الله بن منده انا محمد بن محمد بن صابر البحار ثنا
محمد بن المنذر بن سعيد الهروي ثنا جعفر بن محمد بن هرون المصيصي ثنا عبيد
بن السكن ثنا انطاه بن المنذر ثنا عطاء بن عجلان عن يونس بن حلس عن عمرو بن
عبسة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الارواح
العباد قبل العباد بالفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
فهذا بعض ما احتج به هؤلاء وقال الآخرون الكلام معكم في هاتين احدهما
ذكر الدليل على ان الارواح انما خلقت بعد خلق الابدان الثاني الجواب
عما استدللتم به فاما المقام الاول فقد قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانساني بعد خلق
اصله فاذا قبل هذا الا يفضي بقدم خلق الارواح على اجسادها وان خلقت
بعد خلق اب البشر كما دلت عليه الآثار المتقدمة قبل سنين ان شاء
الله تعالى ان الاثار المذكورة لا تدل على سبق الارواح للاجساد سبقا

مسبقة اثباتا وغايتها ان ذلك بعد صحتها وثبوتها على ان باريها وفاطرها سبحانه
صور النسم وقدر خلقها واجالها واعمالها واستخرج تلك الصور من مادتها ثم
اعادها اليها وقدر خروج كل فرد من افرادها في وقته المقدر له ولا يدل
على انها خلقت خلقا مستمرا ثم استمرت موجودة ما خلق كلها في موضع واحد
ثم رسل منها الى الابدان جملة بعد جملة كما قال ابو محمد بن حزم فمحال تحمل الآثار
ما لا طاقة لها به نعم الرب سبحانه وتعالى خلق منها جملة بعد جملة على الوجه
الذي سبق به القدر او لا فمجيء الخلق الخارجي مطابقا للتقدير السابق لشانه تعالى
في جميع مخلوقاته فانه قدرها مقدرا واجالا وصفاتا وهيئاتا ثم ابرزها الى
الوجود مطابقا لذلك التقدير الذي قدرها لا يزيد عليه ولا ينقص منه فالآثار
المذكورة انما تدل على اثبات القدر السابق وبعضها يدل على ان سبحانه استخرج
امثالهم وصورهم وميز اهل السعادة من اهل الشقاوة واما مخاطبتهم واستنطاقهم
واقرارهم له بالربوبية وشهادة بعضهم على انفسهم بالعبودية فمن قاله من السلف فانما هو
بناء منه على فهم الآية والآثار لم تدل على هذا بل دلت على خلافه واما حديث مالك
فقال ابو عمر هذا حديث منقطع مسلم بن يسار لم يلق عمر بن الخطاب وبينهما في
هذا الحديث نعيم بن ربيعة وهو ايضا مع هذا الاسناد لا يقوم به حجة ومسلم بن
يسار هذا مجهول قيل انه مدني وليس مسلم بن يسار البصري قال ابن ابي حسنة
قرأت على يحيى بن معين حديث مالك هذا عن زيد بن ابي انيسة فكتب بيده على مسلم
بن يسار لا يعرف ثم ساقه ابو عمر من طريق النسائي اخبرنا محمد بن وهب شا محمد بن
سلمة قال حدثني ابو عبد الرحمن قال حدثني زيد بن ابي انيسة عن عبد الرحمن بن

عبد

عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة ثم ساقه من طريقين بحوشا
احمد بن عبد الملك بن واقد شا محمد بن مسلمة عن ابي عبد الرحيم عن زيد بن
ابي انيسة عن عبد الحميد عن مسلم عن نعيم قال ابو عمر وزيادة من زاد في
هذا الحديث نعيم بن ربيعة ليس بحجة ان الذي لم يذكره احفظ وانما تقبل
الزيادة من الحافظ المتقن وجملة القول في هذا الحديث انه حديث ليس اسناده
بالقائم لان مسلم بن يسار ونعيم جميعا غير معلوم من حمل العلم ولكن معنى هذا
الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة كثيرة يطول ذكرها
من حديث عمر بن الخطاب وغيره وجماعة يطول ذكرهم ويراد ابي عمر الاحتجاج
الآن على القدر السابق فانما هي الى ما قبلها بعد ذلك فذكر حديث عبد
الله بن عمر في القدر وقال في آخره وساله رجل من تيزنداو جهينة فقال
يا رسول الله ففيم العمل فقال ان اهل الجنة ميسرون لعمل اهل الجنة واهل
النار ميسرون لعمل اهل النار وروى هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم
من طرق وممن روى هذا المعنى في القدر عن النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي
طالب وابي بن كعب وعبد الله بن عباس وابن عمر وابو هريرة وابو سعيد وابو
سريحة الغفاري وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعمران بن حصين وعائشة
وانس بن مالك وسراقة بن جعشم وابو موسى الاشعري وعبادة بن الصامت
واكثر احاديث هؤلاء لها طرق شتى وساق كثيرا منها باسناده واما حديث
ابي صالح عن ابي هريرة فانما دل على استخراج الذرية وتمثلهم في صورة الذر وكان
منهم جسد المشرق والمظلم وليس فيه انه سبحانه خلق الارواح قبل الاجساد

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقرها بوضع واجدم انه رسل كل روح من تلك الارواح عند خلوق حدوث
بدنها المدبر هو سبحانه بخص كل بدن بالروح التي قدر ان يكون له في ذلك
الوقت وفرغ من خلقها واودعها في مكان معطله عن بدنها حتى اذا احدث بدنها
ارسلها اليه من ذلك المكان ولا دليل من الاحاديث على ذلك لم نتأملها
واما حديث ابي بن كعب فليس هو عن النبي صلى الله عليه وسلم وغايته
لو صح ولم يصح من كلام ابي وهذا الاسناد روى شيا منكرة جدا موقوفه
وموقوفه وابو جعفر الرازي وهو ضعيف قال علي بن المديني كان يحدث
احيانا كان يخلط وقال ابن معين هو ثقة وقال ايضا ليس حديثه الا اند يخطئ
وقال الامام احمد ليس يقوى في الحديث وقال العلاء بن زياد ما رأيت
رزعة نعم كثيرا وقال ابن حبان يفرد بالمناكير عن المشاهير فلت ومما ينكر من
هذا الحديث قوله فكان روح عيسى من تلك الارواح التي اخذ عليها الميثاق
فارسل ذلك الروح الى مريم حين انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فدخل من فيها
ومعلوم ان الروح الذي ارسل الى مريم ليس هو روح المسيح بل ذلك الروح نفخ
فيها فحملت بالمسيح قال تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت
اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما
زكيا فروح المسيح لا يخاطبها عن يفسد بهذه المخاطبة قطعا وفي بعض طرق
حديث ابي جعفر هذا ان روح المسيح هو الذي خاطبها وهو الذي ارسل
اليها وها هنا اربع مقامات احدها ان الله سبحانه استخرج صورهم واشهدهم
فميز شقيهم من سعيدهم ومعافاهم من مبتلاهم والثاني انه اقام عليهم الحجة

جميعهم

بجمعهم واشهدهم بربوبيته واشهد عليهم ملائكته الثالث ان هذا ينبغي قوله
واذا اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم الرابع انه اقر تلك الارواح كلها
بعد اخراجها من مكانها وفرغ من خلقها وانما تجدد كل وقت ارسال جملة منها بعد
جملة الى ابدانها فاما المقام الاول فالاثار تظاهره به مرفوعة وموقوفة
واما المقام الثاني فانما اخذه من اخذه من المفسرين من الائمة وظنوا انه يفسرها
وهذا قول جمهور المفسرين من اهل الاثر قال ابو اسحق جائز ان يكون الله سبحانه
جعل الامثال الدر التي اخرجها فما تعقل به كما قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم وقد سخر مع داود الجبال تسبح معه والطير وقال ابن الانباري
مذهب اصحاب الحديث واكثر اهل العلم في هذه الاية ان الله سبحانه اخرج
ذرية ادم من صلبه وصلب اولاده وهم في صورة الذر فاخذ عليهم الميثاق
انه الها لهم وانهم مصنوعون فاعترفوا بذلك وقبلوا وذلك ان ركب فيهم عقولا
عرفوا بها ما عرض عليهم وكما جعل للجمل عقلا حين خوطب وكما فعل ذلك للبعير
لما سجد والنخلة حين سمعت وانقادت حين دعيت وقال الزجاج ليس من قول النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر ادم فاستخرج منه ذريته ومن الاية اخلاف
بحمد الله لان الله عز وجل اذا اخذ هم من ظهر ادم وهذا اخذهم من ظهور ذريته
لان ذرية ادم ذرية لذريته بعضهم من بعض وقوله ان يقولوا يوم القيامة انا كنا
عن هذا غافلين اي عن الميثاق والمأخوذ عليهم فاذا قالوا ذلك كانت الملائكة شهودا
عليهم بأخذ الميثاق قال وفي هذا دليل على النسخ الذي جاء به الرواية من ان
الله قال للملائكة اشهدوا فقالوا اشهدنا قال ونحو بعض اهل العلم ان الميثاق

انما اخذ على الارواح دون الاجساد لان الارواح هى التى تعقل وتفهم وعليها الثواب
وعليها العقاب والاجساد موات لا تفهم ولا تعقل قال وكان اسحق بن راهويه يذهب
الى هذا المعنى وذكر انه قول ابى هريرة قال اسحق واجمع اهل العلم انها الارواح
قبل الاجساد استنطقهم واشهدهم قال الحرجانى واحتجوا بقوله ولا تحسبن
الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون والاجساد قد بليت
وصلت فى الارض والارواح ترزق وتفرح وهى الى تلذ وتألم وتحزن وتفرح وتحزن
وتكره وبان ذلك فى الاحلام موجود ان الانسان يصيب واثر لذة الفرح والسر
الحزن باق فى نفسه مما يلقى الروح دون الجسد قال وحاصل الفائدة فى هذا
الفصل انه سبحانه قد اثبت الحجة على كل ممن بلغ وممن لم يبلغ بالميثاق الذى
اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التى تضمنها فى نفسه
وبالعالم وبالرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ بالمثلات المنقولة
اليهم اخبارها عن الله عز وجل لا يطالب احدا من الطاعة الا بقدر ما لزمته
من الحجة وترك فهم من القدرة واتاهم من الآلة ومن سبحانه ما هو عامل فى
البالغ الذى ادركوا الامر والنهى وحجب عنا علم قدرته فى غير البالغ الا انا
نعلم انه عدل لا يجور فى حكمه وحكيم لا تفاوت فى صنعه وقادر لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ونازع هو لا غيرهم فى
كون هذا نفسه الآية وقالوا معنى قوله واذ اخذ ربك بنى آدم من ظهورهم ذريتهم
اى اخرجهم واشاهدهم بعد ان كانوا نطفا فى اصلاب الآباء الى الدنيا على ترتيبهم
فى الوجود واشهدهم على انفسهم انه ربهم بما اظهر لهم من اياته وبراهينه التى

نضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم فليس منهم احد الا وفيه من صفة ربه ما يشهد
على انه بارئه وناقد الحكم فيه فلما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون
الى التصديق به كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على انفسهم بعمد كما قال
فى غير هذا الموضع شاهدين على انفسهم بالكفر يريد هم بمنزلة الشاهدين وان
لم يقولوا لا نكفر وكما تقول شهدت جوارحى بقولك يريد قد عرفت فكان جوارحى
لو استشهدت وفى وسعها ان تنطق لشهدت ومن هذا الباب ايضا شهد الله
انه لا اله الا هو يريد اعلم ومن فاسمه اعلامه وتبيينه ذلك شهادة من شهد
عند الحكام وغيرهم هذا كلام ابن الانبارى وزاد الحرجانى بيانا لهذا القول
فقال حاكيا عن اصحابه ان الله لما خلق الخلق وبعد علمه فيهم بما هو كائن بما لم يكن
بعد بما هو كائن كالكائن اذ علمه بكونه مانع من غير تكوينه سابق فى تجاوز العرية
ان يضع ما هو منتظر بما لم يقع بعد موقع الواقع لسبق علمه بوقوعه كما قال عز
وجل فى مواضع من القرآن كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب
النار ونادى اصحاب الاعراف قال فكون تأويل قوله واذ اخذ ربك من بنى آدم
من ظهورهم وكذلك قوله واشهدهم على انفسهم اى وشهدهم بما ركب فيهم من
العقل الذى يكون به التمييز ويجب به الثواب والعقاب وكل من ولد وبلغ الحنث
وعقل النفع والضر وميز الوعد والوعيد والثواب والعقاب سار كان الله تعالى
اخذ عليهم المشاورة فى التوحيد بما ركب فيهم من العقل واراه من الآيات والدليل
على حدوثه وانه لا يجوز ان يكون قد خلق نفسه واذ الزجز له فلا بد له من
خالق وهو غيره ليس كمثله شئ وليس من مخلوق بلغ هذا المبلغ ولم يتدع فيه

مانع من فهمه الا اذا جزء امر يفزع الى الله عز وجل حتى يرفع رأسه الى السماء وتشهد
له بصحة علمه منه بأنه خالقه تعالى فوقه واذا كان العقل الذى منه الفهم والافهام
مؤديا الى معرفة ما ذكرنا ودالا عليه فكل من بلغ هذا المبلغ فقد اخذ عليه
العهد والميثاق واد جعل فيه السبب والآلة الذى بهما يوجد العهد والميثاق
وجاز ان يقال له قد اقر واد عن واسلم كما قال عز وجل ولله يسجد من فى السموات
والارض طوعا وكرها واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث
عن الصبى حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى ينتبه وقوله عز وجل
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها
ثم قال وحملها الانسان والامانة ها هنا عهد وميثاق فامتناع السموات
والارض من حمل الامانة خلقها من العقل الذى يكون به الفهم والافهام وحمل
الانسان اياها امكان العقل فيه قال وللعرب فى هذا المعنى ضروب نظم منها
قوله ضمن العار لفعن لشوا بها ان العار لفعن لا مالى
والعار جعل مذكر انه قد صير لفيف وضمانه لهم انهم كانوا اذا حزبهم امر من
هزيمة او خوف لجأوا اليه فجعل كالضمار منه لهم ومنه قول النابغة

كأن رحالنا ليلا على رتب وحوران فيها منه خاشع متصائل

واحار والحولان جبالها وحوران الارض التى بها وقال هذا القائل ان فى
قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك
اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم دليلا على هذا التأويل لانه عز وجل اعلم
ان هذا الاخذ عليهم لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين والغفلة ها هنا

لا يخلوا من احد وجهين اما ان يكون عن تومر القيمة او عن اخذ الميثاق وما يومر
القيمة فلم يذكر الله سبحانه فى الكتاب انه اخذ عليهم عهدا او ميثاقا فمعرفة البعث
والنشور الحساب وانما ذكر معرفة فقط واما اخذ الميثاق والاشهاد على الاطفال والاسقاط
ان كان هذا العهد ما اخوذا عليهم كما قال المخالف لهم لم يبلغوا بعد اخذ الميثاق
عليهم فلم يبلغا ان يكون منهم غفلة عنه فيجحدونه وينكرونه فمتى يكون هذه الغفلة
منهم وهو عز وجل لا يواخذهم بما لم يكن منهم وذكرها لا يجوز ولا يكون بحال
وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فلا يخلوا
هذا الشرك الذى يواخذون به ان يكون منهم انفسهم او من آبائهم فان كان
منهم فلا يجوز ان يكون ذلك الا بعد البلوغ وثبوت الحجة عليهم اذ الطفل لا
يكون منه شرك ولا غيره وان كان من غيرهم فالامة مجمعة على ان لا وزر وازرة
وزر اخرى كما قال عز وجل فى الكتاب فليس هذا مخالفا لما روى عن النبى صلى
الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر آدم واخرج منه ذريته فاخذ عليهم الميثاق لانه
صلى الله عليه وسلم انما قصر قول الله فجاء مثل جامع نظمه توضع الماضى من اللفظ
توضع المستقبل قال وهذا اشبه القصة بقصة قوله واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه
فجعل سبحانه ما انزل على الانبياء من الكتاب والحكمة مشافا اخذ به ميثاقهم بعد صير
دالا على ذلك قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه ثم قال
للامم اقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من
الشاهدين فجعل سبحانه بلوغ الامم كتابه المنزل على انبيائهم حجة عليهم كاخذه

المشاق عليهم وجعل معرفتهم به اقرارا منهم قلت وشبه به ايضا قوله واذكروا
نعمة الله عليكم ومشاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا فهذا ميثاق الدين
اخذه عليهم بعد ارسال رسوله صلى الله عليه وسلم اليهم بالايمان به وتصديقه
ونظيره قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله ولا ينقضون الميثاق وقوله الم اعهد
اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدونى هذا
صراط مستقيم فهذه عهده اليهم على السنة رسوله ومثله قوله لبنى اسرائيل
واوفوا بعهدى اوف بعهدكم ومثله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا فهذا ميثاق
اخذ منهم بعد تعريفهم كما اخذ من امهم بعد اقرارهم وهذا الميثاق الذى لعن
سبحانه من نقضه وعاقبه فما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية
فانما عاقبهم بنقضهم الميثاق الذى اخذه عليهم على لسان رسله وقد صرح به
فى قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا
ما فيه لعلكم تتقون ولما كانت هذه الآية ونظيرها فى سورة مدنية خاطب
بالتذكير هذا الميثاق فيها اهل الكتاب فانه ميثاق اخذه عليهم بالايمان به ورسله
ولما كانت الآية الاعراف فى سورة مكية ذكر فيها الميثاق والاشهاد العام جميع
المكلفين بالاقرار بربوبيته ووحدانيته وبطلان الشرك وهو ميثاق واشهاد
تقوم به الحجة عليهم وينقطع به العذر وتحل به العقوبة وتسوغ مخالفته
الاهلاك فلا بد ان يكونوا ذاكرين له عارفين به وذلك ما فطرهم عليه من الاقرار

بربوبيته وانه ربهم وفاطرهم وانهم مخلوقون مربوبون ثم ارسل اليهم رسله
يذكرونهم ما فى فطرهم وعقولهم ويعرفونهم حقه عليهم وامره ونهيه ووعده
ووعيده ونظم الآية انما يدل على هذا بين وجوه متعددة احدها انه قال
واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ولم يقل من آدم ونوادم غير
آدم الثانى انه قال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وهذا يدل بعض من كل
او بدل اشتمال وهو احسن الثالث انه قال ذريتهم ولم يقل ذريته الرابع
انه قال واشهدهم على انفسهم اى جعلهم شاهدين على انفسهم فلا بد ان يكون
الشاهد ذاكرا لما شهد به وهو انما يذكر شهادته بعد خروجه الى هذه الدار
لا يذكر شهادة قبلها الخامس انه سبحانه بين ان حكمة هذا الاشهاد اقامة الحجة
عليهم لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وانما الحجة قامت عليهم بالرسل
والفطرة التى فطروا عليها كما قال رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على
الله حجة بعد الرسل السادس تذكيرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن
هذا غافلين ومعلوم انهم غافلون بالاخراج لهم من صلب آدم كلهم واشهادهم جميعا
ذلك الوقت فهذا لا يذكره احد منهم السابع قوله أو تقولوا انما اشرك آباؤنا
من قبل وكنا ذرية من بعدهم فذكر جملتين فى هذا التعريف والاشهاد احداهما
ان لا يدعوا الغفلة والثانية ان لا يدعوا التقليد فالغافل لا شعور له والمقلد متبع
فى تقليده لغيره الثامن قوله أفتهلكنا بما فعل المبطلون اى لو عذبهم بجحود
شركهم لقالوا ذلك وهو سبحانه انما اهلكهم لمخالفة رسله وتكذيبهم فلو اهلكهم
بتقليد آبائهم فى شركهم من غير اقامة الحجة عليهم بالرسل لاهلكهم بما فعل المبطلون

او اهلكهم بما فعلوه عن غير بينة بطلان ما كانوا عليه وقد اخبر سبحانه انه لم يكن ليهلك القرى بظلم واهلها غافلون وانما اهلكهم بعد الاعذار والانذار الرابع انه سبحانه اشهد كل واحد على نفسه انه ربه وخالقه واحتج عليهم بهذا الاشهاد في غير موضع من كتابه لقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون اى فكيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الاقرار منهم ان الله ربهم وخالقهم وهذا كثير في القرآن فهذه هي الحجة التي اشهدهم على انفسهم بضمونها وذكرهم بها برسله بقوله افي الله شك فاطر السموات والارض فان الله سبحانه انما ذكرهم على السنة رسوله بهذا الاقرار والمعرفة ولم يذكرهم قط باقرار سابق على الجاهم ولا اقام به عليهم حجة الخامس انه جعل هذه الآية وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها بحيث لا يخلو عنها المدلول وهذا شأن آيات الرب سبحانه وتعالى فانها اولة معه على مطلوب معين مستلزم للعلم به فقال تعالى وكذلك نفصل الآيات اى مثل هذا التفصيل والتبيين نفصل الآيات لعلهم يرجعون من الشرك الى التوحيد ومن الكفر الى الايمان وهذه الآيات التي فصلها هي التي بينها في كتابه من انواع مخلوقاته وهي آياته في نفوسهم وذواتهم وخلقهم وآياته في الافطار والنواحي مما يحدثه الرب تبارك وتعالى مما يدل على وجوده ووحدانيته وصدق رسله وعلى المعاد والقيامة ومن اجلها ما اشهد به كل احد على نفسه من انه ربه وخالقه ومبدعه وانه مربوب مصنوع مخلوق حادث بعد ان لم يكن وممتنع ان يكون حدث بلا محدث او يكون هو المحدث لنفسه فلا بد من موجد اوجده ليس هو كمثله وهذا الاقرار والشهادة فطرة فطر الله عليها

ليست مكتسبة وهذه الآية وهي قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم مطابقة لقوله النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة ولقوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه ومن المفسرين من لم يذكر الا هذا القول فقط كالزمخشري ومنهم من لم يذكر الا القول الاول فقط وبعضهم من حكى القولين كابن الجوزي والواحدي والماوردي وغيرهم قال الحسن بن يحيى الجرجاني فان اعترض معترض في هذا الفصل بحديث روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله مسح ظهر ادم فاخرج منه ذريته واخذ عليهم العهد ثم ردهم في ظهره وقال ان هذا مانع من جواز التاويل الذي ذهب اليه لامتناع رد هم في الظهر ان كان اخذ المثاق عليهم بعد البلوغ وتمام العقل قيل له ان معنى ثم رد هم في ظهره ثم رد هم في ظهره كما قلنا ان معنى واذ اخذ ربك من بني آدم ما اخذ ربك فكون معناه ثم يرد هم في ظهره يوافقهم لانهم اذا ماتوا ردوا الى الارض بالدفن وادم خلق منها ورد فيها فاذا ردوا جميعا فقد ردوا في ادم وفي ظهره اذ كان ادم خلق منها وفيها رد وبعض الشيء من الشيء وفيما ذهبنا اليه من تاويل هذا الحديث على ظاهره تفاوت منه وبين ما جاء به القرآن في هذا الى ان ترد تاويله الى ما ذكرنا لانه عز وجل قال واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ولم يذكر ادم في البعض انما هو هاهنا مضاف اليه لتعريف ذريته انهم منه واولاده وفي الحديث انه مسح ظهر ادم فلا يمكن رد ما جاء في الحديث الى الاتفاق الا بالتاويل الذي ذكرناه وقال الجرجاني وانا

أقول ونحن الما روى في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذهب اليه
اهل العلم من السلف الصالح اميل ولد اقبل وبه انس والله ولي التوفيق لما هو
أولى وأهدى على ان بعض اصحابنا من اهل السنة قد ذكر في الرد على هذا القائل
معنى محتمل ويسوغ في النظم الجاري ويجاز العربية يشهد له وامكان من غير تعسف
ولا استكراه وهو ان يكون قوله واذ اخذ ربك بني ادم مبتدا خبره من الله
عز وجل عما كان منه في اخذ العهد عليهم واذ تقتضي جوابا يجعل جوابه قوله قالوا
بلى وانقطع هذا الخبر تمام بر قصته ثم ابتدا عز وجل خبرا آخر كما يقوله المشركون
يوم القيمة فقال شهدنا بمعنى نشهد كما قال الحطيئة

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ان الوليد أحق بالعذر

بمعنى نشهد الحطيئة بقوله تعالى نشهد انكم تقولون يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين اي عما هو قد من الحساب والمناقشة والمؤاخذة بالكفر ثم اضاف اليه خبرا
آخر فقال او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم اي انهم اشركوا وحملونا على مذاهبهم في الشرك فنحن
حاذينا جرينا على مذاهبهم واقتدينا بهم ولا ذنب لنا اذ كنا مقتدين بدل على ذلك
قولهم افتهلكنا بما فعل المبطلون اي حملهم آباءنا على الشرك فكون القصة
الاولى خبرا عن جميع المخلوقين باخذ الميثاق عليهم والقصة الثانية خبرا عما
تقوله المشركون يوم القيمة من الاعتذار وقول فما ادعاه المخالف انه تفاوت
بين الكلام والخبر لاختلاف الفاظهما فهما في لا يجب قوله لما لتظاهر والعصر

الى

الى يدها المخالف بعينه فقال ان الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
مسح ظهر آدم افاد زيادة خبر كان في القصة الى ذكر الله في الكتاب بعضها ولم
يذكرها كلها ولو اخبر صلى الله عليه وسلم سوى هذه الزيادة التي اخبر بها
لما عسى أن يكون هو كان في ذلك الوقت الذي اخذ منه العهد مما لم يضمنه الله
كتابه لما كان في ذلك خلاف ولا تفاوت بل كان زيادة في الفائدة وكذلك
الالفاظ اذا اختلفت وكان مرجعها الى امر واحد لم يوجب ذلك تناقضا كما
قال عز وجل في تارة في خلق آدم ذكر مرة انه خلق من تراب ومرة انه خلق من
حمإ مسنون ومرة من طين لازب ومرة من صلصال كالفخار وهذه الالفاظ
مختلفة ومعانيها في احوالها مختلفة لان الصلصال غير الحمإ والحمإ غير
التراب الا ان مرجعها كلها الى جوهر وهو التراب ومن التراب تدرجت هذه
الاحوال بقوله فقوله سبحانه واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم وقوله
صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر آدم فاستخرج منه ذرية معنى واحد
في المعنى الا ان قوله صلى الله عليه وسلم مسح ظهر آدم زيادة في الخبر
عن الله ومسحه عز وجل ظهر آدم واستخراج ذريته منه مسح لظهور ذريته
واستخراج ذرية بعضهم من ظهور بعض كما ذكر تعالى لا فائدة علمنا ان جميع ذرية
آدم لم يكونوا من صلبه ولكن لما كان الطبق الاول من صلبه ثم الثاني من صلب
الاول ثم الثالث من صلب الثاني خاف ان حسب ذلك كله الى ظهر آدم لا نهم
فرعه وهو اصلهم وكما جاز ان يكون ما ذكر الله عز وجل انه استخرج من ظهر
ذرية آدم من ظهر آدم جاز ان يكون ما ذكر صلى الله عليه وسلم أنه استخرجه

شبكة الألوكة www.alukah.net

من ظهر آدم من ذريته اذ الاصل والفرع شئ واحد ومنه ايضا انه عز وجل
لما اضاف الذرية الى آدم فى الخبر احتمل ان يكون الخبر عن الذرية وعن آدم
كما قال عز وجل فظلت اعناقهم لها خاضعين فالخبر فى الظاهر عن الاعناق والمعنى
للاعناق المكنى فيها وهو مضاف اليها كما كان آدم مضافا اليه هنالك
وليس احدهما المقصود بالخبر فى الظاهر ولا يحتمل ان يكون قوله خاضعين
للاعناق لان وجه جمعها ومنه قول الشاعر

وتشرف بالقول الذى قد ادعته كما شرف صدر القناة من الدم

فالصدر مذكر وقوله شرف اث لاضافة المصدر الى القناة وهذا بعض كلام
السلف والخلف فى هذه الاية وعلى كل تقدير فلا دليل على خلق الارواح
قبل الاجساد خلقا مستقرا وانما غايتها ان تدل على اخراج صورهم وانشائهم
فى صور الذر واستنطاقهم ثم ردهم الى اصلابهم ان صح الخبر بذلك
والذى صح انما هو اثبات القدر السابق وتقسيمهم الى شقى وسعيد واما استدلال
ابى محمد بن حزم بقوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فما اليق هذا الاستدلال بظاهر تلك الآية لان السجود لا يلزم على خلقنا وتصورنا
والخطاب للجملة المركبة من البدن والروح وذلك متأخر عن خلق آدم وله هذا
قال ابن عباس ولقد خلقناكم آدم ثم صورناكم ذريته وبيان هذا ما قاله
مجاهد خلقناكم يعنى آدم وصورناكم فى ظهر آدم وانما قال خلقناكم بلفظ الجمع
وهو يريد آدم كما تقول ضربناكم وانما ضربت منكم واختار ابو عبيد فى هذه
الآية قول مجاهد لقوله بعد ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وكان قوله للملائكة

اسجدوا

قبل خلق ذرية آدم وتصويرهم فى الارحام ثم توجب التراخى والترتيب فى جعل
الخلق والتصوير فى هذه الاية لاولاد آدم فى الارحام يكون قد راعى حكم ثم فى
الترتيب الا ان يأخذ بقول الاخفش فانه يقول ثم ها هنا فى معنى الواو قال ابو عبيد
وقد قال الزجاج وهذا خطأ لا يجوزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه
قال ابو عبيد وقد نبه مجاهد حيث قال ان الله خلق آدم وصورهم فى ظهره
ثم امر بعد ذلك بالسجود قال وهذا يرى فى الحديث وهو انه اخرجهم من ظهر آدم
فى صور الذر قلت والقرآن يفسر بعضه بعضا ونظير هذه قوله يا ايها الناس
ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة فاوقع الخلق من
تراب عليهم وهو لا بهم آدم اذ هو اصلهم والله تعالى يخاطب الموجودين والمراد
آباؤهم كقوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم
الصاعقة وانتم تنظرون وقوله واذ قلنا يا موسى لن نصبر على طعام واحد الآية
وقوله واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وقوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور وهذا اكثر فى القرآن وخاطبهم والمراد آباؤهم فكذا قوله ولقد خلقناكم
ثم صورناكم وقد تستطرد سبحانه من ذكر الشخص الى ذكر النوع كقوله ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين فالمخلوق من سلالة
من طين آدم والمجعول نطفة فى قرار مكين ذريته واما حديث خلق الارواح قبل
الاجساد بالفى عام فلا يصح اسناده فقد عيب عن السكن قال الدارقطنى هو وهم
وارطاه بن المنذر قال ابن عدى بعض احاديثه غلط

واما الدليل على ان خلق الارواح متأخر عن خلق ابدانها فمن وجوه احدها ان

مطلب
خلق الارواح متقدم على خلق الابدان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خلق آدم البشر وامرهم كان هكذا فان الله سبحانه ارسل جبريل ليقبض قبضة من الارض
ثم خمرها حتى صارت طينا ثم صوّن ثم نفخ فيه الروح بعد ان صوّره فلما وصلت
الروح اليه صار دما ولحما حيا ناطقا فهو بشر اخبرنا مالك واخبرنا صالح عن ابن عباس
وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ
الله من خلق ما احب استوى على العرش فجعل ابليس لعنه الله على ملك سما الدنيا
وكان من قبيله من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان
ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره وقال ما اعطاني الله هذا الا لمزية لي و
لفضل رتبة لي على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك
منه فقال الله اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما لون خلق الخليفة
قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا
قالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال اني اعلم ما لا تعلمون يعني من شأن ابليس فبعث جبريل الى الارض
ليأتيه بطين منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك ان تنقص مني فرجع ولم
ياخذ وقال رب انها عاذت بك فاعذتها فبعث ميكائيل فعاذت منه فاعاذها
فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وانا اعوذ بالله ان ارجع ولم اقبض ولم
انفذ امره فاخذ من وجه الارض وخلط ولم ياخذ من مكان واحد واخذ من
كل ارض حمرا وبيضا وسودا فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل الرب
حتى صار طينا لازبا والملازب هي التي يلزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة
اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين

فخلقه الله بيده لئلا تكبر ابليس عنه لقوله له تكبر عما عملت بيدي ولم
اكبر انا عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين اربعين سنة فمرت به الملائكة
ففزعوا منه لما رأوه وكان اشدهم منه فزعا ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت
الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول من صلصال كالفخار
ويقول لامر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره فقال للملائكة لا ترهبوا
من هذا فان ربكم صمد وهذا اجوف لان سلطت عليه لاهلكته فلما بلغ الحين
الذي يريد الله جل ثناؤه ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من
روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت
الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله يرحمك ربك فلما دخل الروح
في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام قبل ان يبلغ
الروح رجليه فنهض عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول خلق الانسان
من عجل وذكرنا في الحديث وقال يونس بن عبد الاعلى اخبرنا ابن وهب حدثنا
ابن زيد قال لما خلق الله النار دعرت منها الملائكة دعرا شديدا وقالوا ربنا
لم خلقت هذه النار ولاي شيء خلقتها قال لمن عصاني من خلقي ولم يكن لله
خلق يومئذ الا الملائكة والارض ليس فيها خلق آدم انما خلق بعد ذلك وقرأ
قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال عمرت
للخطاب يا رسول الله كنت ذلك الحين ثم قال وقالت الملائكة
وما ترى دهر يطمك فما لا نرون له خلفا غيرهم قال لا اني ابيد ان اخلق في
الارض خلقا واجعل فيها خليفة وذكر الحديث قال ابن اسحاق وقال والله

أعلم خلق الله آدم وضعه نظر اليه أربعين عاما قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالا كالفخار ولم تمسسه نار وقال والله اعلم لما انتهى الروح الى رأسه عطس فقال الحمد لله وذكر الحديث فالقرآن والاحاديث والآثار تدل على انه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدث فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة أرواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ولما تعجب الملائكة من خلق النار وقالت لاي شئ خلقها وهي ترى ارواح بني آدم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث وأما ارواح الكفار كلها تبعا لابليس بل كانت الارواح الكافرة مخلوقة قبل كفره فان الله سبحانه انما حكم عليه بالكفر بعد خلق بدن آدم وروحه إذ ذاك وهل حصل الكفر للارواح الابتبعيته واغوائه فالارواح الكافرة انما حدث بعد كفره الا ترى انك كانت كلها مؤمنة ثم اردت بسببه والذي احتجوا به على تقدم خلق الارواح يخالف ذلك وفي حديث أبي هريرة في تحلق الاخبار عن خلو اجناس العالم وتأخر خلق آدم الى يوم الجمعة ولو كانت الارواح مخلوقة قبل الاجساد لكانت من جملة العالم المخلوق في ستة ايام فلما لم يخبر عن خلقها في هذه الايام علم ان خلقها تابع لخلق الذرية وان خلق آدم وحده هو الذي وقع في تلك الايام الستة واما خلق ذريته فعلى الوجه المشاهد المعاين ولو كان للروح وجود قبل البدن وهي حية عالمة ناطقة لكانت ذاكرة لذلك في هذا العالم شاعرة به ولو بوجه ما ومن الممتنع ان تكون حية عالمة ناطقة عارفة بربها وهي ملء ما بين الارواح ثم تنقل الى هذا البدن ولا يشعر بحالها

قبل ذلك بوجه ما واذا كانت هذه المفارقة تشعر بحالها وهي في البدن على التفصيل وتعلم ما كانت عليه هاهنا مع انها اكتسبت بالبدن امورا عاقتها عن كثير من كمالها ولا تشعر بحالها الاولى وهي غير معوقة هناك ولا بطريق الاولى الا ترى انك تعلمها بالبدن واستمالها بتدبيره منها من شعورها بحالها الاولى فتقول هب انه منها من شعورها به على التفصيل والكمال فهل منها عن ادنى شعور بوجه ما مما كانت عليه قبل تعلقها بالبدن فكيف بمنها من الشعور بما كان قبل ذلك وايضا فانها لو كانت موجودة قبل البدن لكانت حية عالمة ناطقة عاقلة فلما تعلقت بالبدن سلبت ذلك ثم حدث لها الشعور والعلم والعقل شيئا فشيئا وهذا لو كان لكان من اعجب الامور ان يكون الروح كاملة عاقلة ثم تعود ناقصة ضعيفة جاهلة ثم تعود بعد الى عقلها وقوتها فان في العقل والمثل والفطرة ما يدلك على هذا وقد قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون فهذه الحالة التي اخرجنا عليها في حالنا الاصلية والعلم والعقل والمعرفة والقوة طارئ علينا حادث فينا بعد ان لم نكن ولم نكن نعلم قبل ذلك شيئا البتة اذ لم نكن لنا وجود نعلم ونعقل به وايضا فلو كانت مخلوقة قبل الاجساد وهي على ما هي عليه الآن من طيب وخبث وكفر وايمان وخير وشر فكان ذلك ثابتا لها قبل الاعمال وهي انما اكتسبت هذه الصفات والهيئات من اعمالها التي سعت في طلبها واستحالت عليها بالبدن فلم تكن لتتصف بتلك الهيئات والهيآت قبل قيامها بالابدان الى

بما عملت لك الاعمال وان كان قدرها قبل ايجاد هذا لك ثم خرجت الى هذه
الدار على ما قدرها هو لا نكر الكتاب والقدر السابق لها من الله ولو دل دليل على
انها خلقت جملة ثم اودعت في مكان حتى عالمة ما طلعت كل وقت تبرز الى ابدانها
شيأ فشيأ لكان اول قائل به الله سبحانه على كل شيء قدير ولن لا يخبر عند خلقها
وامرا الا بما اخبر به عن نبيه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان
الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخبر عنه بذلك وانما اخبر عما في الحديث الصحيح
ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون
مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح فالملك وحده يرسل اليه
فينفخ فيه فاذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل اليه
الملك بالروح فيدخلها في بدنه وانما ارسل اليه الملك وحده فاحدث
فيه الروح سبحانه فيه لان الله سبحانه ارسل اليه الروح التي كان بوجوده
قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك فمن ان يرسل اليه ملك ينفخ فيه
الروح ومن ان يرسل اليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك وتامل ما دل
عليه النص من هذين المحتملين وبالله التوفيق

وهي تضمن ثلاث مسائل الاولى وهي ما حقيقة النفس هل هي جزء من اجزاء البدن
او عرض من اعراضه او جسم مساكن له مودع او جوهر مجرد وهل هي الروح
او غيرها وهل الامارة واللوامة والمطمئنة نفس واحدة لها هذه الصفات
او هي ثلاثة فالجواب ان هذه مسائل قد تكلم الناس فيها من سائر الطوائف
واضطربت فيها اقوالهم وكثر فيها خطاهم وهدى الله اتباع الرسول واهل

سنته

سنته لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
فنذكر اقوال الناس وما لهم وعليهم في تلك الاقوال ونذكر الصواب بحمد الله
وعونه قال ابو الحسن الاشعري في مقالاته اختلف الناس في الروح والنفس
والحياة وهل الروح هي الحياة او غيرها وهل الروح جسم ام لا فقال النظام
الروح جسم وهي النفس وزعم ان الروح حي بنفسه وانكر ان تكون الحياة والقوة
بمعنى غير الحي القوي وقال اخرون الروح عرض قال قائلون منهم جعفر بن
حرب لا ندري الروح جوهر او عرض واعتلوا في ذلك بقول الله تعالى
ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي ولم يخبر عنها ما هي لانها جوهر
ولا انها عرض قال واظن جعفرا ابى الحياة غير الروح وابى الحياة عرضا
وكان الجبائي ذهب الى ان الروح جسم وانها غير الحياة والحياة عرض وتعلل
بقول اهل اللغة خرجت روح الانسان وزعم ان الروح لا يجوز عليها
الاعراض وقال قائلون لنفس الروح اكثر من اعتدال الطبائع الاربعة
ولم يرجعوا من قولهم الا الى المعتدل ولم يثبتوا في الدنيا شيأ الا الطبائع الاربعة
التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وقال قائلون ان الروح معنى
خامس غير الطبائع الاربعة وانه ليس في الدنيا الا الطبائع الاربعة والروح
واختلفوا في الروح فمنها بعضهم طباعا ومنها بعضهم اعراضا وقال
قائلون الروح الدم الصافي الخالص من الكبد والعنوانات وكذلك قالوا
في القوة وقال قائلون الحياة هي الحرارة الغريزية وكل هؤلاء الذين حكينا
قولهم في الروح من اصحاب الطبائع يزعمون ان الحياة هي الروح وكان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الامتر لايث الحياة والروح شاغر الجسد ويقول ليس اعقل الا الجسد الطول
العرض العمق الذى اراه واشاهده وكان يقول النفس هذا البدن بعينه
لاغير وانما جرى عليها هذا الذكر على جهة البيان والتاكيد بصفته التى لا على
انها معنى غير البدن وذكر عن ارسطاطاليس ان النفس معنى مرتفع عن الوقوع
تحت والاون وانها جوهر بسيط مثبت فى العالم كله من الحيوان على اجهد
الاعمال له والدبر وانه لا يجوز عليه صفة قلة ولا كثرة قال وهى على ما وصفت
من انبساطها فى هذا العالم غير منقسمة الذات والجسم وانها فى كل حيوان العالم
بمعنى واحد لاغير وقال اخرون بل النفس معنى موجود ذات حدود واركان
وطول وعرض وعمق وانها غير مفارقة فى هذا العالم لغيرها فيما يجرى عليه
حكم الطول والعرض والعمق وكل واحد منها يجمعها صفة الحد والنهاية
وقالت طائفة ان النفس موصوفة بما وصفنا هو لا البدن قد مناذكر هو من معنى
الحدود والنهايات الا انها غير مفارقة لغيرها مما لا يجوز ان يكون موصوفا بصفة
الحيوان وحكى الجبرى عن جعفر بن مبشر ان النفس جوهر ليس هو هذا الجسم
وليس بجسم ولكنه معنى بين الجوهر والجسم وقال اخرون النفس معنى غير الروح
والروح غير الحياة والحياة عنده عرض وهو ابو الهذيل وزعم انه قد يجوز ان
يكون الانسان فى حال نومه مسلوب النفس والروح دون الحياة واستشهد على
ذلك بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وقال
جعفر بن حرب النفس عرض من الاعراض يوجد فى هذا الجسم وهى احد الآلات
التى تستبصر بها الانسان على الفعل كالصحة والسلامة وما اشبههما وانها غير

موصوفة

موصوفة بشئ من صفات الجواهر والاجسام هذا ما حكاه الاشعرى وقالت
طائفة النفس هى النسيم الداخل والخارج بالنفس قالوا والروح عرض وهو
الحياة فقط وهو غير النفس وهذا قول القاضى ابى بكر الباقلانى ومن اتبعه من
الاشعرية وقالت طائفة ليست النفس جسما ولا عرضا وليست فى مكان ولا لها
طول ولا عرض ولا عمق ولا لون ولا بعض ولا هى فى العالم ولا خارجة العالم
ولا محايثة له ولا مباينة وهذا قول المشائين وهو الذى حكاه الاشعرى عن ارسطاطاليس
وزعموا ان تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ولا بالمجاورة ولا بالمساكنة ولا بالاتصال
ولا بالمقابلة وانما بالتدبير له فقط واختار هذا المذهب البوسحى ومحمد بن النعمان
الملقب بالمسمع عباد والغزالى وهو قول ابن سينا واتباعه وهو اردى
المذاهب وابطلها وابعدها من الصواب قال ابو محمد بن حزم وذهب سائر
اهل الاسلام والملل المقرة بالبعث الى ان النفس جسم طويل عريض عميق ذات
مكان مصرفه للجسد قال وبهذا نقول قال والروح والنفس مترادفان بمعنى
واحد ومعناهما واحد وقد ضبط ابو عبد الله بن الخطيب مذاهب الناس
فقال ما اشير اليه كل انسان بقوله انا اما ان يكون جسما او عرضا او ليس
بجسم ولا عرض او لا جسما ولا عرضا فهذه اقسام ثلاثة اما القسم الاول وهو انه جسم فذلك
الجسم اما ان يكون هو هذا البدن واما ان يكون جسما مشاركا له او اما ان
يكون خارجا عنه اما القسم الاول وهو ان نفس الانسان عبارة عن جسم
خارج هذا البدن وهذا لم يقله احد واما القسم الثانى وهو ان الانسان
عبارة عن هذا البدن والهيكل المحسوس فهو قول جمهور الخلق وهو المختار

شبكة الألوكة www.alukah.net

عند اكثر المكلمين فلت هو قول جمهور الخلق الذين عرف الرازى انه الحق من
اهل البدع وغيرهم من المضلين واما اقوال الصحابة والتابعين واهل الحديث
فلم يكن له بها شعور البتة ولا اعتقد ان الحق في ذلك قولا على عادته في حكاية
المذاهب الباطلة في المسئلة والمذهب الحق الذى دل عليه القرآن والسنة
واقوال الصحابة لم يعرفه ولم يذكره وهذا الذى نسبه الى جمهور الخلق من
ان الانسان هو هذا البدن المخصوص فقط وليس وراء شئ هو من ابطل الاقوال في
المسئلة بل هو باطل من قولى ان بدننا واتباعه بل الذى عليه جمهور العقلا
ان الانسان هو البدن والروح معا وقد يطلقون اسمه على احدهما دون الاخر فقط
بقرينة فالناس في هذا اربعة اقوال في مسمى الانسان هل هو الروح فقط او البدن
فقط او مجموعهما او كل واحد منهما فالخلاف بينهما في المناط ونظفه وقال
الرازى واما الجسم الباقي وهو ان الانسان عبارة عن جسم مخصوص يوجد
في داخل هذا البدن فالقائلون بهذا القول اختلفوا في تعيين ذلك الجسم
على وجوه الاول انه عبارة عن الاخلاط الاربعة التي تولد منها هذا البدن
والثاني انه الدم والثالث انه الروح اللطيف الذى يتولد في الجانب الايسر من
القلب ويمتد في الشرايين الى سائر الاعضاء والقول الرابع انه الروح التي
تصعد من القلب الى الدماغ وتتكيف بالكيفية الصالحة لقبول قوة الحفظ والفكر
والذكر والخامس انه جزء لا يتجزى في القلب والسادس انه جسم مخالف بالماهية
لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نورانى علوى خفيف حي متحرك يمتد في جوهر
الاعضاء ويسرى فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في

الفحم مادامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا
الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشاركا لهذه الاعضاء وافادها هذه
الآثار من الحس والحركة الارادية واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء
الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح والبدن
وانفصل الى عالم الارواح وهذا القول هو الصواب في المسئلة وهو الذى
لا يصح غيره وكل الاقوال سواه باطلة وعليه دلت الكتاب والسنة
والاجماع الصحابة وادلة العقل والفطرة ونحن نسوق الادلة عليه على
نسق واحد الدليل الاول قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي
لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى
فهذه الآية تدل على ثلاثة ادلة الاخبار بتوفيتها وامساكها وارسالها الرابع قوله
تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا
انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون الى قوله ولقد جئتمونا فرادى كما
خلقناكم اول مرة وفيها اربعة ادلة احدها بسط الملائكة ايديهم لتناولها
الثاني وصفها بالاخراج والخروج الثالث الاخبار عن عذابها ذلك اليوم
الرابع التوبيخ الاخبار عن مجيئها الى ربها هذه سبعة ادلة الثامن قوله
تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه
ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم الى قوله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته
رسلنا وهم لا يفرطون وفيها ثلاثة ادلة احدها الاخبار بتوفي الانفس
بالليل الثاني بعثها الى اجسادها بالنهار الثالث توفي الملائكة له عند الموت

فهذه عشرة أدلة الحادي عشر قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى
ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وفيها ثلاثة أدلة
أحدها وصفها بالرجوع والثاني بالدخول والثالث وصفها بالرضى
واختلف السلف هل يقال لها ذلك عند الموت او عند البعث أو في الموضعين
على ثلاثة أقوال وقد روي في حديث مرفوع ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لأبي بكر الصديق اما ان الملك سيقولها لك عند الموت وقال زهدم
بن اسلم بشرت بالجنة عند الموت ويوم الجمع وعند البعث وقال ابو صالح
ارجعي إلى ربك راضية مرضية هذا عند الموت فادخلي في عبادي قال
هذا يوم القيمة فهذه اربعة عشر دليلا الخامس عشر قوله صلى الله عليه
وسلم ان الروح اذا قبض تبعه البصر فهذه دليلان احدهما تقبض
والثاني ان البصر يراه والسابع عشر ما رواه النسائي حدثنا ابو داود عن
عنان عن حماد عن ابي جعفر عن عمارة بن خزيمة ان اباه قال رأيت في
المنام كاني اسجد على جبهة النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك
فقال ان الروح لتلقى الروح رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا قال
عفان زاد ابن حنبل فوضع جبهته على جبهة النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر
ان الارواح تتلاقى في المنام وقد تقدم حديث النبي صلى الله عليه وسلم تتلقى
ارواح الاحياء وارواح الموتى في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله ارواح
الموتى الثامن عشر قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بلال ان الله قبض
ارواحكم وردها اليكم حين شاء فهذه دليلان وصفها بالقبض والرد العشرون

قوله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة وفيه دليلان
أحدهما كونها طائرا الثاني تعلقها في شجر الجنة واكلها على اختلاف النوعين
الثاني والعشرون قوله ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة
حيث شاءت وتأوي الى قناديل معلقة بالعرش فاطلع اليهم ربهم اطلاعة
فقال اي شيء تريدون الحديث وقد تقدم وفيه دليلان احدهما كونها
مودعة في جوف طير الثاني انها تسرح في الجنة حيث شاءت الثالث انها
تاكل من ثمارها وتشرب من انهارها الرابع أنها تأوي الى تلك القناديل اي
تسكن اليها الخامس ان الرب تعالى خاطبها واستنطقها فاجابته السادس
انها طلبت الرجوع الى الدنيا فعلم انها مما يقبل الرجوع فاركل هذا كله
صفة الطير لا صفة الروح قيل بل هو للروح المودعة في الطير قصدا وعلى
الرواية الى رجحها ابو عمر وهي قوله ارواح الشهداء اكظر بنتي السؤال
بالكلية السابع والعشرون قوله في حديث طلحة بن عبد الله اردت مالي الغابة
فاذا ركبني الميل فاويت الى قبر عبد الله بن عمر بن حزام فسمعت قراءة من القبر
ما سمعت احسن منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك عبد الله
الم تعلم ان الله قبض ارواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد ويأوين ثم علقها وسط
الجنة فاذا كان الليل ردت اليهم ارواحهم فلا زال كذلك حتى اذا طلع الفجر ردت
ارواحهم الى مكانها التي كانت فيه اربعة ادلة سوى ما تقدم احدها جعلها
في القناديل الثاني اتصالها من حين الى حين الثالث تكلمها وقراءتها في القبر الرابع
وصفها بانها في مكان الثالث واللائق حديث البراء غائب وقد تقدم بيانه

وقد عشرون دليلا أحدها قوله ملك الموت لنفسه يا أيتها النفس المطمئنة
وهذا خطاب لمن يعقل وتفهم الثاني قوله اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان
الثالث قوله فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقا الرابع قوله فلا يدعونها
في يده طرفة عين حتى يأخذوها منه الخامس قوله حتى يكفنوها في ذلك الكفن
ويحنطوها بذلك الحنوط فأخبر انها تكفن وتحنط السادس قوله ثم يصعد
بروحه الى السما السابع قوله ويوجد منها كأطيب نفحة مسك وجدت الثامن
قوله فيفتح له ابواب السما التاسع قوله ويشيعه من كل سما مقربوها حتى ينتهي الى
الرب تعالى العاشر قوله فيقول الله تعالى ردوا عبدي الى الارض الحادي عشر
قوله فترد روحه في جسده الثاني عشر قوله في روح الكافر فتفرق في جسده
فجعلها فتقطع منها العروق والعصب الثالث عشر قوله ويوجد لريحه كأنتن
ريح وجدت على وجه الارض الرابع عشر قوله بروحه بين السما ويطرح طرحا
فهوى الى الارض الخامس عشر قوله فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة الا قالوا ما
هذا الريح وما هذا الروح الخبيث السادس عشر مجلسانه ويقولان له ما كنت تقول
في هذا الرجل فان كان هذا للروح فظاهر وان كان للبدن فهو بعد رجوع الروح
اليه من السما السابع عشر قوله فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان
الثامن عشر قوله ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فيرى مقعده من الجنة
أو النار التاسع عشر قوله في الحديث اذا خرجت روح المؤمن صلى عليها كل ملك
لله بين السما والارض فالملائكة تصلي على روحه وبنو آدم يصلون على جسده
العشرون قوله فنظر الى مقعده من النار حتى يقوم الساعة فالبدن هو تمزق ونلاشى

وأنا

وأما الذي يرى المقعد من الروح الرابع والخمسون حديث أبي موسى الأشعري
تخرج نفس المؤمن أطيب من ريح المسك فتطلق بها الملائكة الذين يتوفونه
فلما هم ملائكة من دون السما فيقولون هذا فلان بن فلان كان يعمل كنت وكنت
بأحسن عمله فيقول مرحبا بكم وبه فيقبضونها منهم فيصعدونه من الباب الذي
كان يصعد منه عمله فيشرق في السموات وهو برهان كبرهان الشمس حتى
ينتهي بها الى العرش وأما الكافر فاذا قبض انطلق بروحه فيقولون من هذا فيقولون
فلان بن فلان كان يعمل كنت وكيت بمساوئ أعماله فيقولون لا مرحبا لا مرحبا بدون
فيرد الى سفل الأرض الى الثرى ففيه عدة أدلة احدها خروج نفسه
الثاني طيب ريحها الثالث انطلاق الملائكة بها الرابع تحية الملائكة لها الخامس
فتحهم السادس صعودهم بها السابع اشراق السموات لصعودها الثامن انتهاؤها
الى العرش التاسع قول الملائكة من هذا وهذا سؤال عن عين وذات قائمة
بنفسها العاشر قولهم ردوه فيرد الى اسفل الارض الرابع والستون حديث
ابي هريرة اذا خرجت روح المؤمن تلقاه ملكان فيصعدان به الى السما فيقول
اهل السما روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت
تعمرينه وذكر المسك ثم يصعد به الى الله عز وجل فيقول ردوه الى آخر
الأجل وفيه سند أدلة احدها قوله تلقاه ملكان الثاني قوله فيصعدان به
السما الثالث قول الملائكة روح طيبة جاءت من قبل الأرض الرابع صلاتهم
عليها الخامس طيب ريحها السادس الصعود بها الى الله عز وجل
الحادي والستون حديث ابي هريرة ان المؤمن يحضره الملائكة فاذا كان الرجل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الصالح قالوا اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة
وابشري بروح وريحان وربك غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى
السما التي فيها الله عز وجل فاذا كان الرجل السوء قال اخرجي ايتها النفس الخبيثة
كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق واخر من شكله ازواج
فلا يزال يقال لها حتى يخرج فينتهي بها الى السما فيقال من هذا فيقال فلان بن فلان
فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانه لا يفتح لك
ابواب السما فترسل الى الارض ثم يصير الى القبر وهو حديث صحيح وقد عشرة
ادلة احدها قوله كانت في الجسد الطيب وكانت في الجسد الخبيث فهذا حال وحال
الثاني قوله اخرجي حميدة الثالث قوله وابشري بروح وريحان فهذه بشارة
بما تصير اليه بعد خروجها الرابع قوله فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى
السما الخامس قوله ويستفتح لها السادس قوله ادخلي حميدة السابع قوله حتى
ينتهي بها الى السما التي فيها الله عز وجل الثامن قوله لنفس الفاجرة ارجعي ذميمة
التاسع قوله فانه لا يفتح لك ابواب السما العاشر قوله فترسل الى الارض ثم تصير الى
القبر الحادي والثلاثون قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف
منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فوصفها بانها جنود والجنود ذوات قائمة بنفسها
ووصفها بالتعارف والتناكر ومحال ان يكون هذه الجنود اعراضا او تكون لا داخلة
العالم ولا خارجة ولا بعضا ولا كلا الثاني والثلاثون قوله في حديث ابن مسعود
وعلى الارواح تتلاقى ومشاركا لشاء النحل وقد تقدم الثالث والثلاثون قوله في حديث
عبد الله بن عمرو ان ارواح المؤمنين تتلاقى على مسيرة يوم وما رأى احدهما

صاحبه

صاحبه الرابع والثلاثون الآيات التي ذكرناها في خلو آدم وان الروح لما دخل في
رأسه عطس فقال الحمد لله فلما وصل الى عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما وصل الى
جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان يبلغ الروح رجليه وانها دخلت كارهة وتخرج
كارهة الخامس والثلاثون الآيات التي فيها اخراج الرب تعالى النسم وتميز
شقيهم من سعيدهم وبقاء ثمر حينئذ في الاشراق والظلمة وارواح الانبياء فيهم
كالسرج وقد تقدمت السادس والثلاثون حديث تميم الداري ان روح المؤمن
اذا صعد بها الى الله عز وجل حمد ما احد من خلقه وان الملائكة لتلقى الروح بالبشر
وان الله تعالى يقول لملك الموت انطلق بروح عبدي فضعه في مكان كذا وكذا وقد
تقدم السابع والثلاثون الآثار التي ذكرناها في مستقر الارواح بعد الموت واختلاف
الناس في ذلك وفي ضمن ذلك الاختلاف اجماع السلف على ان الروح مسئولة
بعد الموت وان اختلف في تعذيب البدن والثامن والثلاثون ما قد علم بالضرورة ان الرسول
صلى الله عليه وسلم رجاه واخبر به الامة اذ بعث اجسادهم في القبور فاذا
نفخ في الصور رجعت كل روح الى جسدها فدخلت فدبت الارض عنهم
وقاموا من قبوره وفي حديث الصور ان اسرافيل يدعو الروح فتأتيه جميعا ارواح
المسلمين نورا والاخرى مظلمة فجمعها جميعا فجعلها في الصور ثم نفخ فيه فيقول
الرب جل جلاله وعزتي لترجعن كل روح الى جسده فتخرج الارواح من الصور
سراعا قد ملأت ما بين السما والارض فيأتي كل روح الى جسده فتدخل وايم الله
الارض فينشق عنهم فيخرجون سراعا الى ربهم ينسلون يهطعون الى الداعي يقولون
المنادي من كل مكان قريب فاذا هم قيام ينظرون وهذا مما علم بالضرورة ان

الرسول اخبره وان الله لا يبقى لهما روحا غير روحهما التى كانت فى الدنيا بل
هى الارواح التى اكتسبت الخير والشر انشأ لها نشأة اخرى ثم ردها اليها
الرابع والمائون ان الروح والجسد يختصمان بين يدى الرب تعالى يوم القيمة قال
على بن عبد العزيز نا احمد بن يونس حدثنا ابو بكر بن عياش عن ابى سعيد المقبرى
عن عكرمة عن ابن عباس قال لا يزال الخصومة بين الناس يوم القيمة حتى يخاصم الروح
الجسد فيقول الروح يا رب انما كنت روحا منك حتى فى هذا الجسد فلا ذنب
لى ويقول الجسد يا رب كنت جسدا خلقتنى ودخل فى هذا الروح مثل البارحة كنت
اتصرف به كنت اقعد به اذهب به فقال لا ذنب لى قال فيقال انا اقضى
بينكما اخبرانى عن اعمى ومقعد دخلا حائطا فقال المقعد للاعمى ارى ثمرا ملوكا
لى رجلان لساق لك فقال الاعمى انا احملك على رقبتى فتحمله فتاولى الثمر فاكلا
جميعا فعلى من الذنب قال عليهما جميعا فقال فقضيما على انفسكما التسعون
الاحاديث والآثار الدالة على عذاب القبر ونعيمه الى يوم البعث فمعلوم ان الجسد
تلاشى واضمحل وان العذاب والنعيم المستمر من الى يوم القيمة انما هو على الروح
الحادى والتسعون اخبار الصادق المصدوق فى الحديث الصحيح عن الشهداء انهم
لما سئلوا ما ترددون قالوا نرد ان ترد ارواحنا فى اجسادنا حتى نقتل فيك مرة اخرى
فهذا جواب وسؤال مرتاح جيد عالم ناطق بقبل الرد الى الدنيا والدخول
فى اجساد خرجت منها وهذه الارواح سئلت وهى تسرح فى الاجساد قد مر فيها
البلا الثانى والتسعون ثابت عن سلمان الفارسى وغيره من الصحابة ان ارواح
المؤمنين فى برزخ مذهب حيث شاءت وارواح الكفار فى سجن الثالث والتسعون

رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ارواح الناس عن يمين آدم ويساره ليلة الاسراء فرآها
ميتيزه بمكان معين الرابع والتسعون رؤيته ارواح الانبياء فى السموات وسلامه
عليهم وترحيبهم به كما اخبر به واما ابدانهم فى الارض الخامس والتسعون
رؤية ارواح الاطفال حول ابراهيم الخليل السادس والتسعون رؤية ارواح
المعذبين فى البرزخ بانواع العذاب فى حديث سمرة الذى رواه البخارى فى
صحيحه وقد تلاشت اجسادهم واضمحلت وانما كان الذى يراه ارواحهم ونسمهم
تفعل بهم ذلك السابع والتسعون اخباره سبحانه عن الذين قتلوا فى سبيله
انهم احياء عند ربهم يرزقون وانهم فرحون مستبشرون باخوانهم وهذا
للارواح قطعا والابدان فى التراب منتظر عودة ارواحها اليها يوم البعث
الثامن والتسعون ما تقدم من حديث ابن عباس ونحن نسوق هنا من ذكر من
دليل على بطلان قول الملاحدة واهل البدع فى الروح فقد ذكرنا اسناده فيما
تقدم قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قاعدا لا هذه الآية
ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت الآية ثم قال والذى نفس محمد بيده ما من
نفس تفارق الدنيا حتى يرى مقعدها من الجنة او النار فاذا كان عند ذلك
صف له سماطان من الملائكة عن يمينه سماطان من الخافقين كان وجوههم الشمس يرى
البصر ما يرى غير هم مع كل ملك منهم اكفان وحنوط فان كان من اهل الجنة
وقالوا اخرجى ايتها النفس المطمئنة الى رضوان الله وجنته فما اعد الله له
من الكرامة ما هو خير له من الدنيا وما فيها فلا يزالون يبشرونه فلهو الطف
به واراف من الوالدة بولدها ثم يسلون روحه من عند كل ظفر ومفصل وقوت

الاول فالاول ويموت كل عضو الاول فالاول ويهون عليه ما كنتم ترونه شديدا
حتى يبلغ ظهره دقه فلهي اشد كراهة للخروج من الجسد من الولد حتى يخرج
من الرحم فيبتدرونها كل منهم ايهم يقبضها فتولى قبضها ملك الموت ثم تلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى
ربكم ترجعون فيسلها هابا كان بيض ثم يضمها اليه فلهو اشد لزوما لها من
المراة لولدها ثم يفوح منها ريح اطيب من المسك فيشمونه ريحا طيبا ويتباشرون
بها ويقولون مرحبا بالريح الطيبة والروح الطيب اللهم صل على روحها وصل
على جسد خرجت منه قال فيصعدون بها فما مروا بها فوج لهم فيها ريح اطيب من المسك
فيصلون عليها ويتباشرون بها وتفتح لهم ابواب السما ويصلي عليها كل ملك في كل
سما ثم يهم حتى ينتهي بها بين يدي الجبار جل جلاله فيقول الجبار مرحبا بالنفس
الطيبة ادخلوها الجنة وارووها مقعدها من الجنة واعرضوا عليها ما اعددت
لها من الكرامة والنعيم ثم اذهبوا بها الى الارض فاني قضيت اني منها خلقتهم
وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى قوالذي نفس محمد بيده لهي اشد كراهة
للخروج منها حين كانت تخرج من الجسد وتقولون ان تذهبون بي الى ذلك الجسد
الذي كنت فيه فتقولون انا ما تؤمرون بهذا فلا بد لك منه فهبطون به على قدر
فراغهم من غسله وكفانه فيدخلون ذلك الروح من الجسد واكفانه فتامل كيف
في هذا الحديث من توضيح لشهد سبطلان قول المبطلين في الروح التابع والسهون
ما ذكره عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن اسلم عن عبد الرحمن السلماني عن عبد
الله بن عمرو قال اذا توفى المومن بعث اليه ملكان فيخرجانه من الجنة ويخرقه بعض

فيها فيخرج كاطيب رايحة ما وجدها احد قط فما زالا يصعدان به حتى يوتى بها الى الرحمن فيسجد
الملائكة قبله ويسجد بعد هو ثم يدعا مكائيل فقال اذهب بهذه النفس فاجعلها
مع انفس المومنين حتى اسئلك عنهم يوم القيمة وقد تظاهرت الاثار عن الصحابة
ان روح المومن بمرتبة في العرش في وفاة النوم ووفاة الموت واما جرهد ومهائل
الله فاحسن بحثها ان يقول اللهم رات السلام ومنك السلام تبارك يا ذا الجلال
والاكرام وحدثني القاضي نور الدين بن الصايغ قال كانت لي خالة وكانت
من الصالحات العابدات قال عدتها في مرض موتها فقالت لي الروح اذا اقبلت
على الله ووقف بين يديه ما يكون بحسبها وقولها قال فعظمت على مثلها وفكرت
فيها ثم قلت يقول اللهم رات السلام ومنك السلام تبارك يا ذا الجلال
والاكرام قال فلما توفيت رايتها في المنام فقالت لي جزاك الله خيرا فقد
دهشت فما ادري ما اقول ثم ذكرت تلك الكلمة التي قلت لي فقلتها
المانه ما قد اشرك في العلم به عامة اهل الارض من لقا ارواح الموتى وسوالهم
لهم واخبارهم ايا هم بامور رخصت عليهم فراوها عيانا وهذا اكثر من ان يتكلف
ايراده واعجب من هذا الوجد الحادي والمانه ان روح الناشر يحمل لها في المنابر
آثار فصبح اثرها على البدن عيانا وهي من تاثر الروح في الروح كما ذكر الثعلبي
في كتاب البستان عن بعض السلف قال كان لي جار يسمى ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
فلما كان ذات يوم اكثر من شتمهما فاويته وتاولني وانصرف الى منزلي وانا متعجب
حزين مما فعل وتركه العشاء فرات رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت
يا رسول الله فلان يسب اصحابك من اصحابي فقلت ابو بكر وعمر فقال خذ هذه

المدية فاذبحها فاخذتها فاضجعته وذبحته فرأيت كأن يدي أصابها من دمه
فالتقب المدية واهويت بيدي الى الارض لامسحها فانتبهت وانا أسمع الصراخ من
نحو داره فقلت ما هذا الصراخ فقالوا قد رمات نجاة فلما اصبحت نظرت
اليد فاذا خط موضع الذبح وفي كتاب المنامات لابن ابي الدنيا عن شيخ من قريش
قال رأيت رجلا بالشام قد اسود نصف وجهه وهو يخطبه فسألته عن ذلك
فقال قد جعلت لله علي ان لا اسأل احدا عن ذلك الا اخبرته بحقيقة شدة الوقعة
في علي بن ابي طالب رضي الله عنه فبينا انا ذات ليلة نائم اذا اتاني آت في منامي فقال
لي ان صاحب الوقعة في وضرب شق وجهي فاصبح وشق وجهي اسود كالزفت
وذكر مسعدة عن هشام بن حسان عن واصل عن ابن عيينة عن موسى بن عبيدة
عن صفية بنت شيبة قالت كنت عند عائشة رضي الله عنها فاتتها امرأة مشتملة على
يدها فجعل النساء يلعنها فقالت ما الا من اجل يدي اني كنت رجلا سمحا
واني رأيت في المنام حياضا عليها رجال معهم آنية يسقون من اناهم فرأيت اني
فعلت اني اتى قال انظري فاذا اني ليس عليها الا قطعة خرقة فقال انهم لم يصدقوا
قط الا بسلك الخرقة وشحمة من بقرة ذبحوها قبلك الشحم داب وتطرق بها وهي
تقول واعطشاه قال فاخذت انا من تلك الآنية فسقيتها
من سقاها ابيض الله يده فاصبحت يدي كما ترين وذكر الحارث بن اسد المحاسبي وأصبغ
وخلف بن الصمر وجماعة عن سعيد بن سلمة قال سمنا امرأة عند عائشة اذ قالت
يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا اشرك بالله شيئا ولا اسرق ولا
ازني ولا اقتل ولدي ولا اتي بهتان افتريه بين يدي ورجلي ولا اعصي في معروف

توفيت لبرئي ووفى لربي فوالله لا يعذبني الله فاتاها في المنام فقال لها
كلا انك تسرجين وزهيتك تبدين وخيرك كمذين وجارك توذين وزوجك تحصين
ثم وضع اصابعه الخمس على وجهها وقال خمس بخمس ولو زدت زدنا لك
فاصبحت واثر الاصابع في وجهها وقال عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك
سمعت مالكا يقول ارجو ان يغفر الله لعبد الله بن الاشج كان من خيار هذه الامة
نام في اليوم الذي استشهد فيه فقال لاصحابه اني رأيت امرا ولا اخبركم به
اني رأيت كاني ادخلت الجنة فسقيت لبنا فاستقذاه اللبن واستشهد بعد
ذلك قال ابن القاسم وكان في غزوة في البحر بموضع لا لبن فيه وقد تمعر
مالك ذكره وذكر انه معروف وقال رأيت كاني ادخلت الجنة فسقيت فيها
لبنا فقال له بعض القوم افسمت عليك لما بقيت فقال لنا صلد وما في السفينة
لبن ولا شاة قال ارقبته قوله يصلد اي يبرق يقال صلد اللبن يصلد ومنه
حديث عمار ان الطيب سقاه لبنا فخرج من القطنة اسفر يصلد وكان نافع الكافور
اذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك فقيل له كلما فعلت تطيبت فقال ما امس طيبا
ولا اقربه ولكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقرأني
فمي فمن ذلك الوقت يشم من في هذه الرائحة وذكر مسعدة في كتابه في الرؤيا
عن ربيع بن بدر الرقاشي قال اتاني رجلان فقعدا الى قاعدا بارجلا فنزيتهما
فاتاني احدهما بعد ذلك فقال اني رأيت في المنام كان زنجيا اتاني يطبق عليه
جنب خنزير لم ار لحما قط انتن منه فقال لي كل فقلت اكل لحم خنزير فقد دنى
فاكلت فاصبحت وقد نتن فمي فلم يزل بعد الريح في فيه شهرين وكان العلاء

زاد له وقت تنور فيه فقال لأهله تلك الليلة انى أجد فتره فاذا كان وقت
كذا فايقظونى فلم يفعلوا فاتانى آت فى منامى فقال قم يا علان بن زياد
الله مذكرك واخذ بشعرات فى مقدم رأسى فقلبت تلك الشعرات فى مقدم رأسه
فلم تزل قائمة حتى مات قال يحيى بن نظام فلقد غسلناه ومرمات وانهر لقيام
فى رأسه وذكر ابن ابى الدنيا عن ابى حاتم الرازى عن محمد بن على قال كنا بمكة فى
المسجد الحرام نعود افقام رجل نصف وجهه اسود ونصف وجهه ابيض فقال
ايها الناس اعتبروا بى فانى كنت اتاول الشيخ واشتمه فبينا انا ذات
ليلة نائم اذا انا بآت قد رفع يده فلطم وجهى وقال يا عدو الله انا فاسق الست
نسبت ابا بكر وعمر فاصبحت وانا على هذه الحاله وقال محمد بن عباد المهلبى رأيت
فى المنام كانى فى رحبة فلان واذا النبى صلى الله عليه وسلم جالس على اكمة ومعه
ابو بكر وعمر واقف قدامه فقال له يا رسول الله ان هذا شتمنى ويشتم ابا بكر
فقال يا ابا حفص فاتى برجل فاذا هو الحمانى وكان مشهورا بشتمهما فقال له
النبى صلى الله عليه وسلم اضجع فاضجعه ثم قال اذبحه فذبحه قال فما بقيت
الاصياحه فقلت مالى لا اخبره عسى ان يتوب فلما قربت من منزله سمعت بكاء
شديدا فقلت ما هذا البكا فقالوا الحمانى ذبح البارحة على يرزن قال فدنوت
من عقبه فاذا بئر اذ به الى ادنه طريقه حمرا كالدم المحضور وقال القرواني
اخبرنى شيخ لنا من اهل الفضل قال اخبرنى ابو الحسن المطلبى امام مسجد النبى
صلى الله عليه وسلم قال رأيت بالمدينة عجبا كان يشتم ابا بكر وعمر رضى الله
عنهما فلبثنا نحن يوما من الايام بعد صلاة الصبح اذا قبل الرجل وقد خرج

عشناه وسألنا عن خبره فسألناه ما فعلت فقال رأيت البارحة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى يمينه ومعه ابو بكر وعمر فقالا يا رسول الله هذا الذى
يؤذينا ويشتمنا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امرك بهذا فاشار على
فقال له على واشرت اليه فاقبل على على بوجهه ويده وقد ضم اصابعه وبسط
السبابة والوسطى وقصد بهما الى عينى فقال ان كنت كذبت فقأ الله عينيك
وادخل اصبعه فى عينى فهدر من بولى وانا على هذه الحاله فكان يبكى ويخبر
الناس واعلن بالتوبة قال القرواني واخبرنى شيخ من اهل الفضل قال اخبرنى
فقيه قال عندنا رجل يكثر الصوم ويسرده ولكنه كان يؤخر الفطر فرأى فى
المنام كان اسود قد اخذ بضبعه واتاه الى تنور شحما ليلقيانه فيه فقال
فقلت لهما على ماذا انا فعلا على خلاف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه امر بتعجيل الفطر وانت تؤخره قال فاصبح وجهه قد اسود من وهج
النار فكان يمشى متبرقعا فى الناس واعجب من هذا الرجل رئى فى المنام وهو
شديد العطش والجوع والالم لا يمر بغيره فيسقاه او يطعمه او يواريه بدا
فيستيقظ وقد زال عنه ذلك كله وقد رأى الناس من هذا اعجاب وقد
مالك عن ابى الرجال عن عمره عن عائشة ان جارية لها سحرتها وان سيدها دخل
لها وهى مريضة فقال انك سحرت قالت ومن سحرنى قال جارية فى حجرها
قد بالت عليها فدعت جارتها فقالت حتى اغسل بولك فى ثوبى فقالت لها اسحرتنى
قالت نعم قال وما دعاك الى ذلك قالت اردت بعملى العتق فامرت اخاها
ان يتيها من الاعراب ممن يسبى ملكها فباعها ثم ان عائشة رأت فى منامها ان

شبكة الألوكة www.alukah.net

اغتسل من ثلاثة اباريد بعضها بعضا فاستقى لها فاغتسلت برأت وكان سماك
ن حرب قد ذهب بصره فرأى ابرهيم الخليل في المنام فمسح على عينيه وقال
اذهب الى الفرات فاغتسل فيها ثلاثا ففعل فابصر وكان اسمعيل بن بلال الحضرمي
قد عمى فأتى في المنام فقيل له قل يا قريب يا مجيب يا سميع الدعا يا لطيف لما يشا
رد على بصري ففعله فابصر قال الليث بن سعد انا راشد قد عمي ثم ابصر وقال
عبد الله بن ابي جعفر اشتكت شكوى فجهدت منها فكنت اقرا الدكرى
فمت فاذا رجلان فاما من عندي فقال احدهما لصاحبه لقراءة فيها ثلاثة
وستون رحمة افلا نصيب هذا المسكين منها رحمة واحدة فاستيقظ وقد برئت
خفة قال ابن ابي الدنيا اعلت امرأة من اهل الخير والصلاح بوجع المعدة
فرأت في المنام قايلا يقول لها المغل وشراب الورد فشربته فاذهب الله عنها
ما كانت تجد قال وقالت ايضا رأت في منامي كاني اقول لها السماق والعسل وما
الحمر الاسود شفا لوجع الاوراك فلما استيقظت اتتني امرأة تشكو اوجاعها
فوصفت لها ذلك فاستفت وقال جالينوس السبب الذي دعاني الى قصد
العروق الضوارب اني امرت به في منامي مرتين قال وكنت اذا ذاك غلاما
واعرف انسانا اشتكاه الله من وجع به في جنبه فقصد العرق الضارب لرواها
في منامه وقال ابن الحرار كنت اعالج رجلا معمودا فغاب عني ثم لقيته فسألته
عن حاله فقال رأيت في المنام انسانا في يدي ناسك متوكا على عصا وقف علي
وقال ائت رجلا معمود فعلمه تعرفه علمك بالكمأة والورد المري بالعسل
فاستعملتهما اياما فبرئت فعلمت له ذلك جالينوس والوقائع في هذا الباب

الكثير

اكثر من ان يذكر حتى قال بعض الناس ان اصل الطب من المنامات ولا ريب ان
كثيرا من اصوله مستند الى الرؤيا كما ان بعضها عن التجارب وبعضها عن القياس
وبعضها عن الهام ومن اراد الوقوف على ذلك فلينظر في تاريخ الاطباء وفي
كتاب البستان للقرواني وغير ذلك الوجه الثاني بعد المائة قوله تعالى
ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء وهذا دليل على
ان المؤمنين يفتح لهم ابواب السماء وهذا الفتح هو نشر لا روا جهم عند الموت
كما تقدم في الاحاديث المستفيضة ان السماء تفتح لروح المؤمن حتى ينتهي بها الى
من يدي الرب تعالى واما الكافر فلا تفتح لروحه ابواب السماء ولا تفتح لجسده ابواب
الجنة الوجه الثالث بعد المائة قوله الذي صلى الله عليه وسلم يا بلال ما دخلت
الجنة الا سمعت خشخشتك من ذا الذي قال ما احدثت في ليل او نهار
الا توضأت وصليت ركعتين قال بهما ومعلوم ان الذي سمع خشخشته من يديه
هو روحه والا فجسده لم يتنقل الى الجنة الوجه الرابع بعد المائة الاحاديث
والآثار التي في زيارة القبور السلام على اهلها ومخاطبتهم والاخبار عن مرورهم
بزوارهم وردهم عليهم السلام وقد تقدمت الاشارة اليها الوجه الخامس
بعد المائة شكاية كثير من ارواح الموتى الى اقاربهم وغيرهم امورا امروا بها
كما شكوه فمن لوازمها الوجه السادس بعد المائة لو كانت الارواح عبارة عن عرض
من اعراض البدن او جوهر ليس بجسم ولا حال فيه لكان قول القائل خرجت
وذهبت وقمت وجئت وتحركت ودخلت ورجعت ونحو ذلك كله
قولا بالباطل لان هذه الصفات ممتنعة الثبوت في حق الاعراض والمجردات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكل عالم يعلم صدق قوله وقوله غيره ذلك فالقدح في ذلك قدح في اظهر
المعلومات وهو من باب السفسطة ولا يقال حاصل هذا الدليل التمسك بالفاظ
الناس والملاقاة بغيره وهي تحتمل الحقيقة والمجاز فلعل مراده هو دخل جسمي وخرج
لانا انما استدللنا بشهادة العقل والفطر معاني هذه الالفاظ فكل احد يشهد
عقله وحسه بانه هو الذي دخل وخرج واستقل بمجرد بدنه فشهادة العقل
والحس بمعاني هذه الالفاظ واضافتها الى الروح اصلا والى البدن تبعا بين
اصدق الشهادات والاعتماد على ذلك لا على مجرد الاطلاق اللفظي الوجه
السابع بعد المائة ان البدن مركب ومحل لتصرف البدن فكان دخول البدن
وخروجه واستقباله جاريا مجرى دخول مركبه من فرسه ودابته فلو كانت
النفس غير قابلة للدخول والخروج والاستقبال والحركة والسكون لكان ذلك
بمنزلة دخول مركب الانسان الى الدار وخروجه مما دون دخوله وهذا
معلوم البطلان بالضرورة وكل احد يعلم ان نفسه وروحه هي التي
دخلت وخرجت واسفلت وصرف البدن وجعلته تبعا لها في الدخول
والخروج فهو لها بالاصل وللبدن بالتبع لكنه للبدن بالمشاهدة وللروح
بالعلم والعقل الثامن بعد المائة ان النفس لو كانت كما تقوله من تقول انها
عرض لكان الانسان كل وقت قد حدث مائة الف مرة او اكثر والانسان انما هو
انسان بروحه ونفسه لا ببدنه وكان الانسان الذي هو الآن غير الذي هو
قبله بلحظة وبعده بلحظة وهذا من نوع الهوس ولو كانت الروح مجرد تعلقها
بالبدن بالتدبير فقط لا بالمماسة والمداخلة لم يمنع ان تنقطع تعلقها بهذا البدن

ويتعلق بغيره كما يجوز انقطاع تدبر المدبر لبدنه او مدبسه عنها وتعلق تدبيره
غيرها وعلى هذا القول فيصير شاكا في ان النفس التي لزيد هي النفس الاولى او
غيرها وهل زيد هو ذلك الرجل ام غيره وعاقل لا يجوز ذلك فلو كانت
الروح عرضا او امرا مجردا لحصل الشك المذكور الوجه التاسع بعد المائة
ان كل احد يقطع ان نفسه موصوفة بالعلم والفكر والحب والبغض والرضى
والسخط وغيرها من الاحوال النفسانية ويعلم ان الموصوف بذلك ليس عرضا
من اعراض بدنه ولا جوهرا مجردا منفصلا عن بدنه غير محادث له وتقطع
ضرورة ان هذه الادراكات لا مر داخل في بدنه كما تقطع بانه اذا سمع وابصر
وشم وذاق ولمس وتحرك وسكن فتلك امور قائمة بالنفس وان جوهر
النفس هو الذي قام به ذلك كله لم تقم بجوهر ولا بعرض بل قام بمتحيز داخل
العالم منتقل من مكان الى مكان يتحرك وتسكن وتدخل وتخرج وليس الا هذا
البدن والجسم السار في هذه المسالك الذي لولاه لكان بمنزلة الجماد
العاشر بعد المائة ان النفس لو كانت مجرد تعلقها بالبدن بتدبير فقط
كتعلق الملاح بالسفينة والحمال بحمله لامكنها ترك تدبير هذا البدن
واشتغالها بتدبير اخر كما يمكن الملاح والحمال ذلك وفي ذلك تجوز انتقال
النفس من ابدان الى ابدان ولا يقال ان النفس انما حدثت عند بدنها فامتنع عليها
الانتقال او انها لها عشق طبعي وشوق ذاتي الى تدبير هذا البدن فلهذا التعلق
امتنع انتقالها لانا نقول احد ما لا يتحيز بالمتحيز محال ولانها لو احدثت عند
بدنها بطلت ببطلانه ولانها بعد الاتحاد ان بقيا فهما اثنان لا واحد وان عدما معا

وحدث بالك فليس من الاتحاد في شيء وان نفى احدهما ونفى الاخر فليس باتحاد
ايضا واما عشق النفس التطبيعي للبدن فالنفس انما تعشقه لانها تنال اللذات
بواسطته واذا كانت الاذات متساوية في حصول مطلوبها كانت نسبتها
على السواء فعلمنا ان النفس المعشقة عاشقة للبدن المعين بالجملة ومثال ذلك
العطشان اذا صادف انه متساويه كل منهما لحصل غرضه استوى عليه ان يعشق
واحدا منهما بعينه دون سائرها الوجه الحادي عشر بعد المائة ان نفس الانسان
لو كانت جوهرا مجردا لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلة بالعالم ولا منفصلة
عنه ولا مباينة له ولا محايثة لكنا نعلم بالضرورة انه موجود بهذه الصفة
ان علم الانسان بنفسه وصفاتها اظهر من كل معلوم ان علمه بما عداه تابع لعلمه
بنفسه ومعلوم قطعا ان ذلك بالجملة فان جماهير اهل الارض يعلمون اثبات
هذا الموجود محال في العقول شاهدا وغائبا فمن قال ذلك في نفسه ورد
فلا نفسه عرف ولا ربه عرف الوجه الثاني عشر بعد المائة ان هذا البدن
المشاهد محل لجميع صفات البدن للنفس وادراكاتها الكلية والجزئية ومحل
للقدرة على الحركات الارادية يوجب ان يكون الحامل لتلك الادراكات والصفات
هو البدن وما ذكر فيه فاما ان يكون محلها جوهرا مجردا لا داخل العالم
ولا خارجه فباطل بالضرورة الوجه الثالث عشر بعد المائة ان النفس لو كانت
مجردة عن الجسمية والتحيز لامتنع ان يتوقف فعلها على مماسة محل الفعل
لان ما لا يكون متحيزا لم يصر مماسا للمتحيز ولو كان الامر كذلك لكان فعلها
على سبيل الاختراع من غير حاجة الى حصول مماسة وملاقاة من الفاعل ومحل

الفعل

الفعل فكان الواحد منا قادرا على تحريك جسم غيره من غير مماسة له ولا ملاقاة
وذلك باطل بالضرورة فعلم ان النفس لا تقوى على التحريك الا بشرط ان تماس
محل الحركة او تماس ما يماسه وكل ما كان مماسا للجسم او لما يماسه فهو جسم فان
قيل يجوز ان تكون باشرة النفس في تحريك بدنها الخاص غير مشروطة بالمماسة
وتاثيرها في تحريك غيره موقوف على حصول المماسة من بدنها ومن ذلك
الجسم فالجواب انه لما كان قبول البدن لتصرفات النفس لا يتوقف على حصول
المماسة من النفس والبدن وجب ان يكون الحال كذلك في غيره من الاجسام
لان الاجسام متساوية في قبول الحركة ونسبة النفس الى جميعها سواء
لانها اذا كانت مجردة عن الجسمية وعلائق الجسمية كانت نسبة ذاتها الى
الكل بالسوية وهي كانت ذات الفاعل نسبتها الى الكل بالسوية كان الباعث بالنسبة
الى الكل على السواء اذا استغنى الفاعل عن مماسة محل الفعل في حق البعض وجب
ان تستغني في حق الجميع وان افتقر الى المماسة في البعض وجب افتقاره في
الجميع فان قيل النفس عاشقة لهذا البدن دون غيره فكان باشرتها فيه اقوى من
باشرتها في غيره قيل هذا العشق الشديد يقتضي ان يكون تعلقها بالبدن اكثر
وتصرفها فيه اقوى فاما ان تتغير مقتضى ذاتها بالنسبة الى هذه الاجسام فذلك
محال وهذا دليل في غاية الوجه الرابع عشر بعد المائة ان العقلاء كلهم
متفقون على ان الانسان هو هذا الحي الناطق المختبر الناي الحساس المتحرك
بالارادة وهذه الصفات نوعان صفات لبدنه وصفات لروحه ونفسه الناطقة

شبكة الألوكة www.alukah.net

فلو كانت الروح جوهرا مجردا لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلة به ولا
منفصلة عنه لكان الانسان لا داخل العالم ولا خارجه وكل عالم يعلم بالضرورة
بطلان ذلك وان الانسان بجملته داخل العالم بدنه وروحه وهذا في البطلان
يضاهي قول من قال ان نفسه قديمة غير مخلوقة فجعلوا نصف الانسان مخلوقا
ونصفه غير مخلوق فان قيل نحن نسلم ان الانسان كما ذكرتم لا انا نثبت جوهرا
مجردا الانسان الموصوف بهذه الصفات قلنا فذلك الجوهر الذي
اثبتموه مغاير للانسان ام هو حقيقة الانسان ولا بد لكم من احد الامرين.
فان قلتم هو حقيقة الانسان فقد صرتم ناقضين وان قلتم هو غير الانسان رجع
كلامكم الى انكم اثبتم مدبرا غيره سميتموه نفسا وكلامنا الآن انما هو في
حقيقة الانسان لا في مدبره فان مدبر الانسان وجميع العالم العلوي
والسفلي هو الله الواحد القهار. الوجه الخامس عشر نجد الماهية ان كل
عاقل اذا قيل له ما الانسان فانه يشير الى هذه البنية وما قام بها لا يخطر
بباله امر مغاير لها مجردا ليس في العالم ولا خارجه والعلم بذلك ضروري
لا تقبل شكا ولا تشكيكا. الوجه السادس عشر نجد الماهية ان عقولنا
العالمة قاضية بان الخطاب متوجه الى هذه البنية وما قام بها وساكنها
وكذلك المدح والذم والمذموم والمخاطب والعاقل جوهر مجرد ليس في
العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه لاضحك العقلاء على عقله
ولاطبقوا على تكذيبه وكلما شهدت بذلك العقول وصرائحها بطلانه كان

الاستدلال

الاستدلال على ثبوته استدلالا على صحة وجود الحال وبالله التوفيق.
فان قيل قد ذكرتم الادلة الدالة على جسميتها وتحيزها فما جوابكم عن ادلة
المنازعين لكم في ذلك فانهم استدلوا بوجوه. احدها اتفاق العقلاء على
قولهم الروح والجسم والنفس والجسم مجملون شاملون غير الجسم فلو كانت
جسما لم يكن لهذا القول معنى. الثاني وهو اقوى ما يحتجون به انه من المعلوم
ان في الوجودات ما هو غير قابل للقسمة كالنقطة والجوهر الفرد بل ذات
واجب الوجود فوجب ان يكون الموصوف بذلك العلم وهو محله غير قابل
للقسمة وهو النفس فلو كانت جسما لكانت قابلة للقسمة ويقرر هذا الدليل على
وجه آخر وهو ان محل العلوم الكلية لو كانت جسما او جسمانيا لانقسمت
تلك العلوم ان الحال في المنقسم منقسم وانقسام تلك العلوم مستحيل.
الثالث ان الصور العقلية مجردة بلا شك وتجردها اما ان يكون بسبب
الماخوذ عنه او بسبب الآخذ والاول باطل لان هذه الصور انما احدثت عن
الاشخاص الموصوفة بالمقادير المختلفة والاوضاع المعينة فثبت ان تجردها
انما هو بسبب الآخذ لها وهو القوة العقلية المسماة بالنفس. الرابع ان القوة
العاقلة تقوى على افعال غير متناهية فانها تقوى على ادراكات لا تتناهى
والقوة الجسمانية لا تقوى على افعال غير متناهية ان القوة الجسمانية
منقسمة بانقسام محلها فالذي تقوى عليه بعضها يجب ان يكون اقل من الذي تقوى
عليه كلها فالذي تقوى عليه الكل يزيد على الذي تقوى عليه البعض متناهية
والزائد على المتناهي بمتناه متناه. الخامس ان القوة الحافظة لو كانت حالة في الدماغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جسمانية لوجب ان يكون القوة العاقلة ذات آلة الادراك لتلك الآلة أو متبعة
الادراك لها بالكلية وكلاهما باطل وادراك القوة العاقلة لتلك الآلة
ان كان عن وجودها فهو محال وان كان صورة مساوية لوجودها وهي حالة
في القوة المتمثلة الحالة في تلك الآلة لزم اجتماع صورتين متماثلتين وهو
محال واذا بطل هذا ثبت ان القوة العاقلة لو ادركت انيتها لكان ادراكها
عبارة عن نفس حصول تلك الآلة عند القوة العاقلة فيجب حصول الادراك
وان لم تكف امتنع دائما ان يكفي هذا القدر من حصول الادراك وان لم يكف
امتنع حصول الادراك في وقت من الاوقات اذ لو حصل في وقت دون وقت
لكان لسبب امر زائد على مجرد حضور الآلة. السادس ان كل احد يدرك
نفسه وادراك الشيء عبارة عن حضور ماهية المعلوم عند العالم فاذا علمنا
انفسنا فاما ان يكون لاجل حضور ذواتنا لذواتنا او لاجل حضور صورة مساوية
لذواتها في ذواتها والقسم الثاني باطل والا لزم اجتماع المثلين فثبت انه
لا معنى لعلمنا بذواتنا الا حضور ذواتنا عند ذواتنا وهذا انما يكون اذا كانت
ذواتنا قائمة بالنفس غنية عن المحل لانها لو كانت حالة في محل كانت حاضرة عند
ذلك المحل فثبت ان هذا المعنى انما يحصل اذا كانت النفس قائمة بنفسها غنية
عن محل يحل فيه. السابع ما احتج به ابو البركات البغدادي وابطل ما سواه
فقال لا شك ان الواجد منا يمكنه ان يتخيل بحرا من زئبق وجبلا من ياقوت
وشموسا واقمارا فهذه الصور الخيالية لا تكون معدومة وقوة المتخيل تشير
الى تلك الصورة متميزة عن كل صورة وغيرها وقد تقوى ذلك المتخيل

الى ان يصير كالشاهد المحسوس ومعلوم ان الحد المحض والنفي الصرف لا يثبت
فيه ذلك ونحن نعلم بالضرورة ان هذه الصور ليست موجودة في الاعيان
فثبت انها موجودة في الادهان فنقول محل هذه الصور اما ان يكون جسما
او حالا في الجسم او لا جسما ولا حالا في الجسم والقسمان الاولان باطلان
ان صورة الحمار والفيل صورة عظيمة والدماغ والقلب جسم صغير وانطباع
العظيم في الصغير محال فثبت ان محل هذه الصور الخيالية ليس بجسم
ولا جسماني. الثامن لو كانت القوة العقلية جسمانية لضعف عند ضعف في زمان
الشيخوخة دائما وليس كذلك. التاسع ان القوة العقلية غنية في افعالها
عن الجسم وما كان غنيا في فعله عن الجسم وجب ان يكون غنيا في ذاته عن
الجسم بيان الاول ان القوة العقلية تدرك نفسها ومن المحال ان يحصل منها
ومن غيرها آلة متوسطة ايضا وتدرك ادراكها لنفسها وليس هذا الادراك
بآلة وايضا فانها تدرك الجسم الذي هو آلتها وليس منها ومن آلتها آلة
اخرى وبيان الثاني من وجهين احدهما ان القوى الجسمانية كالباصرة
والسامعة والخيال والوهم لما كانت جسمانية تقدر على ادراك ذواتها
وادراكها لكونها مدركة لذواتها وادراكها للملك الاجسام الحاملة لها فلو كانت
القوة العقلية جسمانية لقدرت على هذه الامور الثلاثة الثاني ان مصدر الفعل
هو النفس فلو كانت النفس متعلقة في قوامها ووجودها بالجسم لحصل لها الاتصال
الاشركة من الجسم ولما ثبت انه ليس كذلك ثبت ان القوة العقلية غنية عن
الجسم. العاشر ان القوة الجسمانية تكل بكثرة الافعال ولا تقوى على القوى بعد

الضعف وسببه ظاهر فان القوى الجسمانية بسبب الافعال تتعرض
موادها للتحلل والذبول وهو موجب الضعف واما القوة العقلية فانها لا
تضعف بسبب كثرة الافعال وتقوى على القوى بعد الضعيف فوجب ان لا
يكون جسمانية الحادى عشر انا اذا حكمنا بان السواد مضاد للبياض وجب
ان يحصل فى الدهر ماهية السواد والبياض والبديهة حاكمة بان اجتماع السوا
والبياض والحرارة والبرودة فى الاجسام محال فلما حصل هذا الاجماع فى القوة
العقلية وجب ان لا تكون قوة جسمانية الثانى عشر انه لو كان محل الادراكات
جسما فكل جسم منقسم لا محالة لم يمتنع ان تقوم ببعض اجزاء الجسم علم بالشى
وببعضه الاخر منه وحينئذ فيكون الانسان فى الحال الواحد عالما بالشى
وجاهلا به الثالث عشر ان المادة الجسمانية اذا حصلت فيها نفوس
مخصوصة فان وجود تلك النفوس فيها تمنع من حصول نفس غيرها واما النفوس
العقلية بالضد من ذلك ان النفس اذا كانت من جميع العلوم والادراكات
فانها تصعب عليها التعلم فاذا تعلمت شيأ صار حصول تلك العلوم معينا
على سهولة غيرها فالنفوس الجسمانية متغايرة متنافرة والنفوس العقلية
متعاونة متعاضدة الرابع عشر ان النفس لو كانت جسما لكان من ارادة
العبد تحريك رجله ومن تحريكها زمانا على قدر حركة الجسم وثقله فان
النفس هى المحركة للجسم والمؤثرة لحركته فلو كان المحرك للرجل جسما فاما ان
يكون حاصلا فى هذه الاعضاء او جانبا اليها فان كان فى جانبها احتاج الى
مدة ولا بد وان كان حاصلا فيها فحينئذ اذا قطعنا تلك العضلة التى يكون بها

الحركة لم يبق منها فى العضو المتحرك شى فلو كان ذلك المتحرك حاصلا فيه لبقى
منه شى فى ذلك العضو الخامس عشر لو كانت النفس جسما لكانت منقسمة
ولصح عليها ان يعلم بعضها كما يعلم كلها فيكون الانسان عالما ببعض نفسه
جاهلا ببعضها الاخر وذلك محال السادس عشر لو كانت النفس جسما لوجب
ان يشغل البدن بزيد خولها فيه ان شأن الجسم الفارغ اذا املاه غيره ان يشغل
به كالزق الفارغ والامر بالعكس واخص ما يكون البدن اذا كانت فيه النفس
واقل ما يكون اذا فارقه السابع عشر لو كانت النفس جسما لكانت على صفات
سائر الاجسام التى لا تخلو منها اما الجثة والثقل او الحرارة والبرودة او الرطوبة
والجفوفة او السواد والبياض وغير ذلك من صفات الاجسام وكيفياتها ومعلوم
ان كيفيات الاجسام انما هى الفضائل والرذائل لا تلك الكيفيات الجسمانية
فالنفس ليست جسما الثامن عشر انها لو كانت جسما لوجب ان يقع تحت جميع
الحواس او تحت حاسة منها او حاستين او اكثر فانا نرى الاجسام كذلك منها
ما يدرك بجميع الحواس ومنها ما يدرك باكثرها ومنها ما يدرك حاستين
منها او بواحدة والنفس بريئة من ذلك كله وهذه الحجة التى اخرجها جمهر
على طائفة من الملاحدة حين انكروا الخالق سبحانه وقالوا لو كان موجودا لوجب
ان يدرك بحاسة من الحواس فعارضهم بالنفس المعارضة اذا لم تكن جسما
والا فلو كانت جسما لجاز ادراكها ببعض الحواس التاسع عشر لو كانت جسما
لكانت ذات طول وعرض وعمق وسطح وشكل وهذه المقادير والابعاد
لا تقوم الا بمادة ومحل فان كانت مادتها ومحلها نفسا لزم اجتماع نفسين

وان كانت غير نفس كانت النفس تركبه من بدن وصورة وهي في جسد تركب من بدن
وصورة فكون الانسان انسانين ٭ العشرون ان من خاصة الجسم ان يقبل التجزي
والجزء الصغير منه ليس كالكبير ولو قبلت التجزي فكل جزء منها ان كان نفسا
لزم ان يكون للانسان نفوس كثيرة لا نفس واحدة وان لم تكن نفسا لم يكن
المجموع نفسا كما ان جزء الماء اذا اتركنا لا يكون مجموعه ماء ٭ الحادي
والعشرون ان الجسم يحتاج في تولده وحفظه وبقائه الى النفس ولهذا اضمحلت
وتلاشى لما فارقه فلو كانت جسما لكانت تحتاج الى نفس اخرى ولهم جرا
وتسلسل الامر وهذا المحال انما لزم من كون النفس جسما ٭ الثاني والعشرون
لو كانت جسما لكان ايضا لها بالجسم ان كان على سبيل المداخلة لزم داخل
الاجسام وان كان على سبيل الملاصقة والمجاورة كان الانسان الواحد جسمين
متلاصقين احدهما يرى والاخر لا يرى فهذا كل ما موهت به هذه الطائفة
المبطلة من سخفه وموهونه ومتردده ونحن نجيبهم عن ذلك كله فصلا بفصل
بحول الله وقوته ومعونته ٭ واما قولهم ان العقلاء متفقون على قولهم
الروح والجسم والنفس والجسم وهذا يدل على تغايرهما فالجواب ان
نقول مسمى الجسم في اصطلاح المتفلسفة والمتكلمين اعم من مسماه في لغة
العرب وعرف اهل العرف فان الفلاسفة يطلقون الجسم على قابل الابعاد
الثلاثة خفيفا كان او ثقيلا مرئيا كان او غير مرئي فيسمون الهواء جسما والنار
جسما والماء جسما وكذلك الدخان والبخار والكواكب ولا يعرف في لغة
العرب تسمية شيء من ذلك جسما البتة فهذه لغتهم واشعارهم وهذه

النقول عنهم في كتب اللغة قال الجوهري قال ابو زيد الجسم الجسد وكذلك
الجسمان والجثمان قال الاصمعي الجسم والجسماني الجسد والجثمان الشخص وقد
جسم الشيء اي عظم فهو عظيم جسيم وجسام بالضم وخرا اسمنا المنفس
جسما فانما هو باصطلاح جهم وعرف خطابهم وان لم تكن جسما باعتبار وضع
اللغة ومقصودنا بكونها جسما اثبات الصفات والافعال والاحكام التي
دلت عليها الشرع والعقل والحس من الحركة والاستقبال والصعود والنزول
ومباشرة التغير والعذاب والالم واللذة والالم وكونها تحبس او ترسل وتدخل
وتخرج فلذلك اطلقنا عليها اسم الجسم بحسب هذه المعاني وان لم يطلق
عليها اهل اللغة اسم الجسم والكلام مع هذه الفرقة المبطلة في المعنى
لا في اللفظ ومقول اهل التخاطب الروح والجسم هو هذا المعنى واما
الشبهة الثانية فهي اقوى شبههم التي بها يصولون وعليها يعولون وهي
مبنية على اربع مقدمات احدها ان في الوجود ما لا يقبل القسمة بوجه من
الوجوه الثانية انه يمكن الجوهرة الثالثة ان الجوهرة غير منقسمة الرابعة انه يجب
ان يكون محل الجوهرة كذلك اذ لو كان جسما لكان منقسما وقد زعم في ذلك
جمهور العقلاء وقالوا الرقيموا دليلا على ان في الوجود ما لا يقبل القسمة
الحسية والوهمية وانما بانديكردعا ولا حقيقة لها ولنا اثبتموه من
واجب الوجود وسونا على اصلكم الباطل عند جميع العقلاء من اهل الملل
وغيرهم من انكار ما هيد الرب تعالى وصفاته وانه وجود مجرد لا صفة له
ولا ماهية وهذا قول باينتربه العقول وجميع الكتب المنزلة من السماء

واجماع الرسل ومتعسر به علم الله وقدرته ومشيته وسمعه وبصره وعلوه على
خلقه ومتعسر به خلق السموات والارض في ستة ايام وتسميته توحيدا وهو اصل
كل تعطيل قالوا والمقطد الى استدل للتحيزها هي من اظهر ما يبطل دليلكم فانها غير
منقسمة وهي حالة في الجسم فقد حل في المنقسم ما لا ينقسم ثم ان شئتم الجوهر
الفرد وهو جمهور المتكلمين نازعونكم في هذا الاصل ومقولون الجوهر حال
في الجسم وهو مركب منه فقد حل في المنقسم ما ليس بمنقسم ولا يمكن تتميم دليلكم
الا بنفي الجوهر الفرد فان قلتم المقطد عبارة عن نهاية الخط وفناده وعدمه
فهي امر عدمي بطل استدلالكم بها وان كانت امرا وجوديا فقد حلت في المنقسم
فبطل الدليل على التقديرين قالوا وايضا فلم لا يكون الجزء حالا في محله لا على
وجه والسريان فان حلوله كل شئ في محله بحسبه فحلول الحيوان في
الدار نوع وحلول الخط في الكتاب نوع وحلول الذهن في المتنفس نوع
وحلول العرض في الجسم نوع وحلول الروح في البدن نوع وحلول العلوم
والمعارف في النفس نوع قالوا وايضا فالوحدة حاصلة فان كانت جوهرا فقد
ثبت الجوهر الفرد وبطل دليلكم فانه لا شئ الا منقسم وان كانت عرضا وجب
ان يكون لها محل فمحلها ان كان منقسما فقد جاز قيام غير المنقسم بالمنقسم وان
كان غير منقسم وجب فهو الجوهر الفرد وبطل دليلكم فان قلتم الوحدة امر
عدمي لا وجود له في الخارج فان واجب الوجود الذي اثبتموه امر عدمي لا
مستحيل الوجود قالوا وايضا فالاضافات عارضة للاقسام مثل الفوقية
والتحتية والمالكية والمملوكية فلو انقسم الحال بانقسام محله لزم انقسام

هذه الاضافات فكان يكون الجسم الفوقية والتحتية ربع وثمر وهذا لا
تقبله العقل قالوا وان القوة الوهمية والمفكرة جسمانية عندان عمكم ان
سمنا فلزم ان يحصل لها اجزاء وابعاض وذلك محال لانها لو انقسمت لكان كل
واحد من ابعاضها اركان مثلها كان الجزء مساويا للكل وان لم يكن مثلها لم يكن
الاجزاء كذلك وايضا فان الجوهر لا معنى له الا كون هذا صدقا وهذا عدوا
وذلك لا يقبل القسمة قالوا وان الوجود امر زائد على الماهيات عندكم
فلو لزم انقسام الحال لانقسام محله لزم انقسام ذلك الوجود بانقسام
محله وهذا الوجه لا يلزم من رجع وجود الشئ عن ماهيته قالوا وايضا
فطبائع الاعداد ماهيات مختلفة فالمفهوم من كون العشرة عشرة مفهوم
واحد وماهية واحدة فتلك الماهية اما ان تكون عارضة لكل واحد من
تلك الاعداد وهو محال وايضا والمفهوم من كون العشرة عشرة لا تقبل
القسمة نعم العشرة تقبل القسمة لا عشريتها قالوا فقد فارق ما لا ينقسم بالمنقسم
قالوا وايضا فالكيفيات المختصات بالكميات كالاستدارة والتثليث ونحوهما
عند الفلاسفة اعراض موجودة في مشد الاستدارة ان كانت عرضا فاما
ان تكون قائمة بكل واحد من الاجزاء وهو محال واما ان تنقسم ذلك
العرض بانقسام الاجزاء وتقوم بكل جزء من اجزاء الخط جزء من اجزاء ذلك العرض
وهو محال ان جزءه ان كان استدارة لزم ان يكون جزء الدائرة دائرة وان
لم يكن استدارة فعند اجتماع الاجزاء ان لم يحدث امر زائد وجب ان لا يحصل
استدارة وان حدث امر زائد فان كان منقسما عاد التقسيم وان لم ينقسم

وايضا ان التقسيم ينافي تلك الوحدة وهو محال م

كان الحال غير منقسم ومحله منقسما قلت وهذا لا يلزمهم فان لهم ان يقولوا ان المنقسم
بانقسام محله تبعا كسائر الاعراض القائمة بمحالها من البياض والسواد واما
ما لا ينقسم كالطول بشرط حصوله اجتماع الاجزاء والحلق على الشرط
مستف باسنادهم قالوا وان هذه الاجسام ممكنة بذواتها وذلك صفة عرضية
لها خارجة عن ماهيتها فان لم تنقسم بانقسام محلها بطل الدليل وان انقسم
عاد المحذور المذكور من مساواة الجزء للكل او التسلسل قلت وهذا ايضا لا يلزم
ان الامكان ليس امرا زايدا على قولنا الممكن للوجود والعدم وذلك القبول
من لوازم ذاته ليس صفة عارضة ولكن الذهن يجرد هذا القبول عن العالم
فكون عروضه للماهية مجردة الذهن واما قضية مشاركة الجزء للكل فلا امتناع
في ذلك كسائر الماهيات البسيطة فان جزءها مساو لكلها في الحد والحقيقة
والمعقول في ابطال غيره الشهادة كالماء والتراب والهواء واما الممتنع ان يتساوى
الجزء للكل في الكم لا في نفس الحقيقة والمعقول في ابطال هذه الشهادة على ان
العلم ليس بصورة حالة في النفس وانما هو نسبة واضافة من العالم والمعلوم كما
نقول في الابصار انه ليس بانطباع صورة متساوية للمبصر في القوة الباصرة
وانما هو نسبة واضافة بين القوة الباصرة والمبصرة وعامة شبههم التي اوردوها
في هذا الفصل مبنية على انطباع صورة المعلوم في القوة العالمة ثم بنوا على ذلك
ان اقسام ما لا ينقسم في المنقسم محال وقولهم محل العلوم الكلية لو كان جسما
او جسمانيا لانقسمت تلك العلوم لان الحال في المنقسم منقسم لم نذكر واعلى صحة هذه
المقدمة دليلا ولا شبهة وانما بادهوا بمجرد الدعوى وليست بديهية حتى

تسمع

تستغني عن الدليل وهي مبنية على ان العلم بالشيء عبارة عن حصول صورة
مساوية لماهية المعلوم في نفس العالم وهذا من اظل الباطل للوجود الى
يذكر هناك وايضا فلو سلمنا لكم ذلك كان من اظهر الادلة على بطلان قولكم
فان هذه الصورة اذا كانت حالة في جوهر النفس الباطنة فهي صورة جزئية
حالة في نفس جزئية يعارضها سائر الاعراض الحالة في تلك النفس الجزئية فاذا
اعتبرنا تلك الصورة مع جملة هذه اللواحق لم تكن صورة مجردة بل
بلواحق وعوارض وذلك يمنع كليتها فان لم نعتبر المراد بكونها كلية انا اذا اخذنا
عنها تلك اللواحق واعتبرناها من حيث هي هي كانت كلية قلنا لكم فاذا جاز
هذا فلم لا يجوز ان يقال هذه الصورة حالة في مادة جسمانية مخصوصة
بمقدار معين وكل معين الا انا اذا اخذنا عنها ذلك واعتبرناها من حيث
هي هي كانت بمنزلة تلك الصورة التي فعلنا بها ذلك فالمعين في مقابلة المعين
والمطلق المأخوذ من حيث هو هو في مقابلة محله المطلق وهذا هو المعقول
الذي شهدت به العقول الصحيحة والميزان الصحيح فظهر ان هذه الشبهة
من افسد الشبه وابطلها وانما اتى القوم من الكليات فانها التي خربت دورهم
وافسدت نظرهم ومناظرهم فانهم جردوا امورا كلية لا وجود لها في الخارج ثم
حكموا عليها باحكام الموجودات وجعلوها منزانا واصلا للموجودات فان جردوا
صور المعلومات وجعلوها كلية جردنا نحن محلها وجعلناها كما وان
جزئية معتبرة محلها كذلك فالكل في مقابلة الكلي والجزئي في مقابلة الجزئي
على انا نقول ليس في الخارج الذهني كلي وانما في الذهن صورة معينة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شخصه منطبقه على سائر افرادها فارسمت كليته بهذا الاعتبار فلا تشاركه في
الالفاظ وهي كليه وجزئيه باعتبارين قولكم في الوجه الثالث ان الصوة
العقليه مجرده ومجردها انما هو سبب الاخذ لها وهو القوه العقليه
جوابه ان تعالما الذي تردون بهذه الصور العقليه الكليه اتريدون به ان
المعلوم حصل في ذات العالم وان العلم حصل في ذات العالم فالاول ظاهر
الاحاله والثاني حق الا انه لا يفيد كرشا في الامر الكلي المشترك بين الاشخاص
الانسانيه هو الانسانيه لا العلم بها والانسانيه لا وجود لها في الخارج
كليه والوجود في الخارج المتشخصات فقط والعلم تابع للمعلوم فكما ان المعلوم
متعين فالعلم به متعين لكنه صورة منطبقه على افراد كثيره فليس في الذهن
ولا في الخارج صوة غير منقسمه البته وكم قد غلط في هذا الموضع طوائف
من العقلا لا يحصيهم الا الله فالصوة الكليه التي تثبتونها وتزعمون انها حالة
في النفس فهي صوة شخصيه موصوفه بعوارض شخصيه فهب ان هذه الصوة
العقليه حالة في جوهر ليس بجسم ولا جسماني فانها غير مجرده عن العوارض
فان قلتم مرادنا بكونها مجرده النظر اليها من حيث هي هي مع قطع النظر عن
تلك العوارض قيل لكم فلم لا يجوز ان تكون الصوة الحالة في المحل الجسماني
منقسمه وانما تكون مجرده اذا نظرنا اليها من حيث هي هي بقطع النظر عن
عوارضها قولكم في الرابع ان القوة العقليه تقوى على افعال غير متناهيه
ولا شئ من القوى الجسمانيه كذلك جوابه انا لا نسلم انها لا تقوى على
افعال غير متناهيه قولكم انها تقوى على ادراكات لا تتناهى والادراكات

افعال

افعالا معدة متاركا دبان فان ادراكاتها وان لم تبلغ ما لا تحد فهي متناهيه فلو كان
لها بكل بعض الف الف ادراك لتناهت ادراكاتها فهي قطعا بانتهى الادراكات
والمعارف الى حد لا يمكنها ان تزيد عليها شيئا كما قال تعالى وفوق كل ذي علم
عليم الى ان ينتهي العلم الى من هو بكل شئ عليم فهو الله الذي لا اله الا الله وحده
وذلك من خصائصه التي لا تشرك فيها احد سواه فان قلتم لو انتهى ادراكها
الى حد لا يمكنها المزيد عليه لزم انقلاب الشئ من الامكان الذاتي قلنا فهذا
بعينه لو صح ذلك على ان القوه الجسمانيه تقوى على افعال غير متناهيه
وذلك يوجب سقوط الشبهه وبطلانها وايضا فان قوه التخيل والتذكر
والتفكر تقوى على استحضار المتخيلات والمذكرات الى غير نهاية مع انها
عند كم قوى جسمانيه فان قلتم لا نسلم انها تقوى على ما لا يتناهى قيل
لكم وبحكم انما تقول خصمكم في القوه العاقله سواء واما كذب المقدمه الثانيه
فان الادراك ليس بمعقول فلا يلزم من تناهي معلوماتها تناهي ادراكها وقد صرحتم
بان الجوهر العقلي قابل لصوة المعلوم لانه فاعل لها والشئ الواحد لا يكون
فاعلا وقابلا عندكم وقد صرحتم بان الاجسام يمتنع عليها افعال لا نهايه
لها ولا يمتنع عليها جهولات وانفصال لا تناهي وقد اوردنا سبيلا على
هذه الشبهه سواء الا قالك ليس النفس الفلكيه المباشره لتحريك الفلك
قوه جسمانيه مع ان الحركات الفلكيه غير متناهيه واجاب عنه بانها وان
كانت قوه جسمانيه الا انها تستمد الكمال من العقل فلهذا السبب قدرت
على افعال غير متناهيه فنقول له فاذا كان الامر عندك كذلك فلم لا يجوز

ان يقال ان النفس الناطقه تستمد الكمال والقوة من فاطرها ومبشرها الذي
له القوه جسمًا فلا جرم يقوى مع حركتها جسمانيه على ما لا تناهي فاذا افلت بذلك
وافت الرسل والعقل ودخلت مع زمرة المسلمين وفارقت العصبة المبطلين
تولكم في الحابس لو كانت القوه العاقله حالّه في آله جسمانيه لوجب ان يكون آله
الادراك لتلك الآله او ممتنعه الادراك كلها فهو مبني على اصلكم الفاسد
من ان الادراك عبارة عن حصول صورة مساوية للمدرك في القوه المدركه
ثم لو سلمنا لكم ذلك الاصل لم نسلم لكم شيئا فان حصول تلك الصورة يكون شرطًا
لحصول الادراك فاما ان يقال ان الادراك غير حصول تلك الصورة فهذا
لا يقوله عاقل فلا يجوز ان يقال القوه العقليه حالّه في جسم مخصوص ثم ان
القوه الناطقه قد تحصل لها حال اضافيه تسمى بالشعور والادراك فحينئذ
تصير القوه العاقله مدركه لتلك الآلة وقد لا توجد تلك الحاليه الاضافيه
فتصير عاقله عنها واذا كان هذا ممكنا سقطت تلك الشبهه رأسًا ثم نقول
لا يدعون انها اذا عقلتنا شيئا فان الصورة الحاضرة في العقل مساويه لتلك
المعقوله من جميع الوجوه والاعتبارات او لا يجب حصول هذه المساواة
من جميع الوجوه لو لزم من حدوث صورة اخرى في القلب والدماغ اجتماع
المثلين وايضا فالقوة العاقلة حالّه في جوهر القلب او الدماغ والصورة
الحادثة حالّة في القوه العاقله فاحدى الصورتين محل للقوة العاقلة والثانية
حالّه فيها فلم لا يكفي هذا القدر من المغايره وايضا فمن اذا رأينا المسافة الطويلة
والبعد الممتد فهل يوقف هذا الابصار على ان يسام صورة المرئي في عين

الرأي

الرأي او لا يتوقف فان يتوقف لزم اجتماع المثلين فالقوه الباصره عندكم
جسمانيه فهي في محل له حجم ومقدار فاذا حصل فيه حجم المرئي ومقداره لزم
اجتماع المثلين واذا جاز هناك فلم لا يجوز مثله في مسئلتنا وان كان ادراك
الشيء لا يتوقف على حصول صورة المرئي في الرأي بطل قولكم ان ادراك القلب
والدماغ في القوه العاقله وايضا قولكم لو كانت القوه العقليه حالّه في
جسم لوجب ان يكون آلة الادراك لذلك الجسم لكن ادراكنا لقلبنا
ودماغنا غير فاسد فهذا انما يلزم من يقول انها حالّه في القلب والدماغ
واما من يقول انها حالّة في جسم مخصوص وهو النفس وهي مشابكة للبدن
فهذا الالزام غير وارد عليه فانه يقول النفس جسم مخصوص والانسان
عالم بانه جسم مخصوص ولا يزول ذلك عن عقله الا اذا عرضت له الغفلة
فسقطت الشبهه التي عولتم عليها على كل تقدير. قولكم في السادس ان كلا
يدرك نفسه فالادراك عبارة عن حصول ماهيه المعلوم عند العالم وهذا
انما يصح اذا كانت النفس غنيه عن المحل الى اخره جوابه ان ذلك مبني على الاصل
المتقدم وهو ان العلم عبارة عن حصول صورة مساوية للمعلوم في نفس
العالم وهذا باطل من وجوه كثيره مذكورة في مسئلة العلم حتى لو سلمنا ذلك
فالصورة المذكورة شرط في حصول العلم لانها نفس العلم وايضا فهذه الشبهه
مع ركاكة الفاظها وفساد مقدماتها معارضة فاما اذا اخذنا حجرا او خشبة
قلنا هذا جوهر قائم بنفسه فذاته حاضره عند ذاته فلم لا يجوز في هذه الجمادات
ان يكون عالمه بذواتها وايضا فجميع الحيوانات مدركة لذواتها فلو كان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كون الشئ مدركا لذاته يقتضى كونه ذاته جوهرا لزم كون نفوس الحيوانات
بأسرها جواهر مجردة وأنتم لا تقولون بذلك ۞ قولكم في السابع ان الواحد منا
يتخيل بحرا من زيبق وجبلا من ياقوت الى اخره وهو شبهة ابى البركات البغدادى
شبهة واضحة جدا فانها مبنية على ان تلك المتخيلات أمور موجودة وانها
منطبعة فى النفس الناطقة انطباع النقش فى محله ومعلوم قطعا ان هذه
المتخيلات لا حقيقة لها فى ذاتها وانما الذهن يفرضها تقديرا وليست منطبعة
فى النفس فان العلوم الحاصلة لا تنطبع صورها فى النفس فكيف بالخيالات
المحدودة هذه منه ولا نمنع من وقوع التمييز بين الاعدام المضافة فان العقل
يميز بين عدم السمع وعدم البصر وعدم الشعر وغير ذلك ولا يلزم من هذا
التمييز كون هذا الاعدام موجودة بل يميز بين انواع المستحيلات التى لا يمكن
وجودها البتة ثم نقول اذا عقل الاشكال والمقادير مما كان مجردا عن الجسمية
والمقدار من كل الوجوه فلا تعقل حلول العظم بالشكل العظيم والمقدار
العظيم فى الجسم الصغير وايضا فاذا كان عدم الانطباق من جميع الوجوه
لا يمنع من حلول الصورة والشكل فى الجوهر فعدم انطباق العظيم على الصغير
أولى ان لا يمنع من حلول الصور العظيمة فى المحل الصغير وايضا فان سلفكم
من الاوايل اقاموا الدليل على ان انطباع الصور الخيالية فى الجوهر المجرد
محال وذكروا له وجوها ۞ قولكم فى الثامن لو كانت القوة العقلية جسمانية
لضعفت فى زمن الشيخوخة وليس كذلك جوابه من وجوه احدها لم لا يجوز
ان يقال القدر المحتاج اليه من صحة البدن فى كمال القوة العقلية مقدار

ممكن

معين واما كمال حال البدن فى الصحة فانه غير معتبر فى كمال حال القوة العقلية
واذا احتمل ذلك لم يبعد ان يقال ذلك القدر المحتاج اليه باق الى اخر الشيخوخة
فسقى العمل الى اخرها الوجه الثانى ان الشيخ لعله انما يمكنه ان يستمر فى
الادراكات العقلية على الصحة عمله بعض الاعضاء التى يتأخر الفساد
والاستحالة اليها فاذا انتهى اليها الفساد والاستحالة فسد عقله وادراكه
الوجه الثالث انه لا يمتنع ان يكون بعض الابزاج أو فى بعض القوى فلعل
بمزاج الشيخ اذا كان فى غاية القوة والشدة كانت سائر القوى قوية فيكون
القوة السوداوية والعصبية قوية جدا وقوة هذا القوى يمنع العقل من
الاشكال فاذا حصلت الشيخوخة وحصل الضعف حصل بسبب الضعف
ضعف فى هذه القوى المانعة للعقل من الاشكال وحصل فى العقل ايضا
ضعف ولكن بعد ما حصل فى العقل من الضعف حصل ذلك فى اضداده
فيحترز البقيضان من احد الجانبين بالبقيضان من الجانب الاخر فتقع الاعتدال
الوجه الخامس ان الشيخ حفظ العلوم والتجارب الكثيرة ومارس الامور
ودربها وكثرت تجاربه وهذه الاحوال معينة على وجوه البكر وفى النظر
مقاومة النقصان الحاصل بسبب ضعف البدن والقوى الوجه السادس
ان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات الراسخة فصارت الزيادة الحاصلة
بهذه الطريق جائزة للنقصان الحاصل بسبب اخلاف البدن الوجه
السابع انه قد ثبت فى الصحيح عند صلى الله عليه وسلم قال عمره ان ازداد
ونشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل والواقع شاهد لهذا الحديث

مع ان الحرص والامل من القوى الجسمانية والصفات الخيالية ثم ان ضعف
البدن لم يوجب ضعف هاتين الصفتين فعلم انه لا يلزم من اختلال البدن
وضعفه ضعف الصفات البدنية الوجه الثامن انا نرى كثيرا من الشيوخ
تصرون في الحرف وضعف العقل لهذا هو الاغلب ويدل عليه قوله
تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا فالشيخ في ارذل
عمره يصير كالطفل واسوأ حالا منه واما من لم يحصل له ذلك فانه لا يرد
الى ارذل العمر الوجه التاسع انه لا يلزم من قوة البدن وقوة النفس
ولا من ضعفه وضعفها فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف النفس جبانا
جوازا وقد يكون ضعيف البدن قوي النفس فيكون شجاعا هذا اما على ضعف
بدنه الوجه العاشر انه لو سلم لكم ما ذكرتم لم يدل على كون النفس
جوهرا مجردا لاه اخل العالم ولا خارجه ولا هي في البدن ولا خارجة عنه
لانها اذا كانت جسما مشرقا صافيا سماويا مخالفا للاجسام الارضية فلا
يلزم من حصول الاتحاد والدخول في هذا البدن حصولها في جوهر
النفس قولكم في التاسع ان القوة العقلية غنية في افعالها عن الجسم وما كان
غنيا عن الجسم في افعاله كان غنيا عنه في ذاته الى اخره جوابه ان يقال لا
يلزم من ثبوت حكم ما في قوة جسمانية ثبوت مثل ذلك الحكم في جميع القوى
الجسمانية وليس معكم غير الدعوى المجردة والقياس الفاسد وايضا فالصور
والاعراض محتاجة الى محلها وليس احتياجها الى تلك المحال الا لتجرد
ذواتها ثم لا يلزم من استقلالها بهذا الحكم استغناؤها في ذواتها عن تلك

المحال

المحال فلا يلزم من كون الشيء مستقلا بالفاضل من الاحكام ان يكون مستغنيا في
ذاته عن المحل والله اعلم قولكم في العاشر ان القوة الجسمانية تكل بكثرة الافعال
ولا تقوى على القلوب بعد الضعف الى اخره جوابه ان القوة الخيالية جسمانية
ثم انها تقوى على تخيل الاشياء العظيمة مع مخالفتها للاشياء الحقيرة فانها تدرك
ان تخيل الشعلة الصغيرة حال ما تخيل الشمس والقمر وايضا فان ابصار الاشياء
القوية القاهرة تمنع ابصار الاشياء الضعيفة فلذلك تقول المعقولات العظيمة
العالية تمنع تعقل المعقولات الضعيفة فان المستغرق في معرفة جلال
رب الارض والسموات واسمائه وصفاته ممتنع عليه في تلك الحال الفكر في
ثوب الجوهر الفرد وحقيقته قولكم في الحادي عشر انا حكمنا بان السواد
مضاد للبياض وجدان يحصل في الذهن ماهية السواد والبياض معا والبديهة
حاكمة بان اجتماعهما في الجسم محال جوابه ان هذا مبني على ان المدرك شيئا فقط
حصل في ذات المدرك صورة مساوية للمدرك وهذا باطل واستدلالكم
على صحته بانطباع الصورة في المرآة باطل فان المرآة لم ينطبع فيها شيء البتة
كما تقوله جمهور العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم والقول بالانطباع
باطل من وجوه كثيرة ثم نقول اذا كنتم تقولون ان المنطبع في النفس عند ادراك
السواد والبياض رسومهما ومثالهما لا حقيقتهما فلم لا يجوز حصول رسوم
هذه الاشياء في المادة الجسمانية قولكم في الثاني عشر انه لو كان محل الادراك
جسما فكل جسم سقيم لم يمنع ان يكون بعض اجزائه عالما بالشيء وبالجزء الاخر
منه جاهلا به فيكون الانسان عالما بالشيء جاهلا في وقت واحد جوابه ان هذه

شبكة الألوكة www.alukah.net

الشبهة مبقصده على اصولكم فان الشهوة والغضب والخجل من الاحوال الجسمانية
عندكم ومحلها مقبور فلزمكم ان يجوز واقيام الشهوة والغضب باحد الجزئين
وضدهما بالجزء الاخر فيكون مشتهيا للشيء نافرا عنه غضبانا عليه غير غضبان
في وقت واحد قولكم في المالك عشر ان المادة الجسمانية اذا حصلت فيها نفوس
مخصوصة امتنع فيها حصول ضدها والنفوس البشرية تضاد ذلك الى اخره
جوابه ان غاية هذا ان يكون ما سماه ممتازا غير جايز وذلك لا يفسد الظن
فضلا عن اليقين فان النفوس العقلية هي العلوم والادراكات والنفوس
الجسمانية هي الاشكال والصور ولا يمتنع ان العلوم مخالفة بحقايقها للصور والاشكال
ولا يلزم من ثبوت حكم في نوع من انواع الماهيات ثبوته لما يخالف ذلك
النوع وقولكم في الرابع عشر لو كانت النفس جسما لكان يمتنع تحريك المحرك رجله ومن
اراد به للحركة زمانا الى اخره جوابه ان النفس مع الجسد لا يخلو من ثلاثة احوال
احدها اما ان يكون لابسة لجسد من خارج كالثوب او تكون في موضع واحد
كالقلب والدماغ او يكون سارية في جميع اجزاء الجسد وعلى كل تقدير من هذه
التقادير فحركتها المراد تحريكه تكون مع ارادتها لذلك بلا زمان كادراك البصر
لما يلامسه وادراك الشم والشر واذا قطعت العضو استقطع ما كان من جسم
النفس متحللا لذلك العضو سواء كانت لابسة له من داخل او من خارج بل
تفارق العضو الذي بطل حسه في الوقت وستقبل عنه بلا زمان ويكون مفارقتها
لذلك العضو كمفارقة الهوا اللآبا اذا ملى واما اذا كانت النفس ساكنة في موضع
واحد من البدن لزم ان موضع العضو المقطوع واما اذا كانت للبدن

من خارج لم يلزم ان يكون من اراد بها لتحريكه ونفس التحريك زمان لم يكون فعلها
جسما في تحريك الاعضا كفعل المغناطيس في الحديد وان لم يلاصقه ثم نقول
هذا الهذيان الذي شغلتم به الزمان وابدا على كم بعيد فانها عندكم غير
متصلة بالبدن ولا منفصلة عنه ولا داخلة فيه ولا خارجة عنه فلزمكم
مثل ذلك سواء قولكم في الخامس عشر لو كانت جسما لكانت منقسمة ولصح ان
يعلم بعضها ويجهل بعضها فيكون الانسان عالما ببعض بعضه جاهلا ببعض
الاخر جوابه ان هذه الشبهة مركبة من مقدمتين تلازمتا واستثنآه والمنع
واقع في كلا المقدمتين او احدهما فلا نسلم انها اذا كانت جسما لصح ان يعلم بعضها
ويجهل بعضها فان النفس بسيطة غير مركبة من هذه العناصر ولا من الاحوال
المختلفة فهذا منع المقدمة اللازمية واما استثنآها فلا نسلم انها لا يصح ان
يعلم بعضها حال عقلها عن البعض الاخر ولنذكر على بطلان ذلك شبهة
فضلا عن دليل ومن المعلوم ان الانسان قد يشعر بنفسه من بعض الوجوه دون
كلها ويتفاوت الناس فمنهم من يكون شعوره بنفسه اكثر من غيره بدرجات كثيرة
وقد قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم فهو لا نسوا انفسهم
لا من جميع الوجوه بل من الوجه الذي به مصالحها وكمالها وسعادتها وان لم ينسوها
من الوجه الذي منه شهوتها وغضبها وارادتها فانساهم مصالح انفسهم ان يفعلوها
ويطلبوها وعوقبوها وتقاضيها او يزلوها ويجتنبوها وكمالها الذي خلقت له
ان يعرفوه ويطلبوه فهم جاهلون بحقايق انفسهم من هذه الوجوه وان كانوا
عالمين بها من وجوه اخر قولكم في السادس عشر لو كانت النفس جسما لوجب ان

البدن دخولها فيه لان من شان الجسم اذا زدت عليه جسما اخر ثقل به فهذه
شبهه في غاية الثقالة والمسخ بها اثقل واثقل وليس كل جسم زيد عليه جسم
اخر مثله فهذه الشبهه تكون ثقيله فاذا زيد عليه جسم النار خف وهذا
الظرف تكون ثقيلا فاذا دخله جسم الهوا خف وهذا انما تكون في الاجسام
الثقاله التي تطلب المركز والوسط بطبعها وهي تتحرك بالطبع اليه واما الاجسام
التي تحرك بطبعها الى العلو فلا تعرض لها ذلك بل الامر فيها بالضد من تلك
الاجسام الثقاله اذا اضيف الى جسم ثقيل اكسبته الخفه وقد اخذ هذا
المعنى بعضهم فقال ثقلت زجاجات المسافر غاحتى اذا مليت بصرف الراح
خفت فكادت ان تطير بما حوت وكذا الجسوم تخف بالارواح
ولكرني السابع عشر لوكانت النفس جسما لكانت على صفات سائر الاجسام التي
لاتخلو منها الخفه والثقل والحراره والبرودة والرطوبه والبوسه و
والتلوين الى اخره شبهه فابده وحجه داحضه فانه لايجب اشتراك
الاجسام في جميع الكيفيات والصفات وقد فاوت الله سبحانه بين صفاتها
وكيفياتها وطباعها فمنها ما يرى بالبصر ويلمس باليد ومنها ما لايرى ولايلمس
ومنها ما له لون ومنها ما لا لون له ومنها ما يقبل الحران والبرودة ومنها ما
لا يقبله على ان للنفس من الكيفيات المختصه بها ما لا تشاركها فيها البدن
وله خفه وثقل وحران وبروده وبوسه ولين يحسها فانت تجد الانسان
في غاية الثقاله وبدنه يخف جدا وتجده في غاية الخفه وبدنه يثقل وتجد
نفسا لينه ونفسا بليده قاسيه ومن له سلم يشم رائحة بعض الموتى

كالخبيثه

كالخبيثه المنتنه ورائحة بعضها اطيب من المسك وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا مر في طريق شم اثر رائحته في الطريق ويعرف انه مر بها وتلك
رائحة نفسه وقلبه وكان رائحة عرقه من اطيب شي وذلك تابع لطيب نفسه
وبدنه واصدق وهو من اصدق البشر ان الروح عند المفارقه يوجدها كاطيب
نفحة مسك على وجه الارض او كاطيب ريح جيفة وجدت على وجه الارض
ولولا الزكام الغالب لشم الحاضرون ذلك على ان كثيرا من الناس يجد
ذلك وقد اخبره عن واحد وكفى به خبرا الصادق والمصدوق ولذلك اخبر
ان ارواح المؤمنين مشرقه وارواح الكفار سود وبالجمله فكيفيات النفس
اظهر من ان ينكرها الا من هو من اجهل الناس قولكرني الثامن عشر لو كانت
جسما لوجب ان يقع تحت جميع الحواس او تحت حاسة منها الى اخره جوابه
تلزم بمنع اللزوم فانكم لم تذكروا عليه شبهه فضلا عن دليل ومنع اشياء
اللازم فان الروح تدرك بالحواس فتلمس وترى وتشمها الرائحة الطيبة
والخبيثه كما تقدم في الصور المستفيضه ولكن لا شاهد نحن ذلك
وهذا الدليل لا يمكن من تصدق الرسل ان يحتج به فان الملك جسم ولا يقع تحت
حاسة من حواسنا وكذلك الجن والشياطين اجسام لطاف لا تقع تحت حواسنا
والاجسام متفاوته في ذلك تفاوتا كثيرا فمنها ما يدرك باكثر الحواس ومنها
ما يدرك باكثرها ومنها ما يدرك بحاسة واحدة ومنها ما لا يدرك نحن في
الغالب وان ادرك في بعض الاحوال لكونه لم لنا ادراكه او لمانع يمنع
من ادراكه او للطفه عن ادراك حواسنا فما عدم اللون من الاجسام لم يدرك

بالبصر كالهوا والنار في عنصرها وما عدم الرائحة لم تدرك بالشم كالنار
والحصا والزجاج وما عدم المجسة لم تدرك باللمس كالهوا الناكد وايضا فالروح
المدركة لنحو ما تدرك هذه الحواس بهذه الآلهة فالنفس هي الحاسة المدركة
وان لم تكن محسوسة فالاجسام والاعراض محسوسة والنفس محسة بها وهي
القابلة لاعراضها المعاقبة عليها من الفضائل والرذائل القبول الاجرام
لاعراضها المعاقبة عليها وهي المتحركة باختيارها المحركة للبدن قسرا وقهرا
وهي ماثرة في البدن مأثره به تألم وتلذ وتفرح وتحزن وترضى وتغضب
وتنعم وتعذب وتحب وتكره وتذكر وتنسى وتصعد وتنزل وتعرف وتنكر
فآثارها مزادة الدليل على وجودها كما ان آثار الخالق سبحانه دالة على
وجوده وعلى كماله فان دلالة الاثر على مؤثره ضرورية وتأثرات النفوس
بعضها في بعض لا ينكره ذو حس سليم ولا عقد مستقيم ولا سيما عند تجرد
نوع تجرد عن العلائق والعوائق البدنية فان قواها تتضاعف وتتزايد
بحسب ذلك ولا سيما عند مخالفة هواها وحملها على الاخلاق الجليلة من
الجد والشجاعة والعدل والسخا وحسبها سنى الاخلاق ورذائلها وسفاسفها
فان تأثرها في العالم يقوى حتى ان تأثر التجزع عند البدن واعراضه ان نظر الى
مجدر عظم فشفه او الى حيوان كبير فقتله او الى نعمة فزلها وهذا امر
قد شاهده الامم على اختلاف اجناسها وادناها وهو الذي يسمى اصابة
العين فتضيفون الاثر الى العين وليس لها في الحقيقة وانما هو للنفس المكيفة
بكيفية تزدي بسمه وقد يكون بواسطة نظر العين وقد لا يكون بل يوصف له الشي

بمزيد فتكيف عليه نفسه بتلك الكيفية فمسه وان ترى تأثر النفس
في الاجسام صفرة وحمرة وارتعاشا بمجرد مقابلة لها وهو بها وهذه
واضحاتها خارجة عن تأثر البدن واعراضه فان البدن لا يؤثر الا فيما لا قا
وناسبه بأثر مخصوصا ولم تزل الامم تشهد بأثر الهمم العالية الفعالة
في العالم ويستبعدها وتحذر اثرها وقد امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يغسل المعان بمغاسله ومواضع القدر منه ثم يصب ذلك الماء على
المعان فانه يزيله عنه بأثر نفسه فيه وذلك سبب امر طبيعي امضته
حكمة الله سبحانه فان النفس الامارة لها بهذه المواضع تعلق والف
والارواح الخبيثة الخارجة تشاهدها وتألف هذه المواضع غالبا للمناسبة
بينها وبينها فاذا غسلت بالماء طفت تلك النارية منها كما يطفى الحديد المحمى بالماء فاذا
صب ذلك الماء على المصاب طفا عنه تلك النارية التي وصلت اليه من المعان
وقد وصف الاطباء الماء الذي يطفى فيه الحديد الآلاروا وباع معروف وقد
ذرب الناس من تأثير الارواح بعضها في بعض عند تجردها في المنام عجائب
يفوت الحصر وقد سبقنا على بعضها فيما مضى فعالم الارواح عالم اخر اعظم
من عالم الابدان واحكامه وآثاره اعجب من آثار الابدان بل كل ما في العالم
من الآثار الانسانية فانما هي من تأثير النفوس بواسطة البدن فالنفوس والابدان
متعاونة على الباشر بعاون المشاركة في الفعل ومنفرد النفس بأثار لا يشاركها
فيها البدن ولا يكون للبدن باشر لا يشاركه فيه النفس فولكر في التاسع عشر لو
كانت جسما لكانت ذات طول وعرض وعمق وشكل وسطح وهذه المقادير لا

يقوم مادته قلنا وكان مادا والنفس لها مادة خلقت منها وجعلت على شكل معين
وصورة معتنه قولكم مادتها ان كانت نفسا لزم اجتماع مثلين وان كانت
غير نفس كانت تركبه من بدن وصورة قلنا مادتها ليست نفسا كما ان مادة الانسان
ليست انسانا ومادة الجزء ليست جزءا ومادة الحيوان ليست حيوانا قولكم
لزم كون النفس مركبة من بدن وصورة معتنه كاذبة وانما يلزم تركب النفس لو كانت
من مادة ولها صورة معتنه وهكذا يقول سواء لم نذكروا على بطلان هذه
شبهة فضلا عن حجة ظنية او قطعية قولكم في الوجه العشرين ان خاصة
الجسم ان يقبل الجزء وان الجزء الصغير منه ليس كالكبير فلو قبلت الجزء فكل
جزء منها ان كان نفسا لزم ان يكون للانسان نفوس كثيرة وان لم يكن نفسا
لم يكن المجموع نفسا جوابه ان اردتم ان كل جسم يقبل الجزء في الخارج فلا
خارج فان الشمس والقمر والكواكب لا تقبل ذلك ولا يلزم ان كل جسم يصح عليه
الجزء والتبعض في الخارج اما على قولنا فانه الجوهر الفرد فظاهر واما على
قول مثبته فانه عندهم جوهر متحيز لا يصح عليه قبول الانقسام فاي شيء
يلزم من ذلك قولكم ان كان كل جزء من ذلك الاجزاء نفسا لزم اجتماع نفوس
كثيرة في الانسان قلنا انما يلزم ذلك ان لو انقسمت النفس بالفعل الى نفوس
كثيرة وهذا محال قولكم وان لم يكن كل جزء نفسا لم يكن المجموع نفسا مقدمة
كاذبة مستقصاة فكل ماهية ثبت لها حكم عند اجتماع اجزائها فاي ذلك الحكم
لائح لكل جزء من اجزائك الاجزاء كماهية البيت والانسان والعشرة
وغيرها قولكم في الوجه الحادي والعشرين ان الجسم يحتاج في قوامه وبقائه

وحفظه الى النفس فلو كانت النفس جسما لكانت محتاجة في قوامها الى نفس
اخرى ولزم التسلسل جوابه انه لا يلزم من افتقار البدن الى نفس تحفظه
افتقار النفس الى نفس تحفظها وهل ذلك الا مجرد دعوى كاذبة مستندة
الى قياس فاسد بطلانه فان كل جسم لا يفتقر الى نفس تحفظه كاجسام المعادن
وجسم الهواء والماء والنار والتراب واجسام سائر الجمادات فان قلتم ان هذه
ليست احياء ناطقة بخلاف النفس فانها حية ناطقة قلنا فحينئذ مبنى الدليل
هكذا ان كل جسم حي ناطق يحتاج في حفظه وقيامه الى نفس تتوفر به وهذه
دعوى مجردة وهي كاذبة فان الجن والملائكة احياء ناطقون وليسوا مفتقرين
في قيامهم الى ارواح اخر يتوفرون بها فان قلتم وكلامنا مذكور في الجن والملائكة فانهم
ليسوا باجسام متحيزة قلنا الكلام مع من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
واما من كفر بذلك فالكلام معه في التبس ضائع وقد ذكرنا بفاطر النفوس ومبدعها
وملائكته وما جاءت به رسله الحان مع دليل الايمان فان الاثار
المشهودة في العالم من تاثيرات الملائكة والجن باذن ربهم لا تكاد تحصر
هي موجودة بنفسها ولا تقدر عليها القوى البشرية فولكم في الثاني والعشرين
لو كانت جسما لكان اما بالبدن ان كان على سبيل المداخلة لزم تداخل
الاجسام وان كان على سبيل الملاصقة والمجاورة كان الانسان الواحد جسمين
متلاصقين احدهما نري والاخر لا نري جوابه من وجوه احدها ان نمنع
الاجسام المحال ان تتداخل جسمان كثيران احدهما في الاخر بحسب كون حجمها
واما ان يدخل جسم لطيف في كف يسري فيه فهذا ليس بمحال الثاني ان هذا

باطل بصور كثيرة منها دخول الماء في العود ودخول النار في الحديد ودخول
الغذاء في جميع اجزاء البدن والدخول في جميع اجزائه الثالث ان حيز النفس
البدن وحيزه مكانه المفضل عنه وهذا البيت داخل ممتنع فاذا فارقه
صار لها حيزا اخر غير حيزه وحينئذ فلا بد اخلاء بصير لكل منهما حيز
يخصه وبالجملة فدخول الروح في البدن الطف من دخول الماء في الثرى
والدهن في البدن فهذه الشبه الفاسدة لا يعارض بها ما دل عليه نصوص
الوحي والادلة العقلية وبالله التوفيق المسئلة العشرون

وهي هل النفس والروح شيء واحد او شيئان فاختلف الناس في ذلك فمن قائل
انهما واحد وهم الجمهور ومن قائل انهما مغايران وهن كثير بين
المسلك بون الله وفوقه فمن قال النفس تطلق على امور احدها الروح قال
الجوهري النفس الروح يقال خرجت نفسه قال ابو خراش

نجا سالما والنفس منه لسدره ولم يحم الاحص سف ومزد

اي بحر سف ومزر والنفس الدم يقال سال نفسه وفي الحديث ما لا نفس
له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه والنفس الجسد قال الشاعر

ستبنى تميم ان دخلوا اسابهم ما مور نفس المدى

والمامور الدم والنفس المزيقال اصابت فلان نفس انسان اي عين فلت
ليس كما قال بل النفس هاهنا الروح ونسبة الاضافة الى المزيتوسع لانها
تكون بواسطة النظر المصيب والذي اصابه انما هو نفس المعاين كما تقدم
قلت والنفس في القرآن يطلق على الذات بجملتها كقوله تعالى فسلموا على انفسكم

محل بين النفس والروح

وقوله

وقوله ولا تقتلوا انفسكم وقوله توفى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله
كل نفس بما كسبت رهينة ويطلق على الروح وحدها كقوله تعالى يا ايتها النفس
المطمئنة وقوله اخرجوا انفسكم وقوله ونهى النفس عن الهوى وقوله
ان النفس لامارة بالسوء واما الروح فلا تطلق
وتطلق الروح على القرآن الذي اوحاه الله الى رسوله قال تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا وعلى الوحي الذي يوحيه الى انبيائه ورسله
قال تعالى يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده ومن ذلك وحيا لما حصل
به من الحياة النافعة فان الحياة بدونه لا تنفع صاحبها بل حياة الحيوان
البهيم خير منها واسلم عاقبة وسميت الروح روحا لان بها حياة البدن
وكذلك سميت الروح لما حصل بها من الحياة وهي من ذوات الواو وهذا
يجمع على ارواح اذا هبت الارواح من نحو ارضكم وجدت لمسراها على
كبدي بردا ومنها الروح والريحان والاستراحة سميت النفس روحا
لحصول الحياة بها وسميت نفسا اما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها
واما من نفس الشيء اذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت
نفسا ومنه النفس بالتحريك فان العبد كلما نام خرجت منه فاذا استيقظ
رجعت اليه فاذا مات خرجت خروجا كليا فاذا اذن فرعادت اليه فاذا
خرجت فاذا بعث رجعت اليه فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات
لا فرق بالذوات وانما سمي الدم نفسا لان خروجه الذي يكون معه الموت
بلا بد من خروج النفس وان الحياة لا تستمر الا به كما لا تستمر الا بالنفس فلهذا قال

تسلط على حد الظباه نفوسنا وليست على غر الظباة تسيل

وقال فاض نفسه وخرجت نفسه وفارقه نفسه كما تقال خرجت روحه وفارق وكل القبض الادفاع ومنه الاضافة وهي الادفاع مكرهة وشرعة لكرا فاض اداد فع باختياره واراده وفاض اذا اندفع قسرًا وقهرًا فالله سبحانه هو الذي يقبضها عند الموت محض ه وقالت فرقة اخرى من اهل الحديث والفقه والتصوف الروح غر النفس قالوا بدليل ان سليمان حياة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التي تعقل بها الاشياء ولم يفارق الجسد بل يخرج كحبل ممتد له شعاع فترى الرؤيا بالنفس التي خرجت بمنه ومتى الحياه والروح في الجسد فبه يتقلب ويتنفس فاذا حركه رجعت اليه اسرع من طرفة عن فاذا اراد الله عز وجل ان يمسك في المنام اسكن تلك النفس التي خرجت وقال ايضا اذا نام خرجت نفسه فصعدت الى فوق فاذا رات الرؤيا رجعت فاخبرت الروح ويخبر الروح القلب فيصبح يعلم انه راى كيت وكيت قال ابو عبد الله بن منده من اختلفوا في مجرد الروح والنفس فقال بعضهم النفس طينية ناريه والروح نورية روحانية وقال بعضهم الروح لاهوية والنفس ناسوية وان اخلوهما اصلي وقالت طائفة وهم اهل الاثر ان الروح غر النفس والنفس غر الروح وقوام النفس بالروح والنفس مخزن الجسد والهوا والشهوات والملاذ والاعداء لابن آدم من نفسه فالنفس لا ترد الا الدنيا ولا تحب الا اياها والروح تدعو الى الاخرة وتوثرها وجعل الهوى نبعا للنفس والشيطان مع النفس والهوى والملك مع العقل والروح والله تعالى امدهما باهليه وتوفيقه

وقال

وقال بعضهم الارواح من امر الله اخفى خلقها وعلمها عن الخلق وقال بعضهم الارواح نور من نور الله وحياة من حياة الله ثم اختلفوا في الارواح هل تموت بموت الابدان والانفس او لا تموت فقالت طائفة الارواح لا تموت ولا تبلى وقالت جماعة الارواح على صور الخلق لها ايد وارجل واعين وسمع وبصر ولسان وقالت طائفة للمومن بلا ارواح وللمنافق والكافر روح واحدة وقال بعضهم للانبيا والصديقين خمسة ارواح وقال بعضهم الارواح ركبت خلقت من الملكوت فاذا اصفت رجعت الى الملكوت قلت اما الروح التي سوفاها وتعبض فهي واحدة وهي النفس واما ما يوبد الله به اولياه من الروح فهي روح اخرى غر هذه الروح كما قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وكذلك الروح التي ايد بها روح المسيح ابن مريم كما قال تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس وكذلك الروح الذي يلقيها على من يشا من عباده غر الروح التي في البدن واما القوى التي في البدن فانها ايضا تسمى ارواحا فيقال الروح الباصر والروح السامع والروح الشام وهذه الارواح قوى مبددة في الابدان تموت بموت الابدان وهي غر الروح التي لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما تبلى وتطلق الروح على اخص من هذا كله وهو فوق المعرفة بالله والانابة اليه ومحبته وانبعاث الهمة الى طلبه وارادته ونسبة هذه الى الروح كنسبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه وهي الروح التي يوتيها اهل ولايته وطاعته وهذا القول

الباب فلا رفيد روح وفلان ما فيه روح وهو بو وهو قضيب فارغ ونحو ذلك
فللعلم روح وللاجتهاد روح وللاخلاص روح وللمحبة والانابة روح و للتوكل
والصدق روح والياس منافق وتوزع في هذه الارواح اعظم تفاوت فمنهم من
يغلب عليه هذه الارواح فتصير روحانيا ومنهم من يفقد هذا او اكثرها فتصير
ارضيا بهيميا والله المستعان وهي هل النفس واحدة ام ثلاثة فقد وقع
في كلام الباب ان بني آدم ثلاثة انفس نفس مطمئنة ونفس لوامة ونفس امارة
وان منهم من يغلب عليه هذه ومنهم من يغلب عليه الاخرى ويحتج على ذلك
بقوله تعالى ما ايها النفس المطمئنة وبقوله لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم
بالنفس اللوامة وبقوله ان النفس لامارة بالسوء والصحيح انها نفس واحدة
ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم فتسمى مطمئنة باعتبار طمانينتها
الى ربها تعبودية ومحبة والانابة اليه والتوكل عليه والرضى به والسكون
اليه وان مت محبته وخوفه ورجاؤه منها محمد غيره وخوفه ورجاؤه فتسمى
محبته عن حب ما سواه وبذكره عن ذكر ما سواه وبالشوق اليه والى لقائه عن
الشوق الى ما سواه فالطمانينة الى الله سبحانه حقيقة ترد منه سبحانه على
قلب عبده بحمد عليه وترد قلبه الشارد عليه حتى كانه جالس بين يديه يسمع
به ويبصر به ويتحرك به وبطمانينة نفسه تلك الطمانينة في نفسه وقلبه ومفاصله
وقواه الظاهرة والباطنة فيجد روحه الى الله ولين جلده وقلبه ومفاصله
الى خدمته والتقرب اليه ولا يكمل حصول الطمانينة الحقيقية الا بالله وبذكره
وهو كلامه الذي انزله على رسوله كما قال تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم

بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب فاطمانينة القلب سكونه واستقراره وزوال
القلق والانزعاج والاضطراب عنه وهذا لا ياتي بشيء سوى الله وذكره
الله واما ما عداه فالطمانينة به غرور والثقة به عجز قضاء الله سبحانه
قضى لا مرد له ان من اطمان الى شيء سواه اتاه القلق والانزعاج والاضطراب
من جهته كائنا ما كان كل اطمان الى غيره تعالى علمه وحاله وعمله سلبه وزاله
وقد جعل سبحانه نور المطمئنين الى سواه اغراضا لسهام البلاء لتعلق عباده
واوليائه ان المتعلق بغيره مقطوع والمطمئن الى سواه عن مصالحه ومقاصده
مصدود وممنوع وجميع الطمانينة التي يصير بها النفس مطمئنة ان يطمئن
في باب معرفة اسمائه وصفاته ونعوته كما دله الى خبره الذي اخبر به عن نفسه
واخبرت به عنه رسله فتلقاه بالقبول والتسليم والاذعان وانشراح الصدر
وفرح القلب به فانه محض مربقربات الرب تعالى الى عبده على لسان رسوله
فلا يزال القلق في اعظم القلق والاضطراب في هذا الباب حتى يخالط الايمان
باسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه وتكلمه بالوحي بشائه
قلبه فمتى زال ذلك عنه نزول الماء الزلال على القلب الملتهب بالعطش فيطمئن
اليه ويسكن اليه ويفرح به ويلين له قلبه ومفاصله حتى كانه شاهد الامر
كما اخبرت به الرسل فيصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة
لعينه بلا خالفة في ذلك من بشر والارض وغيرها لم تسكن الى خلاف ذلك
وقال اذا استوحش من الغربة فكان الصديق الاكبر مطمئنا بالايمان
وحده وجميع اهل الارض بخلافه وما نقص ذلك من طمانينة شيء فهذا اول

درجات الطمانينة ثم لا زالت تقوى كلما سمع بآية تتضمن لصفة من
صفات ربه وهذا امر لا نهاية له فهذه الطمانينة اصل اصول الايمان
الى علمها فارشاك ثم تطمئن الى اخبره عما بعد الموت من امور البرزخ وما
بعدها من احوال القيمة حتى كانه يشاهد ذلك عيانا وهذا حقيقة
البصر الذى وصف بها سبحانه اهل الايمان حيث قال وبالآخرة هم يوقنون
فلا يحصل الايمان بالآخرة حتى تطمئن القلب الى ما اخبر الله سبحانه عنها طمانينة
الى الامور التى لا شك فيها ولا ارتياب فهذا هو المؤمن حقا باليوم الآخر كما فى
حديث حارثة اصبحت مؤمنا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسى عن الدنيا واهلها وكانى
انظر الى عرش ربى بارزا والى اهل الجنة يتزاورون والى اهل النار يعذبون
فيها فقال عبد الله نور الله قلبه والطمانينة الى اسما الرب تعالى وصفاته
نوعان طمانينة الى الايمان بها واثباتها واعتقادها وطمانينة الى ما يضيفه
وتوجد من اثار العبودية مثاله الطمانينة الى القدر واثباته والايمان
به يقتضى الطمانينة الى مواضع الاقدار التى لم يؤمر العبد بدفعها ولا قدرة له
على دفعها فيسلم لها ويرضى بها ولا يستخط ولا يشكو ولا يضطرب ايمانه
فلا يأسى على ما فاته ولا يفرح بما اتاه لان المصيبة قبل ان تقدر قبل ان تصل
اليه وقبل ان يخلو كما قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن
يؤمن بالله يهد قلبه قال غير واحد من السلف هو العبد تصيبه المصيبة
فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم فهذه طمانينة الى احكام الصفات

وموجباتها

وموجباتها واثارها فى العالم وهى قدر زائد على الطمانينة بمجرد الخبر بها واعتقادها
وكذلك سائر الصفات واثارها ومتعلقاتها كالسمع والبصر والعلم والرضا
والغضب والمحبة فهذه طمانينة الايمان واما طمانينة الاحسان فهى الطمانينة
الى امره امتثالا وإخلاصا ونصحا فلا تقدم على امره ارادة ولا هوى ولا بقلبه
فلا تساكر شبهة تعارض خبره ولا شهوة تعارض امره بل اذا امرت به انزلها
منزلة الوسادة وبر الى ان تخر من السما الى الارض احب اليه من ان يجدها فهذا
كما قال النبى صلى الله عليه وسلم صريح الايمان وعلامة هذه الطمانينة
ان تطمئن من قلبه المعصية وانزعاجها الى سكون التوبة وحلاوتها وفرحتها
ويسهل عليه ذلك ان يعلم ان اللذة والحلاوة والفرحة التى فى الظفر بالتوبة
اضعاف اضعاف اللذة والحلاوة والفرحة التى فى الظفر بالمعصية وهذا
امر لا يعرفه الا من ذاق الامرين وباشر قلبه اثارهما فللتوبة طمانينة تساوى
ما فى المعصية من الانزعاج والقلق ولو فتش العاصى عن قلبه لوجد حشوه
المخاوف والانزعاج والقلق والاضطراب وانما يوارى عند شهود ذلك
سكر الغفلة والشهوة فان للشهوة سكرا يزيد على سكر الخمر وكذلك الغضب
له سكر ابين من سكر الشراب وهذا يرى المنابس والغضبان يفعل ما لا يفعله
شارب الخمر وكذلك يظهر من قلوب الغفلة والاعراض لها سكون الامان
على الله وحلاوة ذكره وتعلو الروح بحبه ومعرفته فلا طمانينة للروح هناك
هذا ابدا ولو انصف نفسها لذاقها اذا فقدت ذلك فى غاية الانزعاج
والقلق والاضطراب ولكن يوارها السكرة فاذا كشف الغطاء لم تجد حقيقة

ما كان مهيد وها هنا سر لطيف يجب التنبيه عليه والتنبه له والوقوف عليه
بمزانية الوضوء بيده وهو ان الله سبحانه جعل لكل عضو من اعضاء الانسان
كمالا ان لم يحصل له والا فهو في قلق واضطراب وانزعاج بسبب فقد كماله
الذي جعل له مثاله كمال العين بالابصار وكمال الاذن بالسمع وكمال اللسان
بالنطق فاذا عدمت هذه الاعضاء القوى بها كمالها حصل الالم والنقص بحسب
فوات ذلك وجعل كمال القلب ولبه وسروره ولذته وابتهاجه في معرفة
سبحانه وارادته ومحبته والانابة اليه والاقبال عليه والشوق اليه
والانس به فاذا عدم القلب ذلك كان اشد عذابا واضطرابا من العين التي
فقدت النور الباصر ومن اللسان الذي فقد نعيم الكلام والذوق والاسبل
له الى الطمأنينة بوجد من الوجوه ولو نال من الدنيا واسبابها ومن العلوم
ما نال الا بان يكون الله وحده هو محبوبه والهه ومعبوده وغاية مطلوبه
ويكون هو وحده مستحوذا على تحصيل ذلك فحقيقة الامر انه لا طمأنينة له
بدون التحقق باياك نعبد واياك نستعين واقوال المفسرين في الطمأنينة
ترجع الى ذلك قال ابن عباس المطمئنة المصدقة وقال قتادة هو المؤمن
اطمأن نفسه الى ما وعد الله وقال الحسن المصدقة بما قال الله وقال مجاهد
هي النفس التي ايقنت بان الله ربها المسلمة لامره فما هو فاعل بها ورضي
عنه قال النفس التي ايقنت ان الله ربها وضربت جاشا لامره وطاعته وقال
ابن ابي نجيح عنه النفس المطمئنة المخبتة الى الله وقال ايضا هي التي ايقنت
بلقاء الله فكلام السلف في المطمئنة يدور على هذين الاصلين طمأنينة العلم

والايمان

والايمان وطمأنينة الارادة والعمل فاذا اطمأنت من الشك الى اليقين ومن الجهل
الى العلم ومن الغفلة الى الذكر ومن الجبانة الى التوبة ومن الرياء الى الاخلاص
ومن الكذب الى الصدق ومن العجز الى ومن صولة الجهل الى ذلة الانابة
ومن النيه الى التواضع ومن الفجور الى العمل فقد باشرت روح المطمئنة واصل
ذلك كله ومنشاه من اليقظة فهي اول مفاتيح الخير فان الغافل عن الاستعداد
للقارعة والمتزود لمعاده بمنزلة النائم بل اسوأ حالا منه فان الغافل يعلم
وعد الله ووعيده وما يقتضاه أوامر الرب تعالى ونواهيه واحكامه من
الحقوق لكن حجبته عن حقيقة الادراك وقعوده عن الاستدراك سنة القلب
وهي غفلته التي ترقدها فطالما رقوده وركد حلد الى نوازع الشهوات
فاشتد اخلاده وركونه والغمس في غمار الشهوات واستولت عليه العادات
وخالطه اهل البطالات ورضي بالتشبه باهل اضاعة الاوقات فهو
رقاده مع النائمين وفي سكرته مع المخمورين فمتى انكشف عن قلبه سنة هذه
الغفلة زجره من زواجر الحق في قلبه استحياء فهما لواعظ الله في قلب
عبده المؤمن او اثارها معوله الفكر في المحل القابل فصرت معوله
فكره وكبر كبيرة اضاءت له منها قصور الجنة فقال

الا يا نفس ويحك ساعديني بسعي منك في ظلم الليالي
لعلك في القيامة ان تفوزي بطيب العيش في تلك الظلال

فانارت له تلك الفكرة نورا رآى في ضوءه ما خلوده وما سيلقاه من يدخل
من حين موته الى دخول دار القرار ورآى سرعة انقضاء الدنيا وعدم وفائها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لبسها وقلها لحشافها وفعلها بعمر انواع الملاذ فمضى في ذلك الضوء على سباق
عزمه فالا ما حسرتي على ما فرطت في جنب الله فاستقبل بقية عمره الى الآخرة طالبا
مستدركا بها ما فات محسبا بها ما امات مستقلا بها ما تقدم له من الحسرات متنزها
فرصة الامان ان فات فاذا جمع الحسرات ثم لحظ في نور تلك البقعة ووفود
نعمة ربه عليه من حين استقر في الرحم الى وقته وهو متقلب فيها باطنا وظاهرا
ليلا ونهارا يقظة ومناما سرا وعلانية فلو اجهد على احصاء انواعها ما قدر
ولكن اذا دنا ها نعمة النفس وللبدن عليه في كل يوم اربعة وعشرون الف نعمة فاظنك
بغيرها ثم يرى في ضوء ذلك النور انه ايس من حصرها واحصائها عاجز عن
ادائها وان المنعم بها ان طالبه بحقوقه استوعبت جميع اعماله حق نعمة
واحدة ثم يرى في ضوء تلك البقعة انه لو عمل اعمال الثقلين من البر لاحقرها
بالنسبة الى عظم الرب وما يستحقه بجلاله وجهه وعظم سلطانه هذا لو
كانت اعماله منه مكنة وهي مجرد فضل الله ومنه واحسانه حيث يسرها
واعانه عليها وهيأه لها وثبتها منه وكونها ولو لم يفعل ذلك لم تكن سبيلا
اليها فمنه لا يرى اعماله منه وان الله سبحانه ان يقبل عملا ازله صاحبه من
نفسه حتى يراه توفيق الله له وعلمه ومنه عليه وانه من الله لا من نفسه
وانه ليس له من العبد الا الشر واسبابه وما به من نعمة فمن الله وحده صدقة
تصدق بها عليه وفضل منه ساقه اليه من غير ان يستحقه بسبب او يستأهله
بوسيلة فيرى ربه وليه ومعبوده اهلا لكل خير وبر ونفسه اهلا لكل
شر وهذا اليأس من جميع الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة وهو الذي

انتهى

يرفعها ويجعلها في ديوان اصحاب اليمين ثم يرقى له في نور تلك البقعة بارقة
اخرى يرى في ضوءها عيوب نفسه وآفات عمله وما تقدم له من الجنايات
والاسباب وهتك الحرمات والتقاعد عن كثير من الحقوق الواجبات فاذا
انضم ذلك الى شهود نعم الله عليه وايادية لديه يرى ان حق المنعم عليه في
نعمة وامره لم يقم له حسنة واحدة يرفع بها رأسه فطامن فله وانكسرت
نفسه وخشعت جوارحه وصار الى الله ناكس الرأس من مشاهدة نعمه ومطالعة
جناياته وعيوب نفسه وآفات عمله فالا انك لتملك علي وانت بذنبي
فاغفر لي انك لا يغفر الذنوب الا انت فلا يرى لنفسه حسنة ولا يراها اهلا
لخير فوجد له امر من عظيم من احدهما استكبارهما من الله تعالى اليه والثاني
استقلاله ما منه من الطاعة كائنة ما كانت ثم يرقى له بارقة اخرى يرى في
ضوءها عزه وقدره وخطره وشرفه وانه راس مال سعادته فيحذر ان يضيعه
فيما لا تقربه اليه فان في اضاعته الحسران والحسرة والندامة وفي حفظه
وعمارته الربح والسعادة فيشح بانفاسه ان يضيعها فيما لا ينفعه يوم معاده ثم
يلحظ في ضوء تلك البارقة ما تقتضيه بقية من سنة عمله من الجد والمجاهدة
والمراقبة والغيرة لئلا ان يؤثر عليه غيره وعلى حظه من رضاه وقربه وكرامته
ان يبعده ثمن يحتمي في دار سريعة الزوال وعلى نفسه ان يملك رقها المعشوق لو
فكر في منتهى جده ورأى آخره بعين بصيرته لانف لها من يحتقد فهذا اكمل من اتاه
اليقظة وموجباتها وهي اولى منازل السير المطمئنة الى يتأتى منها سيرها
الى الله والدار الآخرة واما اللوامة وهي التي اقسم الله بها تجاهد في قوله

ولا اقسم بالنفس اللوامة فاختلف فيها فقالت طائفة هي التي لا تثبت على حال
واحدة واخذوا اللفظ من اللوم وهو التردد فهي كثيرة التقلب والتلون
وهي من اعظم آيات الله فانها مخلوق من مخلوقاته تتلوم وتلون في الساعة الواحدة
فضلا عن اليوم والشهر والعام والعمر الا النفس المتلوعة المذكورة وتفعل وتقبل
وتعرض وتلطف وتكيد وتمكر وتخدع وتحب وتبغض وتفرح وتحزن وترضى
وتغضب وتطمع وتعصي وتنقى وتعجز الى اضعاف اضعاف ذلك من حالاتها
وتلونها فهي تتلون كل وقت الوانا كثيرة فهذا قول وقالت طائفة اللفظ
مأخوذ من اللوم ثم اختلفوا فقالت فرقة هي نفس المؤمن وهذا من صفاتها
المحمودة قال الحسن البصري ان المؤمن لا تراه الا يلوم نفسه وانما تقول ما اردت
بهذا لم فعلت هذا كان غير هذا اولى او نحو هذا من الكلام وقال غيره هي
نفس المؤمن توقعه في الذنب ثم تلومه عليه وهذا اللوم من الايمان بخلاف الشقي
فانه لا يلوم نفسه على ذنب بل يلومها ويلومه على فواته وقالت طائفة بل هذا
اللوم للنوعين فان كل احد يلوم نفسه ان كان مسيئا على اسآته وان كان محسنا على
تقصيره وهذه الاقوال كلها حق ولا تنافي بينهما فان النفس موصوفة بهذا كله
وباعتبار بهمت لوامة لكن اللوامة نوعان لوامة ملومة وهي النفس الجاهلة
الظالمة التي يلومها الله وملائكته ولوامة غير ملومة وهي التي لا تزال تلوم صاحبها
على معصية الله وتقصيره في طاعة الله مع بذل جهده فهذه غير ملومة واشرف
النفوس من لامت نفسها في طاعة الله واحسنت ملامة اللائمين في مرضاته فلا تاخذها
في لومة لائم فهذه قد خلصت من لوم الله لها واما من رضيت باعمالها ولم تلم

نفسها عليه ولم تحتمل في الله ملامة اللوام فهي التي لوتها الله عز وجل
واما النفس الامارة بالسوء فهي المذمومة فانها التي تامر كما سوء وهذا من طبعها
الا ما وفقها الله وثبتها واعانها فما تخلص احد من شر نفسه الا بتوفيق الله تعالى
له كما قال تعالى حاكيا عن امراة العزيز وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء
الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
ما زكى منكم من احد ابدا وقال تعالى لا كرهن خلته عليه واجتهم اليه ولولا
ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم
خطبة الحاجة ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور انفسنا
وسيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له فالشر
كامن في النفس وهو موجب سيئات الاعمال فان خلى الله بين العبد وبين نفسه
هلك بشرها وما تقتضيه من سيئات الاعمال وان وفقه واعانه نجاه من
ذلك فنسأل الله العظيم ان يجيرنا من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا
وقد امتن الله سبحانه على الانسان بهاتين النفسين الامارة واللوامة كما اكرمه
بالمطمئنة فهي نفس واحدة تكون امارة ثم لوامة ثم مطمئنة وهو عائد كما بدا
وصلاحها واية المطمئنة بجنود عديدة فجعل الملك قرينها وصاحبها الذي
يلهمها ويسددها ويقذف فيها الحق ويرغبها فيه ويريها حسن صورته وثمرته
عن الباطل ويزهدها فيه ويريها قبح صورته وآفاتها بما علمها من القرآن والاذكار
واعمال البر وجعل وفود الحسنات وامداد الوقت
وتصل البهائم من كل ناجية وكلما لعنها لقبول والشكر والحمد لله

شبكة الألوكة www.alukah.net

ارادته دها فتوى على محاربة الامارة من جسدها وهو سلطان عساكرها وملكها
الامارة النفس فالجوش الاسلامية كلها تحت لوآء ناظرة اليه اذا ثبت وان
انهزم ولت على ادبارها ثم آمرا هذا الجيش ومقدموا عساكره شعب الايمان المتعلقة
بالجوارح على اختلاف انواعها كالصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ونصيحة الخلق والاحسان اليهم بانواع الاحسان
وشعب الباطنة المتعلقة بالقلب كالاخلاص والتوكل والانابة والتوبة
والمراقبة والصبر والحلم والتواضع والمسكنة وامثالها فكلها من جملة الله
ورسوله وتعظيم اوامر الله وخوفه والغيرة لله وفي الله والشجاعة والعفة
والصدق والشفقة والرحمة وملاك ذلك كله الاخلاص والصدق فلا
تعن الصادق المخلص فقد اقام على الصراط المستقيم وسار به وهو راقد ولا
تعن مريد حرم الصدق والاخلاص فقد قطعت عليه الطريق واستهوته الشياطين
في الارض حيران فارتنا فليتمال وارتنا فليتمال فلا يزيد عليه من الله الا بعدا
وبالجملة فما كان لله وبالله فهو من جند النفس المطمئنة واما النفس الامارة
فجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يمدها ويمنيها ويعدها
فيها الباطل ويامرها بالسوء ويزينها ويطيل لها في الامل ويريها الباطل
في صورة قبيحة ويستحسنها ويمدها بانواع الامداد الباطل من الاماني الكاذبة
والشهوات المهلكة ويستمن عليها بهواها واراداتها فتمد خيل عليها ويدخل
عليها كل مكروه فما استعان على التنوير بشيء هو ابلغ من هواها واراداتها
البتة وقد علمت ايها الاخوان من شياطين الانس فلا تستعينوا على الهوى

المتوعد

المتوعد بمعرض شيء البتة من هواه ومراداته فاذا اعدم صوت طلبوا الجد بما
ما يجدونه بهواه ثم طلبوا الجد بحصيلة فاصطادوا بتلك الصورة فاذا المحت
لهم النفس باب الهوى دخلوا منه فجاسوا خلال الديار فعاثوا وافسدوا وفتكوا
وسبوا وقطعوا ما تناله المدى وبلاد عدق اذا حكموا فيها فهدموا معالم الايمان
والقرآن والذكر والصلاة وخربوا المساجد وعمروا البيع والكنايس والحانات
والمواخير وقصدوا الى الملك فاسروه وسلبوه ملكه وبقلوه من عبادة الرحمن
الى عبادة الغانا والاوثان ومن عز الطاعة الى ذل المعصية ومن السماع الرحماني
الى السماع الشيطاني ومن الاستعداد للقاء الله الى الاستعداد للقاء
اخوان الشياطين فبئسما هو راع حقوق الله وما امره به اذ صار يرعى الخنازير
وبئسما هو منصب لخدمة العزيز الرحيم اذ صار منتصبا لخدمة كل شيطان رجيم
والمقصود ان الملك قرين النفس المطمئنة والشيطان قرين الامارة وقد روى ابو
الاحوص عن عطاء بن السايب عن مرة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان للشيطان لمة بن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر
وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالحق وتصديق بالخير فمن وجد ذلك
فليعلم انه من الله وليحمد الله ومن وجد الاخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم
ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء وقد رواه عمرو عن عطاء السايب
وزاد فيه عمرو قال سفيان بهذا في هذا الحديث انه كان يقال اذا احس احدكم
من لمة الملك شيئا فليحمد الله وليسأله من فضله واذا احس من لمة الشيطان شيئا
فليستعذ بالله وليتعوذ من الشيطان الرجيم فالنفس والملك وبينهما تقضيان

من النفس المطمئنة التوحيد والاحسان والبر والتقوى والصبر والتوكل
والتوبة والانابة والاقبال على الله وقصر الامل والاستعداد للموت وما بعده
والشيطان وجنده من الكفر يقتضيان من النفس الامارة ضد ذلك وقد سلط الله
سبحانه الشيطان على كل ما لا يتم له ولم يرده وجهده ولا هما عدله وجعل ذلك
انقياده بسبب النفس الامارة على هذا التحمل والانقطاع وتقاضاها ان يأخذ
الاعمال من النفس المطمئنة فجهلها قوة لها فهي احرص شيء على تخليص الاعمال
كلها لها وان يصير من حظوظها فاصعب شيء على النفس المطمئنة تخليص الاعمال
من الشيطان ومن الامارة لله فلو وصل منها عمل واحد كما ينبغي لنجاة الجد ولكن
ان الامارة والشيطان ان يدعا لها عملا صالحا تصل الى الله كما قال بعض العارفين
بالله ونفسه والله لو اعلم ان لي عملا واحدا وصل الى الله لكنت افرح بالموت
من الغائب يقدم اهله وقال عبد الله بن عمر لو اعلم ان الله تقبل مني سجدة واحدة
لم اكن غائب احب الي من الموت انما يتقبل الله من المتقين وقد انصبت الامارة
في مقابلة المطمئنة فكلما جاءت بدليل من خرصاتها هذه وجاءت من البشر
بما تقابله حتى يفسده عليها فاذا جاءت بالايمان والتوحيد جاءت هذه معارضة
في الايمان من الشرك والنفاق وما يقدح في التوحيد من الشرك ومحبة غير
الله عز وجل وخوفه ورجائه على ولا رضى حتى يقدم محبة غيره وخوفه
ورجاءه على محبته سبحانه وخوفه فكون ماله عندها هو الموخر وما للخلق
هو المقدم وهذا حال اكثر هذا الخلق واذا جاءت تلك تحريد المتابعة للرسول
جاءت هذه بتحكيم آراء الرجال والقوانين على الوحي والتمسك بالشبه المضلة مما

منعها من كمال المتابعة وتحكيم السنة وعدم الالتفات الى آراء الرجال فتقوم
الحرب بينها بين النفس والمنصور من نصره الله واذا جاءت تلك بالاخلاص والصدق
والتوكل والانابة والمراقبات هذه باضدادها واخرجت في عدة نوائب
ويقسم بالله ما مرادها الا الاحسان والتوفيق والله يعلم انها كاذبة وما مرادها
الا بجرد حظها واتباع هواها والتقلب من بحر المتابعة والتحكيم المحض للسنة
الى فضاء مرادها وشهوتها وحظوظها ولعمر الله ما خلصت الامر من قضا المتابعة
والتسليم الى بحر الهوى والارادة وضيقه وظلمته ووحشته فهي مسجونة فيه
في هذا العالم وفي الروح في ضيق منه وفي القبر المعاد الثاني في اضيق منهما وكم
اعجب امرها انها بسجن العقل والعلم فاتى لها اشرف الاشياء افضلها واجلها
فخرجت في صورة مذمومة واكثر الخلق صبيان العقول اطفال الاحلام لم يصلوا
الى حد الفطام الاول عن العوائد والمالوفات فضلا عن البلوغ الذي يمرد العاقل
من خير الخيرين موت وشر الشرين مجتمعين يمرد صون بحرد التوحيد الذي هي
ابنة من صون الشمس والقمر صون البيضة المذمومة وهشم العظام مثار ظهر
وحظهم منها المرتبة الجودية المحضة والمسكنة والذل والفقر المحض الذي
لا ملك لهم معه ولا ارادة ولا شفاعة الا بعد اذن الله فيهم فهم النفس الخناق
هذا القدر غامد سفههم وتعصبهم وقولهم اقدارهم وغدرهم عن
المسالك الفقر افتقر نفوسهم من تحريد التوحيد اشد النفار فتقول اجعل
الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وبهر تجرد المتابعة للرسول وما جاء به
وتقديمه على آراء الرجال في صورة تنقيص العلماء والرغبة عن اقوالهم وما فهموه

عز الله ورسوله وان هذا الآساة أدب عليهم ونقدر من ازدجر وهو نقص في الآساة
النظر بعين وانهم قد فاتهم الصواب وكف لسانه ان يرد عليهم ويطوي وحيطي
بالصواب ذو بصر فيعذر من ذلك أشد البغار ويجعل كلامهم هو الحكم الواجب
الاتباع وكلام الرسول هو المشابه الذي يعرض على اقوالهم فما وافقها قبلناه
وما خالفها رددناه اواه لنا او فرضاه ونقاسم النفس السحارة بالله ان اردنا
الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ويريد صون الاخلاص
في صون سفر منها وهي الخروج عن حكم العقل المعيشي والمداراة والمداهنة
الى بقاء اندراج صاحبها ومشيه بين الناس فمن اخلص اعماله ولم يعمل لاحد
شيا يجتنبهم ويجتنبوه ويبغضهم ويبغضوه وعاداهم وعادوه وعافوه وسار
على جادة وهو على جادة فسفره بمرذلك أشد البغار وغايته ان يخلص في
القدر اليسير من اعماله التي لا يتعلق بها وسائر اعماله لغير الله ويريد صون
الصدق مع الله وجهاد من خرج على دينه في قالب الاصحاب لعداوة الخلق
واداهم وحربهم وانه يعرض نفسه على البلا لما لا يطيق وانه بصير عرضا لهم
الطاعنين وامثال ذلك من الشبه التي يقيم النفس السحارة والخيالات التي
يختلها ويريد حفظ الجهاد في صون نفسها النفس وكسح المراة وتصير
الاولاد بناتي ونقسم المال ويريد حفظ الزكاة والصدقة في صون مفارقة
المال ونقصه وخطو المال مزيده واحتياجه الى الناس ومساواته للفقير
وعوده بمنزلته ويريد حفظ اثبات صفات الكمال لله في صون التشبيه
والتمثيل فيعذر من التصديق بها وسفر غيره ويريد حفظ التعطيل والالحاد

في

١

فيها في صون التنزيه والتعظيم واعجب من ذلك انها تضاهي ما يحبه الله ورسوله
من الصفات والاخلاق والافعال بما تقصده منها ولبس على الجاهل الا من
الاخر ولا يخلص هذا من هذا الا ارباب البصائر فان الافعال تصدر عن
الارادات وتظهر على الاركان من الفعل الامارة والمطمئنة فسائر الفعلين
في الباطن ويشبهان في الظاهر وكذلك اشياء كثيرة منها المداراة والمداهنة
فالاول من المطمئنة والثاني من الامارة وخشوع الايمان وخشوع النفاق
وشرف النفس والسيد والحميد والحفاظ والتواضع والمهابة والعلو في امر الله
والعلو في الارض والحمد لله والغضب لله والجود والشرف والمهابة والدين
والصيانة والمكر والشجاعة والجراءة والحرص والجزع والانقياد والتخ
والاجتراء وسوء الظن والفراسة والظن والتهمة والحقد والحسد
والرشوة والصبر والقسوة والحنو والدعة وسلامة القلب والبله والغفلة
والثقة والقوة والرجاء والتمني والتحدث بنعم الله والفرح بها وفرح القلب
وفرحه والرقة القلب والجوع والوحدة والحقد والمنافسة والحسد وحب الرياسة
وحب الامانة والدعوة الى الله والحب في الله والجمع الله والتوكل والعجز
والاحتياط والوسوسة والهام الملك والهام السلطان والامان والتسويف
والاقتصاد والقصر والاجتهاد والخلو والنصح والتأني والمبادرة
والعجلة والاخبار بالحاجة عند الحاجة والشكوى فالشيء الواحد يكون صورة
واحدة وهو ينقسم الى محمود ومذموم فالفرح والحزن والغضب والغيرة والخجل
والطمع والعمل والخشوع والحسد والغبطة والجراءة والتجسس والحرص

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والبغض واظهار البغض والحلف والمكث والصمت والزهد والورع والتحلي
والعزلة والانفة والحمية والغضب وفي الحديث ان من الغيرة ما يحبها الله ومنها
ما يكرهه فالغيرة التي يحبها الله الغيرة في ريبة والتي يكرهها الغيرة في غير ريبة
وان من الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يكرهه فالتي يحب الخيلاء في الحرب وفي الصحيح
ايضا لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق ورجل
آتاه الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها وفي الصحيح أيضا ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي
على الرفق ما لا يعطي على العنف وفيه ايضا من اعطي حظه من الرفق فقد اعطي
حظه من الخير والرفق والتؤدة والكمال فان المتوانى متباطئ عن مصلحته
بعد امكانها فيتباعد عنها والرفيق يلطف في تحصيلها حسب الامكان مع
المطاولة وكذلك المداراة بصفة مدح والمداهنة صفة ذم والفرق بينهما
ان المداري يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق او يرده عن الباطل والمداهن
يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على هواه فالمداراة لاهل الايمان والمداهنة
لاهل النفاق وقد ضرب لذلك مثل مطابق وهو حال رجل به قرحة قد امتد
فجاء الطبيب المداري الرفيق فعرف حالها ثم اخذ في تليينها حتى اذا انضجت اخذ
في بطها برفق وسهولة حتى اخرج ما فيها ثم وضع على مكانها بزر الدواء والمراهم
ما منع فساده وقطع مادتها ثم تابع عليها بالمراهم الى ان نبت اللحم ثم در عليها بعد
نبات اللحم ما يشف رطوبتها ثم شد عليها الرباط ولم يزل يتابع ذلك حتى صلحت
والمداهن قال لصاحبها لا بأس عليك منها وهذه لا شيء فاستر هاعن العيون بخرقة
ثم الدعها فلم تزل مادتها تقوى وتستحكم حتى عظم فسادها وهذا المثل ايضا

مطابق

١

مطابق كل المطابقة لحال النفس الامارة مع المطمئنة فتأمله واذا كانت هذه
حال قرحة بقدر الحمصة فكيف بسقم هاج من نفس امارة بالسوء معدن الشهوات
ومأوى كل سوء وقد قارنها شيطان في غاية المكر والخداع يعدها ويمنيها ويسحرها
بجميع انواع السحر حتى يخيل اليها الضار نافعا والنافع ضارا والحسن قبيحا
والقبيح حسنا وهذا عمر الله من اعظم انواع السحر وهذا معنى قوله سبحانه فانى
تسحرون والذي نسبوا اليه الرسل من كونهم مسحورين هو الذي اصابهم بعينه
وهم اهله لا رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم كما انهم نسبوا الى الضلال
والفساد في الارض والجنون والسفه وما استعاذت الانبياء والرسل وامروا
الامم بالاستعاذة من شر النفس الامارة وصاحبها وقرينها الشيطان الا لانها
اصل كل شر وقاعدته ومنبعه وهما متساعدان عليه متعاونان رضي لبان
تدى ام بقاسما بحمد اح عوص لا تفرق وقال الله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم وقال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
انه سميع عليم وقال تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان
يحضرون وقال تعالى وقل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب
ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد وقال تعالى قل اعوذ برب الناس
ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس
من الجنة والناس فهذا استعاذة من شر قرينها وصاحبها ونفس البشر والصاحب
فامر سبحانه وتعالى نبيه وانباعه بالاستعاذة بربوبيته الناس الكافلة من شر
هاذين العدوين الخطر العظيم شأنهما في الشر والفساد والغلب بن هذين العدوين

لا تزال تشرهها بطرفه وبنانه وأول ما ادب فيه المسقم من النفس الامارة من
الشهوة وما تتبعها من الحرص والطلب والغضب وما تبعد من الكبر والحسد
والظلم والتسلط فعلم الطبيب الخاشع الحاذق بمرضه فيعوده ويصف له
انواع الصبور والمودبات ويخيل اليه سحره ان شفاءه فيها وتتعوض ضعف القلب
بالمرض وقوة النفس الامارة والشيطان وتابع امدادهما وانه بعد حاضر
ولده عاجله والداعي البعيد غوابر كل ناجية والهوا سعة والشهوة تهون
والناس بالاكثر والتشبه بهم والرضا بان يصيبه ما اصابهم فكيف يستجيب
مع هذه القواطع واضعافها لداعي الايمان ومنادي الجنة الا من أيده الله
بامداد التوفيق وايده برحمته وتولى حفظه وحمايته وفتح بصيرته فرأى
سرعة انقطاع الدنيا وزوالها وتقلبها باهلها وفعلها بهم وانها في الحياة
الدنيا الا بدنة كنمس اصبغ في البحر بالسبغة اله والفرق بين خشوع الايمان
وخشوع النفاق ان خشوع الايمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والاجلال
والوقار والهيبة والحياء فتكبر القلب لله كبرة يلتئمه من الوجل والخجل والحب
والحياء وشهود تقصيره وجنايته هو فتخشع القلب لا محالة فتتبعه خشوع
الجوارح واما خشوع النفاق فتبدو اعلى الجوارح تصنعا وتكلفا والقلب
غير خاشع وكان بعض الصحابة يقول اعوذ بالله من خشوع النفاق وقيل له
وما خشوع النفاق قال ان ترى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع فالخاشع
عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره فانجلى الصدر واشرق فيه
نور العظمة فغابت شهوته وسكن دخانها عن صدره شهوات النفس للخوف

والوقار الذي خشي به وخمدت الجوارح وسكن القلب واطمأن الى الله وذكره
بالسكينة التي تنزلت عليه من ربه فصار نجيا له والمخبت المطمئن فان الخبت
من الارض ما تطامن واستنقع فيه الماء كذلك القلب المخبت قد خشع ونطامن
كالبقعة المطمئنة من الارض التي يجري اليها الماء فيستقر فيها وعلامة ان
يسجد سجدة ربه اجلالا له ودلالا وانكسارا من يديه يجده لا يرفع رأسه منها
حتى يلقاه واما القلب المتكبر فانه فيه اهتز بتكبره وربا فهو كبقعة رابية من
الارض لا يستقر عليها الماء فهذا خشوع الايمان واما النمادي وخشوع النفاق
فهو حال عبد تكلف اسكان الجوارح تصنعا ومراياة ونفسه في الباطن شاردة
طيرته ذات شهوات وارادات فهو يخشع في الظاهر واسد الغابة رابض
بمرجسه ينتظر الفريسة واما شرف النفس فهو صيانتها عن الدنايا والرذائل
والمطامع التي تقطع اعناق الرجال وما ينفسه على ان يلقيها في ذلك بخلاف
البيه فانه خلق متولد من امرين اعجاه نفسه وازدراؤه بغيره فتولد من
بين هاذين البيه والاول متولد من من خلقين كريمين اعزاز النفس واكرامها
وتعظيم مالكها وسيدها ان يكون عبده وضيعا دنيا خسيسا فتولد من
بين هاذين الخلقين شرف النفس وصيانتها واصل هذا كله استبعاد النفس
وتهونها وامتداد وليها ومولاها فاذا فقد الاستبعاد والامتداد فقد
الخير كله وكذلك الفرق بين الحمية والجفاء فان الحمية نظام النفس عن رضاع
اللؤم من ثدي هو مصب الخبائث والرذائل والدنايا ولو
وتعالك الناس عليه فازهم فطاما ستقطع معه الاكباد حسرات فلا

بدين الفطائر فات عجل وات محمود تشكور وان شئت اخر وات غرما جور بخلاف
الجفا فانه غلظة فى النفس وقساوة فى القلب وكثافة فى الطبع تولد منها خلقا
يسمى الجفا والفرق بين التواضع والمهانة ان التواضع تولد من بين العلم بمعرفة
اسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته واجلاله ومن معرفة
نفسه وتقاصرها وعيوب عمله وآفاتها متولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع
وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة لعباده فلا يرى لله على
احد فضلا ولا يرى لاحد عنده حقا لما يرى الفضل للمنان عليه والحقوق لهم
قبله وهذا خلق انما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه واما المهانة
فمن الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها فى نيل حظوظها وشهواتها كتواضع
السفل فى نيل شهواتهم وتواضع المفعول به للفاعل وتواضع طالب كل
حظ لمن يرجو نيل حظه منه فهذا كله ضد التواضع والله سبحانه يحب
التواضع ويبغض الضعة والمهانة وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم
انه اوحى الى ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغ احد على احد والتواضع
المحمود على نوعين احدهما تواضع العبد عند امر الله اسئالا وعند نهيه اجتنابا
فان النفس تطلب الراحة فى امره فيبدو امنها نوع اباء وشراد هو من الجحود به
وشئ عند نهيه طلبا للظفر بما منع منه فاذا وضع العبد نفسه لامر الله ونهيه
فقد تواضع للجحود به والنوع الثانى تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه
لعزته وكبريائه كلما سنحت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى وتفرده بذلك وغضبه
الشديد على من نازعه ذلك تواضعت له نفسه وانكسر لعظمة الله قلبه وتطامن

بهيبته واخبت لسلطانه فهذا غاية التواضع وهو يستلزم الاول من غير
عكس والتواضع حقيقة من ترزو الامرين والله المستعان وكذلك الغيرة
فى امر الله هى من تعظيمه وتعظيم اوامره وحقوقه حتى يغار لله والحامى
الارض هو من تعظم نفسه وطلب تفردها بالرياسة وبناء الكمة سواء كان
امر الله او هان عليه اذا عارضه امر الله وحقوقه وترضاه فى طلب علوه
لم يلتفت الى ذلك ولا هدأ واماله فى تحصيل علوه وكذلك الحمية لله والحمية
فالاولى سببها تعظيم الامر والاخرى والثانية سببها تعظيم النفس والغضب
لفوات حظوظها فالحمد لله ان يحمى قلبه لله من تعظيم حقوقه وهى حمية
عبد قد اشرف على قلبه نور سلطان الله فامتلا قلبه بذلك النور فاذا غضب
فانما يغضب من اجل نور ذلك السلطان الذى الغى على قلبه وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غضب احمرت وجناته وبدا بين عينيه عرق يدره
الغضب ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتقم لله وروى زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر
بن عمران صلى الله عليه وسلم كان اذا غضب اشتعلت فلنسوته نارا وهذا خلاف
الحمية للنفس فانها حمران بهيج مريبه لفوات حظها او طلبه فان النفس
فى النفس والنفسة هى الحرون والنفس متلظية بنار الشهوة والغضب فانهما
حمران بان تظهران على الاركان حمران من قبل النفس المطمئنة اثارها تعظم
حق الله وحمران من قبل النفس الامارة اثارها استشعار نوب الحظ والفرق
بين الجود والسرف ان الجواد حكم بوضع العطاء مواضعه والمسرف مبذر مفسد
عطاءه مواضعه وكثيرا ما يصادفه وايضاح ذلك ان الله سبحانه جعل حكمته فى

شبكة الألوكة www.alukah.net

المال حقوقا وهي نوعان حقوق بوظفه وحقوق بابنه فالحقوق الموظفه كالزكاة
والنفقات الواجبه على من يلزمه نفقته والتابنه كحق الضيف ومكافاة المبتدئ
وما وفى به عرضه ونحو ذلك فالجواد يوفي بما له اداء هذه الحقوق على وجه
الكمال طيبة بذلك نفسه راضيه موتمله للخلف في الدنيا والثواب في العقبى
فهو يخرج بذلك سماحة قلب وسخاوة نفس وانشراح صدر بخلاف المبذر فانه
يبسط يده في ماله بحكم هواه وشهوته جزافا لا على تقدير ولا مراعاة مصلحة
وان اعتد له فالاول بمنزلة من يدر حبة بارض سبخة وتوهي بذره مواضع المغل
والانبات لهذا لا يعد مبذرا ولا سفيها والثاني بمنزلة من يدر حبة في سباخ
وعرار من الارض وان انبتت في محل الانبات بذرا مترا كما بعضه على بعض
فذلك المكان البذر به ضايع معطل وهذا المكان بذر متراكم بعضه على
بعض يحتاج ان يصلح بعض زرعه ليصلح الباقي وللا تضعف الارض عن تربيته
والله سبحانه هو الجواد على الاطلاق وله كل الجود في العالم العلوي والسفلي
بالنسبة الى جوده اقل من قطرة في بحار الدنيا وهي من جوده ومع هذا فانما
ينزله بقدر ما تشا وجوده لا ينافي حكمته ويضع عطاه مواضعه فان خفي على
اكثر البشر ان تلك مواضعه فالله اعلم حيث يضع فضله واين المحال اولا
والفرق بين المهابة والكبر ان المهابة اثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله
ومحبته واجلاله فاذا امتلأ القلب من ذلك حل فيه النور ونزلت عليه السكينة
والبسته المهابة فاكتسى وجهه الحلاوة والمهابة فاخذ بمجامع القلوب بحبة
وهيبة فحبب الى الله الافئدة وقرت به العيون وانست به القلوب فكلامه نور

ويدخل

ويدخله نور ويخرج نور وعليه نور ان سكت علاه الوقار وان تكلم اخذ بالقلوب
والاسماع واما الكبر فاثر من آثار العجب والبغي من قلب قد امتلا بالجهل والظلم
ترحلت منه الجنود ونزلت عليه المقت فنظره الى الناس شزر ومشيته بينهم تبختر
ومعاملته لهم معاملة الاستشار والاستصغار ذاهب بنفسه تيها لا يدانيه
بالسلام وان رد عليه رآى انه مد يده الى الانعام عليه لا يطلوهم وجه ولا يسهم
خلقه لا يرى لاحد عليه حقا ويرى حقوقه على الناس ولا يرى فضلهم عليه ويرى
فضله عليهم لا يزداد من الله الا بعدا ولا من الناس الا صغارا وبغضا والفرق
بين الصيانة والكبر ان الصائن لنفسه بمنزلة رجل قد لبس ثوبا جديدا يتقي الدنس
ذائم فهو يدخل يده على الملوث مرة ونحوه فهو يصونه عن الوسخ والغبار والطبوع
وانواع الآثار انقباضا على باطنه ونفاره وراه صاحب تفرد وهروب من المواضع
التي يخشى عليه منها الملوث فلا يمسح باشر ولا طبع ولا لواث يعلو ثوبه وان اصا
شيء من ذلك على غرة بادر الى قلعه وازالته ومحو اثره وهكذا الصائن لقلبه
ودينه تراه يجتنب طبوع الذنوب وآثارها فانها في القلب طبوعا وآثارا
اعظم من الطبوع الفاحشة في الثوب النقي البياض ولكن على العيون غشاوة
ان تدرك تلك الطبوع فتراه يهرب من مظان القلوب ويحترز من الخلق ويتباعد
منهم كما يهرب المحترز ان يحصل لقلبه ما يحصل لثوب الذي يخالط الدباغين
والطباخين ونحوهم بخلاف صاحب العلوفة وارباب هذا في غرر ويجتهد
فهو يقصد ان يعلوه قاذورة ويجعلهم بحث قدميه فهذا لون وذاك لون والفرق بين
الشجاعة والجراءة ان الشجاعة من القلب وهي ثباته واستقراره عند المخاوف وهو

خلق تولد من الصبر وحسن الظن فانه متى ظن الظفر ساعده الصبر ثبت كما ان الجبن
يتولد من سوء الظن وعدم الصبر فلا يظن الظفر ولا يساعده الصبر واصل الجبن من
سوء الظن ووسوسة النفس بالسوء وهو ينشأ من الرقة فراحة القلب في ركانه
وضيقه عليه حتى ازعجه عن مستقره فاصابه الزلل والاضطراب لازعاج الرقة
له وتضييقها عليه ولهذا في حديث عمرو بن العاص الذي رواه احمد وغيره عن
النبي صلى الله عليه وسلم شر ما في المرء جبن خالع وشح هالع فمتى الجبن خالعا لا يخلع
القلب عن مكانه لا يفلح السحر وهو الرد كما قال ابو جهل لعتبة بن ربيعة اسحر
تحرك فاذا زال القلب عن مكانه ضاع تدبير العقل وظهر الفساد على الجوارح
فوضعت الامور على غير مواضعها فالشجاعة حران القلب وغضبه وقيامه
وانتصابه فاذا رأيت الاعضاء كذلك أعانته فانها خدمه وجنوده كما انه اذا
ولت ساء جنوده وأما الجراءة فهي اقدام سببه قلة المبالاة وعدم النظر
العاقبة بقدر النفس في غير موضع الاقدام عن ملاحظة العارضين
فاما عليها واما لها وأما الفرق بين الحذر والجبن فالحازم هو الذي قد جمع عليه
همه واراده وعقله ووزن الامور بعضها ببعض فاعد لكل منها قرنه ولفظة
الحذر تدل على القوة والاجتماع ومنه حزمة الحطب فالحازم الرأي هو الذي
اجتمعت له شؤون رأيه وعرف منها خير الخيرين وشر الشرين فاحجم في مواضع
الاحجام رأيا وعقلا لا جبنا وضعفا لعاجز الرأي ضياع لفرصته حتى اذا فاتت
امر عاتب القدر والفرق بين الاقصاد والشح ان الاقصاد خلق محمود تولد من
خلتين عدل وحكمة فالعدل يعدل في المنع والبذل وبالحكمة يضع كل واحد منهما

موضعه الذي يليق به فتولد من بينهما الاقتصاد وهو وسط من طرفين مذمومين
كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما
وقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وأما الشح فهو خلق ذميم تولد من سوء الظن
وضعف النفس ومدده وعد الشيطان حتى يصيرها لعا والطمع شدة الحرص
على الشيء والشره به متولد عند المنع لبذله والجزع لفقده كما قال تعالى ان الانسان
خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا والفرق بين
الاحتراز وسوء الظن ان المحترز بمنزلة رجل قد خرج بماله وركوبه مسافرا
فهو يحترز بجهده من كل قاطع الطريق وكل مكان يتوقع منه الشر وكذلك
يكون مع الماهب والاستعداد واخذ الاسباب التي بها نجا من المكروه فالمحترز
كالمتسلح المتدرع الذي قد ناهب للقاء عدو واعد له عدته فهمته في تهيئة
أسباب النجاة ومحاربة عدو قد اشغلته عن سوء الظن به اخذ في انواع
العدة والماهب واما سوء الظن فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس حتى
يطفح على لسانه وجوارحه فهم تعده ابدا في الهمز واللمز والطعن والعيب
والبغض تبغضهم وتبغضونه وتلعنهم ويلعنونه وتحذرهم ويحذرون منه
فالاول يخالط بهم ويحترز منهم والثاني يجتنبهم ويلعنه اذا هم الاول داخل
فيهم بالنصيحة والاحسان مع الاحتراز والثاني خارج منهم مع الغش والدغل
والبغض والفرق بين الفراسة وسوء الظن ان الظن يخطئ ويصيب ويكون مع
ظلمة القلب ودنوه وطهارته ونجاسته وهذا امر الله تعالى باجتناب كثير منه

وأخبر أن بعضهم إثم وأما الفراسة فأثنى على أهلها ومدحهم في قوله إن في ذلك لآيات للمتوسمين قال ابن عباس وغيره للمتفرسين وقال تعالى تحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم وقال تعالى ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول فالفراسة الصادقة لقلب قد تطهر وصفى ونزه عن الأدناس وقرب من الله فهو ينظر بنور الله الذي جعله في قلبه وفي الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وهذه الفراسة نشأت له من قربه من الله فإن القلب إذا قرب من الله انقطع عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه وكان بالقدر من مشاهدة قربه من الله بحسب قربه وأضاء له من النور بقدر قربه فرأى في ذلك النور ما لم يره البعيد المحجوب كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال ما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي فأخبر سبحانه أن تقرب عبده منه بفعله محبته له فإذا أحبه قرب من سمعه وبصره ويده ورجله فسمع به وأبصر به وبطش به ومشى به فصار قلبه كالمرآة الصافية تبدو فيها صور الحقائق على ما هي عليه فلا يكاد يخطئ له فراسة فإن العبد إذا أبصر بالله أبصر الأمر على ما هو عليه وإذا سمع بالله سمع على ما هو عليه وليس هذا من علم الغيب بل علام الغيوب قذف الحق

في قلب قريب منه مستنير غير مشغول بفضول الأباطيل والخيالات والوساوس التي تمنعه من حصول صور الحقائق فيه وإذا أشرق على القلب النور فاض على الأركان منه من النور بقدر قربها منه ومكانها فتكشف بعض بصيرته بحسب ذلك النور وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى أصحابه في الصلاة وهم خلفه كما يراهم أمامه ورأى بيت المقدس عيانا وهو بمكة ورأى قصور الشام وأبواب صنعاء ومدائن كسرى وهو بالمدينة حفر الخندق ورأى أماكن وقواعد مصاعها وهو بالمدينة ورأى النجاشي بالحبشة لما مات وهو بالمدينة فخرج إلى المصلى وصف عليه ورأى عمر سارية بنهاوند من أرض فارس هو وعساكر المسلمين وهم يقاتلون عدوهم فنادى هرياسارية الجبل ودخل عليه نفر من مدجج فمهر الأسد النجدي فصعد فيه البصر وصوبه وقال لهم هذا فالوا لما لك بن الحارث فعاله الله أني لأرى من المسلمين منه يوما عصيبا ودخل عمرو بن عبيد على الحسن فقال يا أبا سعيد الفساق إن لم يحدث وقيل إن الشافعي ومحمد بن الحسن جلسا في المسجد الحرام فدخل رجل فقال محمد انفرس أنه نجار فقال الشافعي انفرس أنه حداد فسألاه فقال كنت حدادا لواما النور الخ ودخل أبو الحسن الوسخي والحسن الحداد على القاسم المناوي بعودانه فاشتريا في طريقهما نصف درهم تفاحا فشمه فلما دخلا عليه قال ما هذه الظلمة فخرجا وقالا ما علمنا لعل هذا من ثمر الفاكه فأعطيا الثمن وعاد اليه ووقع بصره عليهما فقال يمكن الإنسان أن يخرج من هذه الظلمة بهذه السرعة أخبراني عن شأنكما فأخبراه بالقصة فقال نعم كان كل واحد منكما يعتمد على ما جبل عليه في أعطاء الثمن والرجل يسخي منكما في التقاضي

وكان من له ذكر الحسن ومن امراه سبب قبل توبته فكان يوما واقفا على راس ابى عثمان
الحرى فتفكر فى شانها فرفع ابو عثمان الله راسه وقال الا نستحى وكان شاه
الكرمانى جيد الفراسة لا تخطى فراسته وكان يقول من غض بصره عن المحارم وامسك
نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود
اكل الحلال لم تخطى فراسته وكان شاب يحب الجنيد تكلم على الخواطر فذكر للجنيد
فقال له اشر هذا الذى ذكرت عنك فقال له اعقد شا فقال له الجنيد
اعقدت فقال الشاب اعقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا فقال اعقد ثانيا
فقال الشاب اعقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا قال فاعقد ثالثا قال
اعقدت قال الشاب هو كذا وكذا قال لا فقال الشاب هذا عجبا انت صدوق
وانا اعرف فلى فقال الجنيد صدقت فى الاولى والثانية والثالثة لكن اردت
ان امتحنك هل تغير قلبك وقال ابو سعد الحراز دخلت المسجد الحرام فدخل
فيه علينا خرقانى يسال شيا فقلت فى نفسى مثل هذا كل على الناس فنظر الى
وقال واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه قال فاستغربت فى سرى
فناداني وقال وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وقال ابو هبيرة الخواص كنت
فى الجامع فاقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه حسن الحركة فقلت لاصحابنا
نمنع لى انه يهودى فكلهم كره ذلك فخرج وخرج الشاب ثم رجع اليهم فقال
الشيخ فى اى خشم فاى عليهم فقالوا قال انك يهودى فجاء فجلس على
يدى فاسلم فقلت ما السبب فقال نجد فى كتابنا ان الصديق لا تخطى فراسته
فقلت انتم المسلمون فاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق فى هذه الطائفة فليست

عليكم فلما طلع هذا الشيخ على وتفرسنى علمت انه صديق وهذا عثمان بن عفان
دخل عليه رجل من الصحابة وقد راى امراة فى الطريق فتامل محاسنها فقال
له عثمان دخل على احدكم واثر الزنا ظاهر على عينه فقلت اوحى بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن تبصره وبرهان وفراسة صادقة فهذا
شان الفراسة وهى نور يقذفه الله فى القلب فخطر له التى يكون كما خطر له
ويعلم بها الحق فترى ما لا يراه غيرها والفرق بين البصيرة والبيد ان
البصيرة يكون القصد فيها تحذير المسلم من مبتدع او فساق او غاش او مفسد
فذكر مافيه اذا استشارك فى صحبته ومعاملته والتخلق به كما قال النبى
صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس وقد استشارته فى نكاح معاوية وابى جهم
فقال اما معاوية فصعلوك واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وقال
عن بعض اصحابه لمن يسافر معه اذا هبطت بلاد قوم فاحذرهم فاذا وقعت
الفتنة على وجه البصيرة لله ولرسوله وعباده المومنين فهى قربة الى الله
من جملة الحسنات فاذا وقعت على وجه ذم اخلق ومن نوع عرضه والتفكه
بلحمه والعضه منه لتضع منزلته من قلوب الناس فهى الداء العضال وناد
الحسنات التى ياكلها كما ياكل النار الحطب والفرق بين الهدية والرشوة
وان اشبها فى الصورة والقصد فان الراشى قصده بالرشوة الوصول الى الباطل
حق او بخسوا بالحق وهذا الراشى الملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان رشى لدفع الظلم عن نفسه اختص المرتشى وحده باللعنة واما الهدية
مقصوده استجلاب المودة والمعرفة والاحسان فان قصد المكافاة فهو متعاوض

وان يصد الريح فهو مستكبر والفرق بين الصبر والقسوة ان الصبر خلق كسبي
يحلو به العبد وهو حبس النفس عن الجزع والهلع والشكى فحبس النفس عن التسخط
واللسان عن الشكوى والجوارح عن ما لا ينبغي فعله وهو ثبات القلب على الاحكام
القدرية والشرعية واما القسوة فيبس في القلب يمنعه من الانفعال وغلظه
يمنعه من التأثر بالنوازل فلا تؤثر بها لغلظته وقساوته لا لصبره واجتماعه
وحقيقة هذا ان القلب ثلاثة قلب قاس غليظ بمنزلة اليد الشديدة وقلب مائع
رقيق جدا فالاول لا ينفعل لحق بمنزلة الحجر والثاني بمنزلة الماء وكلاهما ناقص
واصح القلوب القلب الرقيق الصافي الصلب فهو يرى الحق من الباطل بصفاته
وغلبته ويؤثره برقته وحفظه ويحارب عدوه بصلابته وفي اثر القلوب اربعة
القلوب في ارضة فاجمها اليه ارقها واصلبها واصفاها وهذا القلب الزجاجي
فان الزجاجة جمعت الاوصاف الثلاثة وابغض القلوب الى الله القلب القاسي
قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقال ثم قست قلوبكم من بعد ذلك
فهي كالحجارة او اشد قسوة وقال لجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم فذكر الصفتين المنحرفتين عن الاعتدال هذا بمرضه
وهذا بقسوته وجعل القاء الشيطان فتنة لاصحاب هذين القلبين ورحمته
لاصحاب القلب الثالث وهو القلب الصافي الذي تتبين له القاء الشيطان والقاء
الملك بصفاته وقبل الحق باخباته ورقته وحارب المنوس المبطل بصلابته
وقوته فقال تعالى عقيب ذلك وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك
فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم

والفرق

والفرق بين العفو والذنب ان العفو اسقاط حقك جودا وكرما واحسانا مع
قدرتك على الاستقام فوتر الترك رغبة في الاحسان ومكارم الاخلاق وخلاف
الذنب فان صاحبه ترك الانتقام عجزا وخوفا ومهانة بغير فهذا مذموم
غير محمود ولعل المنتقم بالحق احسن حالا منه قال تعالى والذين اذا اصابهم
البغي هم ينتصرون فمدحهم بقصرهم نفوسهم على الانتصار لنفوسهم ومقاصصتهم منها
ذلك حتى اذا قدروا على من بغى عليهم وتمكنوا من استيفاء ما لهم عليه بذلوا له
الخلق الشريف من العفو والصفح فعالك وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح
فاجره على الله انه لا يحب الظالمين فذكر المقامات الثلاث العدل والاخذ
والفضل وندب اليه والظلم وحرمه فان قيل فكيف مدحهم على الانتصار والعفو
وهما متباينان فان قيل لم يمدحهم على الاستيفاء والانتقام وانما مدحهم على الانتصار
وهو القدرة والقوة على استيفاء حقهم فهذا هو الانتصار فلما قدروا مدحهم
الى العفو قال السلف في هذه الآية كانوا يكرهون ان يذلوا فاذا قدروا عفوا
فمدحهم على عفو بعد قدرة لا على عفو ذل وعجز ومهانة وهذا هو الكمال
الذي مدح سبحانه نفسه في قوله وكان الله عفوا قديرا والله قدير والله غفور
رحيم وفي اثر معروف حملة العرش اربعة اثنان يقولان سبحانك اللهم ربنا
وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واثنان يقولان سبحانك اللهم ربنا
وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ولهذا قال المسيح صلوات الله
وسلامه عليه ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
اي ان غفرت لهم غفرت عن عزة وهي كمال القدرة وحكمة وهي كمال العلم

مغرب بعد ان علمت ما عملوا واحاطت بهم قدرتك اذ المخلوق وقد نعم لعجزه عن الاتيان
وجهله عن حقيقة ما صدر من المسئ والعفو من المخلوق ظاهره ضيم وذل وباطنه عز وهو
به والانتقام ظاهره عز وباطنه ذل فما زاد الله عبداً بعفو الا عزا ولا انتصر احد
لنفسه الا ذل ولو لم يكن الابتوات عز العفو ولهذا اسقم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لنفسه فط وتامل قوله سبحانه هم ينصرون كيف نفى ان يكون فيهم من القوة
ما يكون هم بها المنتصرين لانفسهم لا ان غيرهم هو الذى ينصرهم ولما كان الانتصار
لانف النفوس فيه على حد العدل غالبا لابد من المجاوزة شرع سبحانه فيه المماثلة
والمساواة وحرم الزيادة وندب الى العفو والمقصود ان العفو من اخلاق النفس
المطمئنة والذل من اخلاق الامارة ونكتة المسالة ان الاستقرار على والانتصار
شئ فالانتصار ينتصر لحظ الله ومن اجله ولا يسوى على ذلك الا من تخلص من ذل
حظه ورق هواه فاذا جئت بنال حظا من العز الذى قسم الله للمومنين فاذا بغى
عليه انتصر من الباغى من اجل عز الله الذى اعزه به غيره على ذلك العز استضام
وقهر وحسبك للعبد المنسوب الى العزيز الحميد ان يسدك فهو يقول للباغى عليه
انا مملوك من لا يذل مملوكه ولا يحب ان يذله احد واذا كانت نفسه الامارة فانه
على اصولها لم يرد طلبه الا ستقرار الانتصار لحظها وظفرها بالباغى يسعاده وادلاله
له واما النفس المطمئنة التى خرجت من ذل حظها ورق هواها الى عز توحيدها وانها
فاذا نالها البغى قامت بالانتصار لحبيبه ونصره العز الذى اعزها الله به وبالله
منه وهو فى الحقيقة حمية لربها ومولاها وقد ضرب لذلك مثل بعبدين من عبيد
ضرب احدهما صاحبه فعفى المضروب عن الضارب نصحا منه لسيده وشفقة على الصاحب

ان

ان يعاقبه السيد فلم سيده خطيئته وافساده بالضرب
شكر العافى على عفوه ووقع منه بموقع وعد اخر قد افاده من يديه وحمله
والبسه ثيابا بيض مما من يديه فحد بعض سوابر الدواب واضار بهم فلطخ
تلك الثياب بالعذرة او نزقها فلو عفى عن من فعل به ذلك لم يوافق عفوه عرض
راى سيده ولا محبته وكان الانتصار احب اليه واولى لرضا به كان يقول
انما فعل هذا بك جراة على واستخفافا بسلطانى فاذا مكنت من عقوبته فاذله
وقهره ولم يتوان ان يبطش به فذلك وانكسر قلبه فان سيده يحب منه ان
لا يعاقبه لحظه وان ياخذ منه حق السيد فكون انتصاره حينئذ لمحض حق
سيده لا لنفسه كما روى عن على انه مر برجل فاستغاث به وقال هذا ممن
حقى ولم يلحظ اياه فقال اعطه حقه فلما جاوز همالح الظالم وضرب صاحب
الحق فاستغاث بعلى فرجع وقال اتاك الغوث قال استعبد لظلمك فقال
قد عفوت يا امير المومنين فضربه على تسع درر وقال قد عفا عنك من ظلمته
وهذا خو السلطان فعاقبه على لما اجترا على سلطان الله ولم يدعه وشبه
هذا قصة الرجل الذى جا الى ابى بكر فقال احملنى فوالله لانا افقر منك ومن ابيك
وعنده المغيرة بن شعبة فحمر عزد راعه ووصك بها انف الرجل فسال الدم
فجا قومه الى ابى بكر فقالوا افقا بن المغيرة فقال انا اقدكم منه رعد الله
لا اقدكم منه فراى ابو بكر ان ذلك انتصار من المغيرة وحمية لله والعز الذى
اعزه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكن من ذلك العز من حسن خلافته
واقامة دينه فترك قوده لاجزا آمد على عز الله وسلطانه الذى اعزه رسوله

وَدِنْدِنَهُ وَخَلِيفَتُهُ فَهَذَا لَوْنٌ وَالضَّرْبُ حَمِيدٌ لِلنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ لَوْنٌ وَالْفَرْقُ بَيْنَ
سَلَامَةِ الْقَلْبِ وَالْبَلَهِ وَالْفَضْلُ أَنَّ سَلَامَةَ الْقَلْبِ تَكُونُ مِنْ إِرَادَةِ الشَّرِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ
فَسَلِمَ قَلْبُهُ مِنْ إِرَادَتِهِ وَقَصْدِهِ لَا مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَالْعِلْمِ بِهِ وَهَذَا بِخِلَافِ الْبَلَهِ وَالْغَفْلَةِ
فَإِنَّهُمَا جَهْلٌ وَقِلَّةُ مَعْرِفَةٍ وَهَذَا لَا يُحْمَدُ إِذْ هُوَ نَقْصٌ وَإِنَّمَا يُحْمَدُ النَّاسُ مَنْ هُوَ
كَذَلِكَ لِسَلَامَتِهِمْ مِنْهُ وَالْكَمَالُ أَنْ يَكُونَ الْقَلْبُ عَارِفًا بِهَا صَبِيلِ الشَّرِّ سَلِيمًا مِنْ
إِرَادَتِهِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَسْتُ بِخِبٍّ وَلَا يَخْدَعُنِي الْخِبُّ وَكَانَ عُمَرُ
أَعْقَلَ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ وَأَوْرَعَ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا
مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ فَهَذَا هُوَ السَّلِيمُ مِنَ الْآفَاتِ الَّتِي تَعْرِي الْقُلُوبَ الْمَرِيضَةَ مِنْ
مَرَضِ الشَّهْوَةِ الَّتِي تُوجِبُ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَرَضِ الشُّبْهَةِ الَّتِي تُوجِبُ اتِّبَاعَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
فَالْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي سَلِمَ مِنْ هَذَا وَهَذَا وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْبَلَهِ وَالْغِرَّةِ أَنَّ الْبَلَهَ
يَكُونُ بِتَرْكِ الْإِرَادَةِ وَالْغِرَّةُ بِفَسَادِ الْإِرَادَةِ فَكُلَّمَا قَوِيَتْ بَلَهُ الْإِمَارَاتِ قَوِيَتْ
الثِّقَةُ وَاسْتَحْكَمَتْ وَلَا سِيَّمَا عَلَى كَثْرَةِ التَّجَارُبِ وَصِدْقِ الْفِرَاسَةِ وَاللَّطْعَةِ كَانَتْهَا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنَ الْوِثَاقِ وَهُوَ الرِّبَاطُ فَالْقَلْبُ قَدِ ارْتَبَطَ بِمَنْ وَثِقَ بِهِ تَوَكُّلًا عَلَيْهِ وَحُسْنَ
ظَنٍّ بِهِ فَصَارَ فِي وِثَاقِ مَحَبَّتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ وَالِاسْتِنَادِ إِلَيْهِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَيْهِ فَهُوَ
فِي وِثَاقِهِ بِكُلِّيَّتِهِ وَرُوحِهِ وَبَدَنِهِ فَإِذَا سَارَ الْقَلْبُ إِلَى اللَّهِ وَانْقَطَعَ إِلَيْهِ بِقَيْدِ مَحَبَّتِهِ
وَصَارَ فِي وِثَاقِ الْجُودَةِ فَلَمْ يَسْتَوْلِ مَعَهُ فِي الْوَاقِعِ وَلَا الْتَجَأَ غَيْرَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ
فِي شِدَّتِهِ وَدَحَرَ عَدُوَّهُ فِي نَوَائِبِهِ وَمَلْجَأِهِ فِي نَوَازِلِهِ وَمُسْتَغَاثِهِ فِي حَوَائِجِهِ وَضَرُورَاتِهِ
وَأَمَّا الْغِرَّةُ فَهِيَ حَالُ الْمَرْءِ الَّذِي غَرَّتْهُ نَفْسُهُ وَشَيْطَانُهُ وَهَوَاهُ وَأَمَلُهُ الْخَائِبُ
الْكَاذِبُ بِرَبِّهِ حَتَّى اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ وَالْغُرُورَ

بِمَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ وَسُكُونُكَ إِلَى مَنْ لَا تَسْكُنُ إِلَيْهِ وَرَجَاؤُكَ النَّفْعَ مِنَ الْمَحَلِّ الَّذِي لَا يَأْتِي
مِنْهُ إِلَّا الضُّرُّ كَحَالِ الْمُغْتَرِّ بِالسَّرَابِ قَالَ تَعَالَى وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ
حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَقَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْمُغْتَرِّينَ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ
بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا فَهَؤُلَاءِ إِذَا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَبُيِّنَتْ حَقَائِقُ الْأُمُورِ عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى
شَيْءٍ وَبِئْسَ الْمَرْءُ مَنْ لَا يَكُونُ لِلَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَفِي أَثَرٍ مَعْرُوفٍ إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ
سُبْحَانَهُ يَزِيدُكَ مِنْ نِعَمِهِ وَأَنْتَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ فَاحْذَرْهُ فَمَا هُوَ إِلَّا اسْتِدْرَاجٌ
يَسْتَدْرِجُ بِهِ الْعَبْدَ مِنْهُ وَشَاهِدُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا
بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ
مُبْلِسُونَ فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْغِرَّةِ أَنْ تَرَاهُ سُبْحَانَهُ يُنْعِمُ عَلَيْكَ وَأَنْتَ مُقِيمٌ عَلَى مَا يُكْرَهُ
فَالشَّيْطَانُ يُوَكِّلُ بِالْغُرُورِ وَطَبْعُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ الِاغْتِرَارُ فَإِذَا اجْتَمَعَ الزَّانِي
وَالْبَغِيُّ وَالْمُرَائِي وَالْمُحْتَاجُ وَالشَّيْطَانُ الْغَرُورُ وَالنَّفْسُ الْمَغْرُورَةُ لَمْ يَقَعْ هُنَاكَ إِلَّا
فَالشَّيَاطِينُ غَرُّوا وَالْمَغْرُورُونَ بِاللَّهِ وَأَطْمَعُوهُمْ مَعَ إِقَامَتِهِمْ عَلَى مَا يُسْخِطُ اللَّهَ وَبِعَيْنِهِ
فِي عَفْوِهِ وَتَجَاوُزِهِ وَحَثَّهُمْ بِالتَّوْبَةِ لِلسُّكْرِ فَلَوْ بَعَثَ ثُمَّ دَافَعُوهُ بِالتَّسْوِيفِ
حَتَّى هَجَمَ الْأَجَلُ فَاحِدًا وَاعَلَى إِسْرَكِمَا أَحْوَالُهُمْ قَالَ تَعَالَى وَغَرَّكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ
أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ وَقَالَ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا
تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ وَأَعْظَمُ النَّاسِ غُرُورًا مَنْ تَمَنَّى
إِذَا مَنَّتْهُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ قَالَ هَذَا لِي أَيْ أَنَا أَهْلُهُ وَجَدِيرٌ بِهِ وَمُسْتَحِقٌّ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

له ثم قال وما أظن الساعة قطر انه اهل لما اوليه من النعم مع كفره بالله ثم زاد
في غروره فقال ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى يعني الجنة والكرامة
فهذا كون الغرة بالله فالمغرر بالشيطان مغرور بوعوده واما بنه وقد ساعده
اغراره بدنياه ونفسه فلا زال كذلك حتى تردد في آثار الهلاك والفوت
من الرجاء والتمني ان الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الاتيان
باسباب الظفر والفوز والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الاسباب
الموصلة اليه قال تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل
الله اولئك يرجون رحمت الله فطوى الله سبحانه بساط الرجاء الا عن هؤلاء
وقال المغرورين ان الذين ضيعوا اوامره وارتكبوا نواهيه وابتغوا ما يخطه
ويحبنوا ما يرضه اولئك يرجون رحمته ولنر هذا ابدع من غرور النفس
والشيطان ظهر فالرجاء للعبد قد امتلأ قلبه من الايمان بالله واليوم الآخر فمثل
من عنده ما وعده من كرامته وجنته فامتد القلب الى ذلك شوقا اليه وحرص
عليه فهو شبيه بالماد عينه الى مطلوب قد صار نصب عينه وعلامة الرجاء الصحيح
ان الراجي يخاف فوت الجنة وذهاب حظه منها بترك ما يخاف ان يحول بينه
وبين دخولها فمثله مثل رجل خطب امراة كريمة في منصب وشرف الى اهلها فلما
ان وقع العقد واجتماع الاشراف والاكابر وأتى الرجل الى الحضور اعلم عشيته
ذلك اليوم ليذهب للحضور فراه اهل المراة واكابر الناس فاخذ في التاهب
والتزين والتجمل فاخذ من فضول شعره وتنظف وتطيب ولبس اجمل ثيابه واتى
الى تلك الدار متغيا في طريقه كل وسخ ودنس واثر يصيبه اشد تقوى حتى

الغبار والدخان وما هو دون ذلك فلما وصل الى الباب رحب بدربها ومكرله في
صدر الباب على الفرش والوسايد ورمقته العون وقصد بالكرامة من كل ناحية
فلما رآه ذهب بعد اخذ هذه الزينة فجلس في المزابل وتمرغ عليها وتمعك بها وتلطخ
في يديه وثيابه بما عليها من عذر وقذر ودخل ذلك في شعره وبشره وثيابه حتى
عاد تلك الحالة الى الدار وقصد دخولها للوعد الذي سبق له فعاد الثواب بالضرب
والطرد والصياح عليه والابعاد له من بابها وطردها فرجع متحيرا خاسرا
فالاول حال الراجي وهذا حال المتمني وان شئت مثلت لك حال الرجل بملك
هو من اعز الناس واعظمهم امانة واحسنهم معاملة لا يضيع لديه حق احد وهو
يتعامل الناس من وراء ستر لا يراه احد ويضاعف اموال التجار وعبيده
واما آخر ظاهر بار رديء في داره للمعاملين فدخل عليه رجلان فكان احدهما يعامله
بالصدق والامانة والنصيحة لم يحرب عليه غشا ولا خيانة ولا مكرا فاما عند بضاعة
كلها واعتمد على مع ما ليكه وجوان ما احب ان يعتمد عليهم فكان اذا دخل يضاعة
يختر له احسن البضايع واجلها اليه واوصفها بيده ويبذل جهده في تحسينها و
وتجميلها واسئل ما يختفي منها احسن مما ظهر وتسلم المؤنة ممن امره ان يتسلمها واسئل ما
اجره السفير منه ومنه في مقدار ما يعلمه وصفه وهمانه وشكله وقوته
وسائر شئونه وكان الاخر اذا دخل داخل باحسن بضاعة يجدها فلم يختصها من
الغش ولا نصح فيها ولا اعتمد في امرها ما فاله المشار جرف ذلك عن الملك
والسفير منه ومن الصناع والتجار بل كان يعاملها على ما تهواه هو ومع ذلك فالمكان
يخون الملك في داره اذ هو غاب عن عينه فلا يلوح له طمع الا جاده ولا يرمقه

شبكة الألوكة www.alukah.net

الملك الامد بصره اليها وحرص على اسبابها ولاشيا سخط الملك الا اركبه اذا
قد عليه فمضا على ذلك مدة ثم قيل ان الملك برز النور لمعاملته حتى يحاسبهم ويطهر
خصومهم فوقف الرجلان بين يديه فعامل كل واحد منهما بما يستحقه فما ظن هذين الرجلين
فان الواقع مطابق لهما فالراجي على الجملة لما صارت الجنة نصب عينيه ورجاه
وامله امتد اليها قلبه وسعى لها سعيها فان الرجا هو امتداد القلب وميله وسعيه
رجاء كالهارب وخوف الهروب والاخذ بالحذر واصله من النحي ورجا
البئر ناحيتها وارجا السما نواحيها وابتداء القلب الى المحبوب منقطعا عما يقطعه
عنه هو نحي عن النفس الامارة واسبابها وما تدعوا اليه وهذا الابتداء والميل
والخوف من سائر النفس المطمئنة فان القلب اذا انفتح بصيرته فرأى الآخرة
وما اعد الله فيها لاهل طاعته واهل معصيته خاف وخف مرتحلا الى الله والدار
الآخرة وكان مثل ذلك مطمئنا الى النفس والنفس الى الشهوات والدنيا فلما
انكشف عند غطا النفس خفق وارتحل عن جوارها طالبا جوار العزيز الرحيم
في جنات النعيم ومن هنا صار كل خائف راجيا وكل راج خائفا فاطلق
اسم احدهما على الآخر فان الراجي قلبه قرب الصفة من قلب الخائف هذا الراجي
قد جافا قلبه عن مجاورة النفس والشيطان مرتحلا الى الله فد رفع له من الجنة علم
فشمر اليه واشتد فاذا اليه قلبه كله وهذا الخائف فار من جوار جسمها تلقى الى
الله بين حبسهما الذي حبسهما في الدنيا فجلس منهما بحد الموت وبوار القيمة
فان المرتع قريبه في الدنيا والآخرة فلما سمع الوعيد ارتحل من مجاورة جاره
السوء في الدار فاعطى اسم الخائف ولما سمع الوعد امتد واستطال شوقا

اليه

اليه وفرحا بالنظر اليه فاعطى اسمه وحاله مثلا زمام لا يمسك فكل راج خائف
من وجه ما يرجى كما ان كل خائف تراجى امنه مما خاف فلذلك تداولا الايمان عليه
وقال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا قالوا في تفسيرها لا تخافون لله عظمة وقد علم
ان الله سبحانه طوى الرجا الا عن الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا وقد فسر
النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بانه ذو شعب واعمال ظاهره وباطنه وفسر
الهجرة بانها هجرة ما نهى الله عنه والجهاد بانه جهاد النفس في ذات الله فقال
المهاجر من هجر ما نهى الله عنه والمجاهد من جاهد نفسه في ذات الله والمقصود
ان الله سبحانه جعل اهل الرجا من امن وهاجر وجاهد واخرج من سواهم من
هذه واما الامانى رؤس اموال المفاليس اخرجوها في قالب الرجا وملات
اماناهم وهي تصدر من قلب تراحمت عليه وساوس النفس فاظلم من ذ خانها
فهو مستعمل قلبه في شهواتها وكل ما فعل ذلك منه حسن العاقبة والنجاة
واحاله على العفو والمغفرة والفضل فان الكريم لا يسوؤه خصمه ولا تضره
الذنوب ولا تفسد المغفرة وتسمي ذلك رجا وانما هو وساوس وامان باطلة
تقذف بها النفس الى القلب الجاهل فيستريح اليها قال تعالى ليس بامانيكم
ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا
واذا ترك ونصرته تولته نفسه والشيطان فصار اولى له ووكل الى نفسه
فصار انتصاره لها بدلا من نصرة الله ورسوله فاستدبر ولاية الله ولاية
نفسه وشيطانه ونصرته نصرة نفسه وهواه فلم يدع للرجا موضعا فاذا قال
لتلك النفس انا في مغابر الرجا فطالبها بالبرهان وقل هذه امنيه فهاتوا برهانكم

شبكة الألوكة www.alukah.net

ان كثر صاده من فالكيس يحمل اعماله البر على الطمع والرجا والاحمق العاجز يعطل
اعماله البر ويتكل على الاماني الى يسمها رجا والله الموفق والفرق بين التحدث
بنعم الله والفخر بها ان التحدث بالنعمة تخبر عن صفات ولينا وتخضع جوده واحسانه
فهو شكر عليه باظهارها والتحدث بها شاكرا له ناشرا بجميل ما اولاه مقصوده بذلك
اظهار صفات الله ومدحه والثنا عليه وحث النفوس على الطلب منه دون غيره
وعلى محبته ورجائه فيكون داعيا الى الله باظهار نعمه ونشرها والتحدث بها واما
الفخر بالنعم فهو ان تستطيل بها على الناس وترى انك اعز منهم واكبر فيركب اعناقهم
وتستعبد قلوبهم ويسمتيلها اليه بالتعظم والخدمة قال النعمان بن بشير ان
للشيطان مصايد وفخوخا وان من مصايده وفخوخه البطر بنعم الله والكبر على
عباد الله والفخر بعطية الله والهون في عرفات الله والفرق بين فرح القلب
وفرح النفس ظاهر فان الفرح بالله ومعرفته ومحبته وكلامه من القلب قال تعالى
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك فاذا كان اهل الكتاب يفرحون
بالوحي المنزل فاولياء الله واتباع رسوله احق بالفرح به وقال تعالى واذا ما
انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا وهم يستبشرون وقال تعالى فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون قال ابو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من
اهله وقال هلال بن واف فضل الله ورحمته الاسلام الذي هداكم اليه والقرآن
الذي علمكم هو خير من الذهب والفضة الذي تجمعون وقال ابن عباس والحسن
وقتادة وجمهور المفسرين فضل الله الاسلام ورحمته القرآن فهذا فرح القلب

وهو من الايمان ويثاب عليه العبد فان فرحه به يدل على رضاه بذلك هو فوق
الرضا فالفرح بذلك على قدر محبته فان الفرح انما يكون بالظفر بالمحبوب وعلى قدر
محبته يفرح بحصوله فالفرح بالله واسمائه وصفاته ورسوله وسنته وكلامه
بحسب الايمان وصفو وليه وله عبودية عجيبة واثر في القلب لا يعبر عنه فابتهاج
القلب وسروره وفرحه بالله واسمائه وصفاته وكلامه ورسوله ولقائه من افضل
ما يعطاه بل هو اجل عطاياه والفرح في الآخرة بالله ولقائه بحسب الفرح به
ومحبته في الدنيا فالفرح بالوصول الى المحبوب يكون على حسب قوة الوجد وضعفها
فهذا اشار فرح القلب وله فرح آخر وهو فرحه بما من الله به عليه من معاملته
والاخلاص له والتوكل عليه والتعبد له وخوفه ورجائه وكلما تمكن في ذلك
قوي فرحه وابتهاجه وله فرحة اخرى عظيمة الوقع عجيبة الشان وهي الفرحة
التي تحصل له بالتوبة فان لها فرحة عجيبة لا تشبه لفرحة المعصية الى البتة فلو
علم العاصي ان لذة التوبة وفرحتها تزيد على لذة المعصية وفرحتها اضعافا مضاعفة
لبادر اليها اعظم من مبادرته الى لذة المعصية وبتر هذا الفرح انما يعلم من علم
بتر فرح الرب تعالى بتوبة اشد فرح يقدر ولقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثلا ليسير له في انواع الفرح في الدنيا اعظم منه وهو فرح رجل قد خرج
براحلته التي عليها طعامه وشرابه في سفر فقدها في ارض دوية مهلكة فاجهده
حر طلبها فلم يجدها فيئس منها فجلس ينتظر الموت حتى اذا طلع البدر راى في خوه
راحلته وقد تعلق زمامها بشجرة فعالى من شدة فرحه اللهم انت عبدي وانا
ربك اخطا من شدة الفرح فالله افرح بتوبة عبده من هذا براحلته فلا ينكر

ان يحل الباب نصيب وافر من الفرح بالموت ولكرها هنا امر يجب التنبه عليه وهو
انه لا يصل اليه ذلك الا بعد رحلة ومضض ومخ لا تثبت لها الجمال فان صبر لها ظفر
بلذة الفرح وان ضعف عن حملها ولم تصبر لها لم تظفر بشئ واجر امره فوات ما اراه
من فرحة المصدة ولذتها فتفوته الامران ويحصل على ضد اللذة من الالم المركب من
وجود المودى وفوت المحبوب فالحكم لله العلى الكبير وها هنا فرحة اخرى اعظم
من هذا كله وهى فرحته عند مفارقته الدنيا الى الله اذا ارسل اليه الملائكة فبشروه
بلقائه وقالت له ملك الموت اخرجى ايتها الروح الطيبة كانت فى الجسد الطيب
ابشرى بروح وريحان وربّ غير غضبان اخرجى راضية مرضيا عنك الى لقاء ربك
النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى
فلو لم يكن من ندى الباب الا هذه الفرحة وحدها لكان العقل يامره باشتيارها فكيف
ومن بعدها انواع الفرح منها صلاة الملائكة الذين فى السماء والارض على روحه
ومنها فتح ابواب السماء لها وصلاة ملائكة السماء عليها وتشييع مقربيها لها الى السماء
التى بعدها وتفتح لها ويصلى عليها اهلها وتشيعها مقربوها هكذا الى السماء السابعة
فكيف بقدر فرحها وقد استوذرها على ربها وليها وحبيبها فوقفت بين يديه
واذن لها بالسجود فسجدت ثم سمعته سبحانه يقول اكتبوا فى عليين ثم ذهب فيرى
الجنة ومقعده منها وما اعد الله له ولمن اصحابه واهله فيستبشر وزنه ويفرحون
به ويفرح بهم فرح الغائب يقدم على اهله فيجدهم على احسن حال ويقدم عليهم
بخير ما قدم به مسافر هذا كله قبل الفرح الاكبر يوم حشر الاجساد بجلوسه
فى ظل العرش وشربه من الحوض واخذه كتابه بيمينه وثقل ميزانه وبياض وجهه

واعطائه

واعطائه النور الساطع والماء فى الظلمة وقطع جسر جهنم بلا نفوذ وانتهائه الى
باب الجنة وقد ازلفت له فى الموقف وبلقى خزنتها له بالترحيب والسلامة والبشارة
وقدومه على منازله وقصوره وازواجه وسراريه وبعد ذلك فرح اخر لا يقدر
قدره ولا يعبر عنه بلاشى هذه الافراح كلها عنده وانما يكون لاهل السنة
المصدقين بموعوده وجه ربهم تبارك وتعالى من نوره وسلامه عليهم وكلمه اياهم
ومحاضرته له ولست هذه الافراح الا لذى الرجاة فى دار الرزايا

فشمر ما استطعت الساق واجهد لعلك ان تفوز بذى العطايا
وصم عن لذة خشيت بلاء للذات تخلص من البلايا
ودع امنية ان لم تنلها تعذب او تنل كانت منايا
ولا تستبطئ وعدا من رسول اتى بالحق من رب السرايا
فهذا الوعد ادنى من نصير مضى بالامس لو وفت رزايا

والفرق بين رقة القلب والجزع ان الجزع ضعف فى النفس وخوف فى القلب شدة
شدة الطمع والحرص وتولد من ضعف الايمان بالقدر والا فمتى علم ان المقدر
كائن ولا بد كان الجزع عنا تحضا ومصيبة ثابتة فالله تعالى اما اصاب من مصيبة
فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم فمتى امن العبد بالقدر وعلم ان المصيبة
مقدرة فى الحاصل والغائب لم يجزع ولم يفرح ولا بأس فى هذا رقة القلب
فانها ناشئة من صفة الرحمة التى هى صفة الله وانما يرحم الله من عباده الرحماء
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارق الناس فالجزع حالة مذمومة

بالدنيا قد غشيه دخان النفس الامارة فاخذ بأنفاسه وضيق عليه مسالك الآخرة
وصار في بحر الهوى والنفس وهو بحر ضيق الارجا مظلم المسالك فلاضطرار القلب
وضيقه تجزع من أدنى ما يصيبه ولا يحتمله فاذا اشرق فيه نور الايمان واليقين
بالوعد وامتلأ من محبة الله واجلاله رق وصارت فيه الرأفة والرحمة فيراه
رحيما رفيق القلب بكل ذي قربى ومسلم رحيما للمملوك في حرها والقر في وكره
وكره ضلاعن ذي جنسه فهذا أقرب القلوب من الله قال انس كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارحم الناس بالعيال والله سبحانه اذا اراد ان يرحم
عبدا اسكن في قلبه الرأفة والرحمة واذا اراد ان يعذبه نزع من قلبه
الرحمة والرأفة وابدله بهما الغلظة والقسوة وفي الحديث الثابت لا تنزع
الرحمة الا من شقي وفيه من لا يرحم لا يرحم وفيه ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السماء وفيه اهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق ورجل
رحيم رفيق القلب بكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال والصدقة
انما فضل الاحد بما كان في قلبه من الرحمة الحاملة زيادة على الصدقة ولهذا
ظهر اثرها في جمع مقاماته حتى في الاسارى تؤمر بدر واستفراد الامر على
ما اشار به وضرب له النبي صلى الله عليه وسلم مثلا بعيسى وابراهيم والرب
سبحانه هو الرؤف الرحيم واقرب الخلق اليه اعظمهم رأفة ورحمة كما ان
ابعدهم منه من انتفت بضدها وهذا باب لا يلجه الا افراد في العالم
والفرق بين الوجد والحقد ان الوجد الاحساس بالمؤلم والعلم به وتحرك
النفس في دفعه فهو كالك واما الحقد فهو اضمار الشر ونوعه كل وقت لمن وجد

فلا يزال القلب اثره وفرق آخر وهو ان الموجدة لما نالك منه والحقد لما
نالك منه فالموجدة وجود ما نالك من اذاه والحقد توقع وجود ما نالك
المقابلة فالموجدة سريعة الزوال والحقد بطيء الزوال والحقد يحي مع ضيق
القلب واستيلاء ظلمة النفس ودخانها عليه بخلاف الموجدة فانها تكون مع
قوته وصلابته وقوة نوره واحتسابه والفرق بين المنافسة والحسد ان المنافسة
المبادرة الى الكمال الذي تشاهده من غيرك فتنافسه فيه حتى تلحقه او تجاوزه
فهي من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر قال تعالى وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون واصلها من الشيء النفيس الذي يتعلق به النفوس طلبا ورغبة فيتنافس
فيه كل من النفسين للاخرى وربما فرحت اذا شاركتها فيه كما كان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتنافسون في الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم
فيه بل يحب بعضهم بعضا عليه مع تنافسهم فيه وهي نوع من المسابقة وقد قال
تعالى فاستبقوا الخيرات وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وكان عمر بن الخطاب يسابق
ابا بكر فلم يظفر بسبقه ابدا فلما علم انه قد استولى على الامر قال
والله لا اسابقك الى شيء ابدا وقال والله ما سبقته الى خير الا وجدته قد سبقني
اليه والمنافسة تكون بين ندين يتساويان او متقاربان في مرضاة وتتباينان
الى محابة فيتمنى كل منهما ويحثهما عليه وكل منهما تحث الاخر وتحمله
على مرضات سيده والحسد خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة لئيمة فهي حريص على
الخير فيحجزها وربما نافسه من يكسب الخير والمحامد ويفوزها دونها وتمنى ان
فاتها كسبها حتى تساويها في العدم كما قال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون

قال الله تعالى ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا
من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فالحسود عدو النعمة يتمنى زوالها عن المحسود
كما زالت عنه هو والمنافس سابق النعمة يتمنى تمامها عليه وعلى من يناله فهو نافس
غيره أن تعلو عليه ويجب لحاقه به أو مجاوزته له في الفضل والحسود يحب
انحطاط غيره حتى يساويه في الصغار وأكثر النفوس الفاضلة الخيرة تسبق
بالمنافسة فمن جعل نصب عينه شخصا من أهل الفضل والتقوى فنافسه انتفع
به كثيرا فانه يشتهي به ويطلب اللحاق به والتقدم وهذا لا يذم وقد يطلق
اسم الحسد على المنافسة المحمودة كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لا
حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار
ورجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق فهذا حسد منافسة وغبطة
يدل على علو همة صاحبه وكبر نفسه وطلبها للاشتراك بأهل الفضل والخير
ثم حب الرياسة وحب الامامة للدعوة الى الله هذا الفرق من تعظم امر الله
والنصح له وتعظم النفس والتشفي في حظها فان الناصح لله والمعظم له المحب
له يحب أن يطاع ربه فلا يعصى وأن يكون كلمة الله هي العليا وأن الدين كله لله وأن يكون
العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه فهذا ناصح الله في عبوديته وناصح خلقه
في الدعوة الى الله فهو يحب الامامة في الدين ليسأل ربه أن يجعل إماما مقتدى
به المتقون كما اقتدى هو بالمتقين وإذا اجتهد العبد الداعي إلى الله أن يكون
في أعين الناس جليلا وفي قلوبهم مهيبا وإليهم حبيبا وأن يكون فيهم مطاعا لكي
يأتموا به ويقتفوا أثر الرسول على يديه لم يضره ذلك بل يحمد عليه لأنه داع الى الله

يحب

يحب أن يطاع ويعبد ويوحد فهو يحب ما يكون عونا له على ذلك موصلا اليه ولهذا
ذكر عباده الذين اختصهم ليعبدوا وأثنى عليهم في تنزيله فأحسن جزاءهم يوم لقائه
فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم فعلم أن الذين يقولون ربنا هب لنا من
أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما فسألوه أن تقر أعينهم بطاعة
أزواجهم وذرياتهم لربهم سبحانه وأن يسرّ قلوبهم باتباع المتقين له على طاعته
وعبوديته فإن الإمام والمؤتم متعاونان على الطاعة فإنما سألوه ما يتعاونون
به المتقين على مرضاته وهو دعوتهم الى الله تعالى بالإمامة الى إمامها الصبر
والمتقين كما قال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا
يوقنون فسؤالهم أن يجعلهم أئمة المتقين هو سؤال أن يهدوا بصبر وتوفيق ومن
عليهم بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة ظاهرا وباطنا الى لائق الإمامة
الآخرة وتأمل كيف تسبب في هذه الآية الى اسم الرحمن جل جلاله ليعلم
خلقه أن هذا إنما نالوه بفضل ربهم وبمحض جوده ومنه وتأمل كيف
جعل جزاءهم في هذه الدار الغرف وهي المنازل العالية في الجنة لما كانت
الإمامة في الدين من المراتب العالية بل من أعلاها رتبة يعطاها العبد في الدنيا
كان جزاؤه عليها الغرفة العالية في الجنة وهذا بخلاف طلب الرياسة
فإن طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا بها أغراضهم من العلو في الأرض
وتعبد القلوب لهم وميلها اليهم ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم مع
كونهم عالين عليهم قاهرين لهم فترتب على هذا الطلب من المفاسد ما لا يعلمه
إلا الله من البغي والحسد والطغيان والجحد والظلم والغدر والخيانة

للبشر دون غوائله ونعظم من حقره الله واحتقار من اكرمه الله ولا نم الرياسة
الدنيوية إلا بذلك ولا نال الآبه وباضعافه من المفاسد والرذائل عمى عن
هذا فاذا كشف الغطاء تبين له فساد ما كانوا عليه ولا سيما اذا حشروا في صور
الذر يطأهم اهل الموقف بأرجلهم اهانة لهم وتحقيرا او تصغيرا كما صغروا
امر الله وحقروا عباده والفرق بين الحب في الله والحب مع الله وهذا
من اهم الفروق وكل احد محتاج بل مضطر الى الفرق بين هذا وهذا
فالحب في الله هو من كمال الايمان والحب مع الله هو عين الشرك والفرق
بينهما ان الحب في الله تابع لمحبة الله فاذا احبت محبته من قلب العبد اوجبت
تلك المحبة ان يحب ما احب الله فاذا احب ما احبه ربه وليه كان ذلك
الحب له وفيه كما احب رسله وانبياءه وملائكته واولياءه لكونه تعالى احبهم
وبغض من بغضهم لكونه تعالى ابغضه وعلامة هذا الحب والبغض في الله انه
لا يسأل بغضه لبغض الله جزاء احسانه اليه وخدمته له وقضاء حوائجه ولا
يسأل حبه حب الله بغضا اذا وصل اليه من جهته ما يكرهه ونحو اما
خطأ واما عمدا بطيعا لله فيه او متأولا مجتهدا او باغيا فارقا ما ساوا الذنب
كله يدور على اربع قواعد حب وبغض وترتب عليهما فعل وترك فمن كان حبه
وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل الايمان اذا احب احب لله واذا ابغض
ابغض لله واذا فعل فعل لله واذا ترك ترك لله وما نقص من اضافة هذه
الاربعة الى الله نقص من ايمانه ودينه بحسبه وهذا بخلاف الحب مع الله
فهو نوعان نوع يقدح في اصل التوحيد وهو شرك ونوع يقدح في كماله

الاخلاص ومحبة الله ولا يخرج من الاسلام فالاول كمحبة المشركين لاوثانهم
واندادهم قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم
كحب الله فهؤلاء المشركون يحبون اوثانهم واصنامهم وآلهتهم مع الله
كما يحبون الله فهذه محبة بالله وموالاة فيه مع الخوف والرجاء والعبادة
والدعاء وهذه المحبة هي محض الشرك الذي لا يغفره الله ولا نم الايمان
الا بمعاداة هذه الانداد وبغضها وبغض اهلها ومعاداتهم وبذلك
ارسل الله جميع رسله وانزل جميع كتبه وخلق النار لاجل هذه المحبة
الشركية وخلق الجنة لمن حاربت اهلها وعاداهم فيه وفي مرضاته فكل من
عبد شيئا من دون عرشه الى قرار ارضه فقد اتخذ من دونه الها وليا واشركه
به كائنا ما كان ولا بد ان يتبرأ منه احوج ما يكون اليه والنوع الثاني محبة
ما زينه الله آلية سبحانه للنفوس من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث فمحبتها بمجرد شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمآن
للماء فهذه المحبة بلاية انواع فاذا احبها لله وتوصل بها اليه واستعان به على
مرضاته وطاعته اثيب عليها وكان من قسم الحب لله فاثاب عليها ولم
يعاقب عليها وهذا حال اكل الحلق الذي حبب اليه من الدنيا النساء والطيب
وكانت محبته لها عونا له على محبة الله وتبليغ رسالاته والقيام بأمره
واذا احبها لمجرد طبعه وهواه وارادته ولم يوثرها على ما يحبه الله
ويرضاه بل نالها بحكم الميل الطبيعي كانت من قسم المباحات ولم يعاقب على
ذلك ولكن نقص من كمال محبة الله والمحبة فيه وان كانت هي مقصودة

ومراده وسعيه في تحصيلها والظفر بها وقدرتها على ما تجد الله ورضاه منه
كان ظالما لنفسه متبعا لهواه فالاولى تجنبه الساخر والبائنة تجنب المصيبة من
والبائنة تجنب الظالم فتامل هذا الموضع وما فيه من الجمع والفرق فانه يخرك
النفس الامارة والمطمئنة والمهدى من هداه الله والفرق بين التوكل والعجز التوكل
عمل القلب وعبوديته اعتمادا على الله والثقة به والتجائه اليه وتفويضا اليه
ورضا بما يقضيه له لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده اذا فوض اليه
مع قيامه بالاسباب المامور بها واجتهاده في تحصيلها فقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعظم المتوكلين على الله وكان يلبس لامة ودرعة ثم لا طاهر يوم
احد بدرعين واخفق في الظاهر لما فكان متوكلا في السبب لا على السبب واما
العجز فهو تعطيل الامرين او احدهما فاما ان تعطل السبب عجزا عنه وزعم ان
ذلك توكل ولعمر الله انه لعجز وتفريط واما ان يقوم بالسبب ناظرا اليه معتمدا
عليه غافلا عن المسبب معرضا عنه وان خطر بالقلب لم يشغله ذلك الخاطر
ولم تعلق به تعلقا يثبت كون القلب مع الله وبدنه مع السبب فهذا توكل
عجز وعجزه توكل وهذا موضع اتعم الناس فيه طرفين ووسطا فاخذ الطرفين
عطل الاسباب محافظة على التوكل والثاني عطل التوكل محافظة على السبب والاوسط
علم ان حقيقة التوكل لا تتم الا بالقيام بالسبب فتوكل على الله في تعيين السبب
واما من عطل السبب وزعم انه متوكل فهو مغرور مخدوع ممن عطل الحاجة
والنكاح وتوكل في حصول الولد وعطل الحرث والبذر وتوكل في حصول الزرع
وعطل الاكل والشرب وتوكل في حصول الشبع والري فالتوكل بطل الرجا

والعجز بطل النهي لتحقيقه التوكل ان تخذ العبد رتد وكلا له قد توض اليه كما يوض
الموكل الى وكيله العالم كفايته ونصحه وامانته وخبرته وحسن اختياره
والرب سبحانه مدبر عبده بالاحتمال وتوكل له ان يستخرج له من حيلة ما يصلحه
فامره ان يحرث ويبذر ويسعى ويطلب رزقه في ضمن ذلك كما قدره سبحانه وقدر
واقتضته حكمته وامره ان لا يعلق قلبه بغيره بل يجعل رجاءه له وخوفه منه وثقته
به وتوكله عليه فاخبره انه سبحانه الملي بالوكالة الوفي بالكفالة فالعاجز من يرى
هذا كله وتراخيره وقعد كسلا طالبا للراحة موثرا للدعة متعللا الرزق يطلب
صاحبه كما يطلبه اجله وسيأتيه ما قدر له على ضعفي ولن انا له ما لم يقدر له على قوي
ولو اني هربت من رزقي كما اهرب من الموت للحقني فقال له نصر هذا كله حق وقد علمت
ان الرزق مقدر فما يدريك كيف قدر لك بسعيك او بسعي غيرك فاي سبب من
اي جهة واذا خفي عليك هذا كله فمن ان علمت انه تقدر لك اتاه عفوا بلا سعي
ولا كد فكم من شيء سعت فيه تقدر لغيرك رزقا وكم من شيء سعي فيه غيرك
فقدر لك رزقا فاذا رايت هذا عيانا فكيف علمت ان رزقك كله بسعي غيرك
وانضاف هذا الذي اورده على النفس يرد طرده في جميع الاسباب مع
مستبينا بها حتى في اسباب دخول الجنة والنجاة من النار فهل تعطلها اعتمادا على
التوكل ام تقوم بها مع التوكل بل لن تخلو الارض من متوكل صبر نفسه لله وملا
قلبه من التعلق به ورجاءه وحسن الظن به فضاق قلبه عن مباشرة بعض
الاسباب فسكن قلبه الى الله واطمان اليه ووثق به فكان هذا ابن اقوى اسباب حصول
رزقه ولم تعطل السبب وانما رغب عن سبب الى سبب اقوى منه فكان توكله اقوى

الاسباب عنده فكان اشتغاله قلبه بالله وشكوته اليه وتضرعه اليه احب اليه
من اشتغاله بسبب منعه من ذلك او من كماله فلم يتسع قلبه للامرين فاعرض عن احدهما
الى الاخر ولا ريب ان هذا اكمل حالا ممن اشتغل قلبه بالسبب واشتغل به عن ربه
واكمل منهما من جمع الامرين وهي حال الرسل والصحابة فقد كان منهم تجارا وقد
امر الله نوحا ان يصنع السفينة ولم يكن في الصحابة من يعطل السبب اعتمادا على
التوكل بل كانوا اقوم الناس بالاسباب الا ترى انهم بذلوا جهدهم في محاربة اعداء الدين
باديهم والسنتهم وقاموا في ذلك بحقيقة التوكل وعمروا الحواضر واصلحوها
واعدوا الاهبة كفاتهم من القوة ابدا بتيد المتوكلين صلوات الله وسلامه
عليهم والفرق بين الاحتياط والوسوسة ان الاحتياط الاستقصاء والمبالغة في
اتباع السنة وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من غير غلو
ومجاوزة ولا تقصير وتفريط فهذا هو الاحتياط الذي رضاه الله ورسوله
واما الوسوسة فهي ابتداع ما لم تأت به السنة ولم يفعله رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا احد من اصحابه زاعما انه يصل بذلك الى تحصيل المشروع وضبطه فمن
احتاط بزعمه وغسل اعضاءه في الوضوء فوق ثلاث مسرف في صب الماء في وضوئه
وغسله ويصرح بالنقط بنية الصلاة مرارا او مرة واحدة ويغسل ثيابه مما لا
ينفر بحاسة احتياطا ورغب عن الصلاة في محله احتياطا الى اضعاف اضعاف
هذا مما احدثه الموسوس بردنا وزعموا انه احتياط وقد كان الاحتياط في اتباع
هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه او زاهر فان الاحتياط الذي
من خرج عنه فقد فارق الاحتياط وعدل عن سواء الصراط فالاحتياط كل

الاحتياط

الاحتياط الخروج من خلاف السنة ولو خالفت اكثر اهل الارض بل كل عصر
والفرق بين الهام الملك والقاء الشيطان من وجوه منها ان ما كان لله موافقا لمرضاته
فهو من القاء الشيطان وما جاء به رسوله فهو من الملك وما كان لغيره غير موافق لمرضاته
فهو من القاء الشيطان ومنها ان ما اثمر اقبالا على الله وانابة اليه وذكرا له وهمة
صاعدة اليه فهو من الملك وما اورث ضد ذلك فهو من الشيطان ومنها ان
ما اورث الله او نورا في القلب وانشراحا في الصدر فهو من الملك وما اورث
ضد ذلك فهو من الشيطان ومنها ان ما اورث سكينة وطمأنينة فهو من الملك
وما اورث قلقا وانزعاجا واضطرابا فهو من الشيطان فالالهام الملكي كثيرا ما
يقع في القلوب الطاهرة المقدسة التي قد استنارت بنور الله فللملك بها اتصال
وبينه وبينها مناسبة فان طيب طاهر لا يجاور الا قلبا مناسبا فيكون نزلة القلب
من هذا القلب اكثر من نزلة الشيطان واما القلب المظلم الذي قد اسود بدخان
الشهوات والشبهات فالقاء الشيطان ونزله به اكثر من نزلة الملك والفرق
بين الاقتصاد والتقصير ان الاقتصاد هو التوسط من طرفي الافراط والتفريط
وله طرفان هما ضدان ان لم يقصر ويجاوزه فالمقتصد قد اخذ بالوسط وعدل
عن الطرفين قال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين والدين كله بين هذين
الطرفين فالاسلام قصد بين الملل والسنة قصد بين البدع ودين الله بين الغالي
فيه والجافي عنه وكذلك الاجتهاد بذل الجهد في موافقة الامر والغلو مجاوزة

وتجديد وما أمر الله بأمر الا وللشيطان منه نزغتان فاما الى غلو ومجاوزة واما الى
تفريط وتقصير وهما اثنان لا تخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل الا من
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك اقوال الناس وآرائهم لما جاء به
الامر بترك ما جاء به لا قوالهم وآرائهم وهذا المرض المخطر قد استولى على
بني آدم وله احدرك السلف منهما اشد الحذر وخلفوا من بلي باحدهما بالهلاك
وقد جمعهما في النحر الواجد كما هو حال اكثر الخلق نكون مفرطا مقصرا في بعض
دينه غالبا مجاوزا الى بعضه والهدى من هداه الله والفرق بين النصيحة والتعنيب
ان النصيحة احسان الى الناصح بصور الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له
وعليه فهي احسان محض يصدر عن رحمة وبر فقه ومراد الناصح بها وجه الله
ورضاه والاحسان الى خلقه فيتلطف في بذلها غاية التلطف ويحمل اذى اذ
المنصوح ولا يمنه ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق للمريض المشفع مرضا
فهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرته ويتلطف في وصول الدواء اليه بكل ممكن
فهذا شان الناصح واما المعنف فهو رجل قصده التعيير والاهانة وذم من
يوبخه ويشنع في صوت النصح فهو يقول له يا فاعل كذا وكذا يا مسخا للذر
والاهانة في صورة ناصح وعلامة هذا انه لو رأى من رحمته وحزن البدن على مثل
عمل هذا او شر منه لم يعرض له ولم يقل له شيئا ويطلب له وجوه المعاذير فان
غلب قاله واما ضمنه له البصمة والانسان عرضة الخطا ومحاسنه اكثر من
مساويه والله غفور رحيم فيا عجبا كيف كان هذا المربية دون من يتعضه
وكيف كان حظ ذلك منه التأنيب في صورة النصح وحظ هذا منك رجا

العفو

العفو والمغفرة وطلب وجوه المعاذير ومن الفرق بين الناصح والمعنف ان الناصح
لا يعاجلك اذا لم تقبل نصيحته وقال قد وقع اجره على الله قبلت او لم تقبل
يدعوا لك بظهر الغيب ولا يظهر عيوبك وبينها في التأنيب والمعنف بضد
ذلك والفرق بين المبادرة والعجلة ان المبادرة انتهاز الفرصة في وقتها
ولا تتركها حتى اذا فاتت طلبها فهو لا يطلب الامور في ادبارها ولا قبل وقتها
بل اذا حضر وقتها بادر اليها ووثب عليها وثوب الاسد على فريسته فهو بمنزلة
من بادر الى اخذ الثمرة وقت كمالها ونضجها وادراكها والعجلة طلب اخذ الشيء
قبل وقته فهو بشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل او ان ادراكها
فالمبادرة وسط بين خلقين مذمومين احدهما التفريط والاضاعة والثاني
الاستعجال قبل الوقت وهذا كانت العجلة من الشيطان فانها خفة وطيش
وجدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم وتوجب له وضع الاشياء
في غير مواضعها وتجلب عليه انواعا من الشرور وتمنعه انواعا من الخير وهي
قرين الدآبة فقل من استعمل الاناة والتأني الا ظفر بكل قرين الفوات والاضاعة
والفرق بين الاخبار بالحال وبين الشكوى وان اشتبهت صورتهما ان الاخبار
بالحال يقصد به المخبر قصدا صحيحا من علم سبب ازالة الداء والاعذار لا يجيء
من اثر طلبه منه او نحو ذلك من الوقوع في مثل ما وقع فيه فيكون باخباره ناصحا
له او حمله على الصبر بالتأسي به كما ذكر عن الاحنف انه شكا اليه رجل
شكوى فقال يا ابن اخي لقد ذهبت ضوء عيني من كذا وكذا سنة فما علمت به
احدا فاني ضم هذا الاخبار من حمل الشاكي على التأسي والصبر فاثاب عليه

المخبر وصورته وصوت المخبر ولكن القصد منهما ولعل من هذا قول النبي صلى الله
عليه وسلم لما قالت عائشة وارأساه فقال بل أنا وارأساه اي الوجع القوي في
ذلك فقاسي نبي ولا تشكي وليوح فيه معنى اخر وهو انها كانت جبنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو كانت احب النساء اليه على الاطلاق فلما شكت اليه راى
اخرها ان يحتها من الارسال الذي بها وهذا غاية الموافقة من المحب ومحبوبه
يتألم بالمه ويسر بسروره حتى اذا الم عضو من اعضائه الم المحب ذلك العضو بعينه
وهذا من صدق المحبة وصفا المودة فالمعنى الاول نعم انك لا تشكي واصبري
بي من الوجع مثل ما بك فاتي بي في الصبر وعدم الشكوى والمعنى الثاني بعصر
اعلانها بصدق محبتها لها اي انظري قوة محبتي لك كيف واسيتك في المك
ووجع راسك فلم تكوني متوجعة وانا سليم من الوجع لم تولني ما بولمك كما يسر
ما يسرك كما قيل وان اولى البرايا ان تواسيه عند الشرور الذي والمك في الحزن
واما الشكوى والاخبار العاري عن القصد الصحيح لم يكن مصدر السخط وشكايته
المشتكي الى غيره فان شكا اليه لم يكن ذلك شكوى له استعطاف وملوة وانبرحام
كقوله ايوب عليه السلام رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وقوله يعقوب
عليه السلام انما اشكوا بثي وحزني الى الله وقوله موسى عليه السلام اللهم
لك الحمد واليك المشتكا وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان
ولا حول ولا قوة الا بك وقول سيد ولد ادم عليه الصلاة والسلام اللهم
اليك اشكو اضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس انت رب المستضعفين
وانت ربي الى من تكلني الى قريب يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك

غضب علي فلا ابالي غير ان عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له
الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان تحل علي غضبك او تنزل بي سخطك
لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك فالشكوى الى الله لا تنافي الصبر
بوجد فان الله تعالى قال عن ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه
اواب مع اخباره عنه بالشكوى الدال في قوله اني مسني الضر واخبر عن نبيه يعقوب
انه وعد من نفسه بالصبر الجميل والنبي اذا قال وفى مع قوله انما اشكوا بثي وحزني
الى الله ولم يجعل ذلك نقصا لصبره ولم يلتفت الى غير هذا من تبرهان القوم
كما قال بعضهم لما قال مسني الضر قال تعالى انا وجدناه صابرا ولم نقل صبورا
حسب قال مسني الضر وقال بعضهم لم نقل ارحمني وانما وانت ارحم الراحمين
فلم يرد على الاخبار بحاله ووصفه وقال بعضهم انما شكى مس الضر حين ضعف
لسانه عن الشكر فشكى مس ضر ضعف الذكر لا ضر المرض والالم وقال بعضهم لما
استخرج منه هذا القول ليكون مدونا للضعفاء من هذه الامة وكان هذا القائل
راى ان الشكوى الى الله تعالى ينافي الصبر وغلط اقبح الغلط فالمنافي للصبر
شكواه لا الشكوى اليه فالله تعالى يسمع تضرعه ودعاءه والشكوى اليه
ولا يجب الجلد عليه واحب ما اليه انكسار قلب من يديه وتذلله له واظهار
ضعفه وفاقته وعجزه وقلة صبره فاحذر كل الحذر من اظهار الجلد عليه وعليك
بالتضرع والتمسكن وابد العجز والفاقة والذل والضعف فرحمته اقرب اليك
هذا القلب من اليد الملمة وهذا ابلغ من الكر والمطولة ولعل ان ساعد القدر
ان نزيد فيه كتابا كبيرا او انما بتمنا بما ذكرنا على اصوله والليب يكفي بتنبيه ذلك

والدين كله فرق وكتاب الله فرقان ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس وكن
التي جعل فرقانا يا أيها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويوم بدر يوم
الفرقان لانه فرق بين اولياء الله واعدائه فالهدى كله فرقان والضلال اضداده
الجمع كما جمع المشركون بين عبادة الله وعبادة الاوثان وبين ما يحبه ويرضاه
وبين ما مقت الله وقضاه فجعلوا الامر واحدا واسندوا فعاله وقدره على
محبته ورضاه وجمعوا بين الربا والبيع فقالوا انما البيع مثل الربا وجمعوا
بين المذكى والميتة فقالوا كيف ناكل ما قتلنا ولا ناكل ما قتل الله وجمع المسلمون
عن الشرائع بين الحلال والحرام فقالوا هذه المرأة خلقها الله وهذه خلقها وهذا
الحيوان خلقه وهذا خلقه فكيف نحل هذا ونحرم هذا وجمعوا بين اولياء الرحمن
واولياء الشيطان وجاءت طائفة الاحادية فنظموا الوادي على القرى وجمعوا
الكل في ذات واحدة وقالوا هي الله الذي لا اله الا هو وقال صاحب فصوصهم
وواضع نصوصهم واعلم ان الامر قرآن لا فرقان فما الامر الا سبق واجد ما فيه
من مدح ولا ذم وانما الحادة قد خصصت والطبع والشارع بالحكم والمقصود
ان ارباب البصائر هم اصحاب الفرقان فاعظم الناس فرقانا من المشبهات
اعظم الناس بصيرة والمشابهة تقع في الاقوال والاعمال والاحوال والاموال
والرجال وانما اتى اكثر اهل الجلد من المشبهات في ذلك كله ولا يحصل
الفرقان الا بنور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده يرى في ضوئه حقائق
الامور ويميز بين حقها وباطلها وصحيحها وسقيمها ومن لم يجعل الله له نورا فما
له من نور ولا يستطل هذا الفصل فلعله من انفع فصول الكتاب والحاجة

اليه شديدة فان يرزقك الله فيه بصيرة خرجت منه الى فرقان اعظم منه وهو
الفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين والفرق بين اثبات الصفات
والعلو والتكلم والتكليم حقيقة وبين التشبيه والتمثيل والفرق بين تحريد
التوحيد العملي الارادي وبين هضم ارباب المراتب مراتبهم التي انزلهم الله اياها
والفرق بين تحريم متابعة المعصوم وبين اهدار اقوال العلماء والغائها وعدم
الالتفات اليها والفرق بين تقليد وهي الاستضاءة بنور علمه والاستعانة
بفهمه والفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان والفرق بين الحال الايماني
الرحماني والحال الشيطاني الكفري والحال النفساني والفرق بين الحكم
المنزل الواجب الاتباع على كل احد والحكم المأول الذي يفتاته ان يكون
جائز الاتباع عند الضرورة ولا يدرك على مخالفته ومن يختبر الكتاب باتيانه لطيفة
الى الفروق بين هذه الامور اذ كل فرق منها تستدعي بسطة كثيرا فالفرق
بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين ان توحيد الرسل اثبات صفات الكمال
لله على وجه التفصيل وعبادته وحده لا شريك له فلا يجعل له ندا في قصد
ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا مدد بل يرفع العبد الاندادا
له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته كما انها متحدة ومتفقة في نفس الامر لا وجود
لها البتة فلا يجعل لها وجودا في قلبه ولا لسانه واما توحيد المعطلين ففي
حقائق اسمائه وصفاته وتعطيلها ومن امكنه منهم تعطيلها من لسانه عطلها
فلا ذكرها ولا بذكر اند نفتها ولا حدثا صرح بشيء منها ومن لم يمكنه تعطيل
ذكرها سطا عليها بالتحريف ونفى حقيقتها وجعلها قرعا لا معنى له او معناه

من جنس الالحاد والاحاجي على من طرد تعطيله منهم علم انه يلزمه في ما
حرف اليه النص من المعنى نظير ما فر منه فمن لزم تمثيلا او تشبيها او حدوثا
في الحقيقة لزم في المعنى الذي حمل عليه النص وان لم يلزم في هذا فهو في
ان لا يلزم في الحقيقة فلما علم هذا لم يمكنه الا تعطيل الجميع فهذا اطراد
اصل التعطيل والغرق اقرب منه ولكنه متناقض متحكم بالباطل حيث اثبت
لله بعض ما اثبته لنفسه ونفى عنه البعض الاخر والملازم الباطل فيهما واحد
والملازم الحق لا يفرق بينهما والمقصود انهم سواء هذا التعطيل توحيدا او انما
هو الحاد في اسماء الرب وصفاته وتعطيل لحقائقها والغرق بين تنزيه الرسل
وتنزيه المعطلة ان الرسل ينزهونه سبحانه عن النقايص والعيوب الى تنزيهه
عنها وهي المنافية لكماله وكماله بنوعيه وعظمته كالسنة والنوم والغفلة
والموت واللغوب والظلم وارادته والتسمية والشريك والصاحبة والظهير
والولد والشفيع دون اذنه وان يترك عباده سدى اهملا وان يكون خلقهم
عبثا وان يكون خلق السموات والارض وما بينهما باطلا لا لثواب ولا عقاب
ولا امر ولا نهي وان يسوي بين اعدائه واوليائه وبين الابرار والفجار وبين
الكفار والمؤمنين وان يكون في ملكه بلا مشيئته وان يحتاج الى غيره بوجه من
الوجوه وان يكون لغيره منه من الامر شيء وان يعرض له غفلة او سهو او نسيان
وان يخلف وعده او تبدل كلماته او يضاف الشر اليه اسما او وصفا او فعلا
بل اسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها كمال وافعاله كلها خير وحكمة ومصلحة
فهذه تنزيه الرسل واما المعطلون فنزهوه عما وصف به نفسه من الكمال

ينزهونه عن ان يكلم احدا وينزهونه عن استوائه على عرشه وان ترفع اليه الايدي
وان يصعد اليه الكلم الطيب وان ينزل من عنده شيء او تعرج اليه الملائكة والروح
وان يكون هو فوق عباده وهو فوق جميع مخلوقاته عاليا عليها وينزهونه ان تقبض السموات
بيده والارض بالاخرى وان يمسك السموات على اصبع والارض على اصبع والجبال
على اصبع والشجر على اصبع وينزهونه ان يكون له وجه وان يراه المؤمنون بابصارهم في
الجنة وان يكلمهم ويسلم عليهم وعلى هذا صرح به وان ينزل كل ليلة الى سما الدنيا فيقول
من يستغفرني فاستغفره من يسالني فاعطيه فلا يزول عند هذا ولا يقول وينزهونه
عن ان يفعل شيئا لحكمة بل افعاله لا لحكمة ولا لغرض مقصود وينزهونه ان يكون يامر
الشيء نافذ الارادة بل يشاء الشيء ويشاء عباده خلافه فيكون ما شاء العبد دون
ما شاء الرب ولا يشاء الشيء فيكون ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون وسموا هذا عدلا كما
سموا ذلك التنزيه توحيدا وينزهونه عن ان يحب او يحب وينزهونه عن الرافة والرحمة
والغضب والرضا وينزهه اخرون عن الوجود فقالوا الذي ينزه اليه هو لا
المنزهون من التشبيه والتمثيل للزمناهم في الوجود فيجب علينا ان ننزهه عن هذا
تنزيه الملحدين والاولى تنزيه المرسلين والفرق بين اثبات حقائق الاسماء والصفات
وبين التشبيه والتمثيل ما قاله الامام احمد ومن وافقه من ائمة الهدى ان التشبيه
ان تقول يد كيدي او سمع كسمعي او بصر كبصري ونحو ذلك واما اذا قال سمع وبصر
ويد ووجه واسوا الامثال شيئا من صفات المخلوقين بل بين الصفة والصفة
من الفرق كما بين الموصف والموصوف فلا تمثيل هاهنا ولا تشبيه ولا تلبيس
الملحدين هذا الحق الذي اتفقت عليه الرسل على ان يوصف الله بما وصف به

نفسه ورسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل
اثبات الصفات وهي مشابهة المخلوقات فمن شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد
ما وصف الله به نفسه فقد كفر ومن اثبت له حقائق الاسماء والصفات
ونفى عنه مشابهة المخلوقات فقد هدي الى صراط مستقيم والفرق بين التوحيد
ومن هضم ارباب المراتب ان تجريد التوحيد ان لا يعطى المخلوق شيئا من حق الخالق
وخصائصه ولا تعبد ولا يصلى له ويسجد ولا يحلف باسمه ولا ينذر له ولا يتوكل
عليه ولا يوالى ولا يقسم به على الله ولا تعبد لتقرب الى الله زلفى ولا يساوى بين
العالمين في قول القائل ما شاء الله وشئت وهذا من الله وأنا بالله وبك
وانا متوكل على الله وعليك والله لي في السموات وأنت لي في الارض وهذا من
صدقاتك وصدقات الله وانا تائب الى الله واليك وانا في حسب الله وحسبك
يسجد للمخلوق كما يسجد المشركون لشيوخهم وحلق رأسه له وحلف باسمه ونذر
له ويسجد لقبره بعد موته وتشبث به في حوائجه ومهماته ورضيه بسخط الله و
بسخطه في رضا الله وتقرب اليه اعظم مما تقرب الى الله وحبه وخافه ورجوه
اكثر مما حب الله وخافه ورجوه ان يسأله به فاذا هضم المخلوق خصائص الربوبية
وانزله منزلة العبد المحض الذي لا يملك لنفسه فضلا عن غيره ضرا ولا نفعا ولا
موتا ولا حياة ولا نشورا لم يكرهه ابتغاء له ولا غضا من ربه ولو زعم المشركون
وقد صح عن سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه انه قال لا تطروني كما اطرت
النصارى عيسى بن مريم فقولوا عبد الله ورسوله وقال ايها الناس ما احب ان ترفعوني
فوق منزلتي وقال لا تجعلوا قبري عيدا وقال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقال

لا تقولوا

لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد وقال لرجل ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله ندا
وقال له رجل قد اذنب اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال عرف الحق لاهله
وقد قال الله تعالى ليس لك من الامر شيء وقال قل ان الامر كله لله وقال قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله وقال قل اني لا املك لكم ضرا ولا نفعا قل اني لن يجيرني
من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي لن اجد من دونه من ألتجئ اليه واعتمد عليه
وقال لابنته فاطمة وعمه العباس وعمته صفية لا املك لكم من الله شيئا وفي لفظ
في الصحيح لا اغني عنكم من الله شيئا فحظر ذلك على المشركين لشيوخهم وآلهتهم وأوادوا ذلك
كله وادعوا لشيوخهم ومعبودهم خلاف هذا كله وزعموا ان من سلبهم ذلك فقد
هضم مراتبهم ونقصهم وقد هضموا جانب الالهية غاية الهضم ونقصهم فلهم نصيب
وافر من قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون والفرق بين تجريد متابعة المعصوم و
اقوال العلماء والفرق بينها ان تجريد المتابعة ان لا تقدم على ما جاء به قول احد ولا رأيه
كائنا ما كان بل ننظر في صحة الحديث اولا فاذا صح لك نظرت في معناه بيانا فاذا بين
لك لم تعدل عنه ولو خالفك من من المشرق والمغرب ومعاذ الله ان يبني الائمة على
مخالفة ما جاء به نبيا بل لا بد ان يكون في الامة من قاله به ولو لم يعلمه فلا يجعل
جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله بل اذهب الى النص ولا تضعف واعلم انه
قد قاله به قائل قطعا ولكن لم يصل اليك هذا مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد
حرمتهم وانابتهم واجتهاد هم في حفظ الدين وضبطه فهم دائرون بين الاجر والاجرين
والمغفرة ولكن لا يوجب هذا اهدار المنصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها

لشبهة اند اعلم رحمك الله فان كان ذلك ممن ذهب الى النص اعلمه منك انصفا فهلا
وافضله ان كنت صادقا فمن عرض اقوال العلماء على النصوص وفوزها بها وخالف منها
ما خالف النص لم يعدر اقوالهم ولم يهضم جانبهم بل اقتدى بهم فانهم كلهم امروا بالرجوع
متبعهم حتما من اشد ما اوصوا به لامر خالفهم فخلافهم في القول الذي جاء النص بخلافه
اسهل من مخالفتهم في القاعدة الكلية التي امروا بها ودعوا اليها من بعد من النص على
اقوالهم ومن هنا تبين الفرق بين تقليد العالم في كل ما قاله وبين الاستعانة بفهمه
والاستضاءة بنور علمه فالاول ياخذ قوله من غير نظر فيه والاطلب لدليله من الكتاب
والسنة بل يجعل ذلك كالحبل الذي يقعد في عنقه بقلده ولذلك تمى تقليدا خلاف
من استعان بفهمه واستضاء بنور علمه في الوصول الى الرسول صلوات الله وسلامه
عليهم فانه يجعلهم بمنزلة الدليل الى الدليل الاول فاذا وصل اليه استغنى به لا به
عن الاستدلال به بغيره فمن استدل على النجم القطب فانه اذا شاهده هان عليه الاستدلال
بالنجم يعني قال الشافعي اجمع الناس على ان من استبان له سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول احد والفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان
ان اولياء الرحمن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هم الذين امنوا وكانوا يتقون
وهم المذكورون في اول سورة البقرة الى قوله هم المفلحون وفي وسطها في قوله
ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر الى قوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم
المتقون وفي اول الانفال الى قوله لهم مغفرة ورزق كريم وفي اول سورة
المومنين الى قوله هم فيها خالدون وفي اخر سورة الفرقان وفي قوله ان المسلمين
والمسلمات الى آخر الآية وفي قوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الذين

الذين امنوا وكانوا يتقون وفي قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك
هم الفائزون وفي قوله الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون الى قوله في جنات
مكرمون وفي قوله التائبون العابدون الحامدون السائحون الى اخر الآية فاولياء الرحمن
هم المخلصون لربهم المحكوم لرسوله في الفرق والذين يخالفون غيره لسنته ويخالفون
سنته لغيرها فلا يبتدعون ولا يدعون الى بدعة ولا يحتزون الى فئة غير الله ورسوله
واصحابه ولا يتخذون دينهم لهوا ولعبا ولا يسمعون سماع الشيطان على سماع القرآن
ولا يؤثرون صحبة الا ل على مرضات الرحمن ولا المعارف والمباني على السبع المثاني
يرنا الى الله من معشر بهم مرض مورد للضنا ولم ملت ما قومرا تم على شفا جرف من سماع الغنا
فلما استهانوا شهدنا ركاعوا وما قدحنا وهل يستجيب لداعي الهوى عوى اصحاب الحاء دنا
فعشنا على سنة المصطفى وعاشوا على ما ساءينا ولا يشبه اولياء الرحمن اولياء
الشيطان الا على فاقد البصيرة والايمان وان كون المعرضون عن كتابه وهدي رسوله
وسنته المخالفون له الى غيره اولياءه وقد ضربوا المخالفته جاسا وعدلوا عن هدي
نبيه وطريقه وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون
فاولياء الرحمن المتلبسون بما يحبه وليهم قولا وعملا يدعون اليه ويحاربون من نهاهم
عنه فاذا رات الرجل يحب السماع ومواذن الشيطان واخوان الشياطين ويدعوا
الى ما يحبه الشيطان من الشرك والبدع والفجور علمت انه من اولياءه فان اشتبه
عليك فاقعد في ثلاثة مواطن في صلاته ومحبته للسنة واهلها ونفرته عنهم
ودعوته الى الله ورسوله وتجريده التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة فربه ذلك
لا يدخل ولا كشف ولا خارق ولا مشي على الماء وطار في الهواء وهذا يعلم الفرق

بين الحالة الايمانية والحالة الشيطانية فان حالة الايمانية ثمرة المتابعة للرسول
والاخلاص في العمل وتجريد التوحيد ونتيجة متابعة المسلمين في دينهم وديناهم وهو
اما تتبع على الاستقامة على السنة والوقوف مع الامر والنهي والحالة الشيطانية
فشبهة اما شرك واما فجور وهو ينشأ من حزب الشياطين والاتصال بهم ومشاهدة
وهذا الحال يكون لعباد الاصنام والصلبان والنيران والشيطان فان صاحبه لما
عبد الشيطان خلع عليه حالا يصطاد به ضعفاء العقول والايمان ولا الذة الا
الله كما هلك به هؤلاء من الخلق ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه
بكل حال خرج صاحبه عن حكم الكتاب وما جاء به الرسول فهو شيطاني كائنا ما كان
وقد باء بحوائل السيرة وعباد النار وعباد الصليب وكثير ممن ينتسب الى الاسلام ظاهرا
وهو برئ منه في الباطن له نصيب من هذا الحال بحسب موالاته للشيطان ومعاداته
للرحمن وقد يكون الرجل صادقا ولكن يكون ملبوسا عليه بجهله فيكون حاله شيطانيا
مع زهد وعبادة واخلاص ولكن ليس عليه الامر لقلة علمه بامور الشياطين والملائكة
وجهله بحقائق الايمان وقد حكى هؤلاء وهؤلاء من لست منهم بل هو شبيه صاحب حائر
ومحارى واوقع الناس في البلاء عدم التمييز بين هؤلاء وهؤلاء فحسبوا كل سواد اثمرة
وكل بياض شحمة والفرقان اعز في هذا العالم وهو نور يقذفه الله في القلب يفرق به
بين الحق والباطل وبين حقائق الامور وخيرها وشرها وصالحها وفاسدها فمن عدم
الفرقان وقع ولابد في اتباع الشيطان فالله المستعان وعليه التكلان والفرق بين
الحكم المنزل الواجب الاتباع والحكم المأول الذي غايته ان يكون سائغا الاتباع ان
الحكم المنزل هو الذي انزله الله على رسوله وحكم به بين عباده وهو حكمه الذي